محمد عبد المعطى الهمشرى

الأعمال الشعرية الكاملة

جمع وتحقيق

حسن توفيق

مكتبة جزيرة الورد

obeikan.com

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد
اسم الكتاب: محمد عبد المعطى الهمشري
اسم المؤلف: المحقق حسن توفيق
رقم الإيداع: ٩٧٨٩

الطبعة الأولى ٢٠١٢

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة: ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت: ٠١٠٠٠٤٠٤٩ - ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokobɔko_5@yahoo.com

obeikan.com

محمد عبد المعطى الهمشري

حياته القصيرة .. لم تطمس موهبته الكبيرة

مقدمة بقلم : حسن توفيق

هناك كتاب وشعراء وفنانون رحلوا عن عالمنا وهم فى ذروة شبابهم، ومن هؤلاء أسمهان وبدر شاكر السياب وأمل دنقل، وهناك آخرون عاشوا طويلا، لدرجة أن منهم من كان يطل خلال حياته من شرفة الثمانين أو التسعين، ومن هؤلاء فدوى طوقان ومحمد مهدى الجواهرى ونجيب محفوظ، لكن القضية الجوهرية التى ينبغى أن نركز عليها – فى تقديرى – لا تتعلق بما قُدِّرَ لكل واحد من هؤلاء أن يحياه، وإنما بما استطاعوا جميعا أن ينجزوه وأن يحققوه خلال سنوات الحياة، بصرف النظر عما إذا كانت حياة قصيرة أو طويلة، لأن الرصيد الذى يبقى وقد يتجدد على امتداد الأجيال يتمثل فى الثروة الأدبية أو الفنية التى يبدعها الكاتب أو الفنان طيلة سنوات حياته، ويخلفها وراءه بعد غيابه النهائى عن الحياة والأحياء .

ثلاثة شعراء من جيل عربى واحد، قُدِّرَ لهم أن يرحلوا عن عالمنا وهم فى ذروة شبابهم، وبالتالى لم يقدر لأى شاعر منهم أن يجمع قصائده بنفسه،وأن يقوم بتبويبها وترتيبها فى ديوان يضمها ويحتضنها بين صفحاته، وهكذا قام آخرون بهذه المهمة، نيابة عمن رحلوا، ووفاء لذكراهم، وحرصا على تراثهم الشعرى الذى أبدعوه .

هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين رحلوا فى ذروة شبابهم هم – وفقا لأسبقية ميلاد كل منهم – محمد عبد المعطى الهمشرى وأبو القاسم الشابى والتيجانى يوسف بشير.

محمد عبد المعطى الهمشرى – وُلِدَ فى مصر سنة ١٩٠٨ ورحل عن عالمنا يوم ١٤ ديسمبر ١٩٣٨عن ثلاثين سنة .

أبو القاسم الشابى – ولد فى تونس يوم ٢٤ فبراير ١٩٠٩ ورحل عن عالمنا يوم ٩ أكتوبر١٩٣٤عن خمس وعشرين سنة

وقد صدرت الطبعة الأولى من ديوانه أغانى الحياة سنة ١٩٥٥ حيث نشرته دار الكتب الشرقية وتم طبعه فى دار مصر للطباعة بالقاهرة .

أما التيجانى يوسف بشير – فقد ولد فى السودان سنة ١٩١٠ فى أغلب المراجع، وهناك من يقول إنه ولد سنة ١٩١٢ وقد رحل عن عالمنا سنة ١٩٣٧عن سبع وعشرين سنة.

حين راجعت كتابا فى مكتبتى بعنو ن التجانى يوسف بشير – لوحة وإطار لمؤلفه أحمد محمد البدوى. وجدته يذكر تاريخ رحيل التيجانى بشكل دقيق وهو يوم الأربعاء ٢٨ يوليو ١٩٣٧ وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٨٠ وهو مطبوع فى المطبعة الفنية للطبع والنشر والتجليد بالقاهرة .

صدر للتيجانى يوسف بشير ديوان إشراقة – الطبعة الثانية سنة ١٩٤٩عن المطبعة الوطنية بالخرطوم، أما الطبعة الأولى منه فإنى لم أستطع حتى الآن تحديد تاريخ صدورها، وعلى أى حال فإنى لاحظت أن كثيرين من أدباء السودان يكتبون اسم التيجانى بدون حرف الياء أى أنهم يكتبونه التجانى وهناك آخرون منهم يكتبونه كما نكتبه نحن خارج السودان بالياء !

***

فيما يتعلق بالهمشرى – مبدع هذه الأعمال الشعرية الكاملة – فإنى أعترف بأن حبى العميق للشاعر الكبير الدكتور إبراهيم ناجى الذى سحرنى منذ كنت طالبا فى المرحلة الثانوية، هو لذى قادنى لأن أتعرف على شعراء جيله الآخرين ممن ينتمون لجماعة أبولو الشعرية، وقد أحببت كثيرين من هؤلاء، بل إنى ارتبطت بعلاقات صداقة جميلة مع بعضهم منذ أن كنت طالبا جامعيا بقسم اللغة العربية –كلية الآداب – جامعة القاهرة وذلك خلال الستينيات من القرن العشرين الغارب، ومن هؤلاء الشعراء الكبار الذين سعيت لأن ألتقى معهم محمود حسن إسماعيل وحسن كامل الصيرفى وصالح جودت، أما محمد عبد المعطى الهمشرى الذى رحل عن عالمنا قبل أن أولد، فقد حرصت على البحث المتأنى عن قصائده المنشورة فى مجلة أبولو، وكم كنت سعيدا حين استطعت العثور على كتاب الروائع لشعراء الجيل، وهم – كما أشرت من قبل –محمد عبد المعطى الهمشرى وأبو القاسم الشابى والتيجانى يوسف بشير.

وحين نتحدث عن إبداعات الهمشري، فإن علينا أن نلاحظ أن مهمة جمع

ديوانه بعد رحيله عن عالمنا قد مرت بمراحل متنوعة ومختلفة، وعن هذه المراحل يقول صالح جودت فى مقدمته لديوان الهمشري: من حسن حظ الأدب أن وفقنا الله إلى جمع شعر الهمشرى ونشره فى هذا الديوان، بعد أن أوشك هذا الشعر أن يضيع، بل لقد ضاع بالفعل أكثر من مرة. ذلك أنه بعد وفاة الهمشري، هَمَّ الدكتور إبراهيم رشاد بجمعه وطبعه، وجمع منه قدراً ليس باليسير، ولكن لصاً سطا على البيت، فسرق هذا الشعر فيما سرق، ولعله أسف على هذا الجزء من الغنيمة، الذى لا يروى غلته. ومرة أخرى هَمَّ الأستاذ التابعى بجمع ترات الهمشري، ولكن شواغل الحياة شغلته فلم ينجز المهمة. ومرة ثالثة جمع الأستاذ محمد فهمى كثيراً من شعر الهمشري، ولكنه أخذه معه وسافر إلى الحجاز، ولم يعد. وفى المرة الرابعة، حرصت على ألا يثنينى عن إنجاز المهمة شئ، فعكفت على جمع قصائد الهمشرى المتناثرة من مختلف مصادرها، كما حرصت على ذكر مصدر كل قصيدة، أمانة للتاريخ. وأستطيع أن أجزم بأن هذا هو كل شعر الهمشري، أوجله على الأقل، وأن ما ضاع من شعره – إن كان قد ضاع شئ – لا يزيد على أبيات معدودة مما نظم فى أول شبابه.

هذا ما قاله – بالنص – صالح جودت، وقد كان صديقا للهمشرى منذ أن كانا صبيين صغيرين، ومع هذا فإنى أقول إن صالح جودت قد تغاقل عن أمر جوهرى فى المراحل المتنوعة والمختلفة المتعلقة بمهمة جمع ديوان صديقه الهمشري، فليس صحيحا أن الأستاذ محمد فهمى قد جمع كثيرا من شعر الهمشري، ولكنه أخذه معه وسافر إلى الحجاز، ولم يعد، وإنما الصحيح أن محمد فهمى قد جمع قصائد رائعة للهمشرى ووضعها فى صدارة كتابه الروائع لشعراء الجيل، الذى أشرت إليه، وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٤٥ فى القاهرة وعندى منه نسختان – لا نسخة واحدة – فى مكتبتي، ومن الغريب أن صالح جودت قد نسى أنه – هو شخصيا – قد أشار أكثر من مرة إلى كتاب الروائع لشعراء الجيل فى ثنايا كتابه عن الهمشرى الذى صدر سنة ١٩٦٣ أى قبل صدور ديوان الهمشرى الذى جمعه وحققه وقدم له وذكر فى مقدمته أن محمد فهمى قد جمع قصائد للهمشرى ، لكنه أخذها معه وسافر إلى الحجاز ولم يعد !

بعد تسع وعشرين سنة على صدور كتاب الروائع لشعراء الجيل سنة١٩٤٥ كما ذكرت، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤ ديوان الهمشرى الذى جمعه وحققه وقدم له صالح جودت، وقبل أن يتم طبع الديوان كلفنى الشاعر الكبير صالح جودت بمراجعة التجارب الطباعية فى المطبعة، وقد سعدت بهذا التكليف، لكنى اكتشفت أن عندى قصائد للهمشري، كنت قد قمت بجمعها من الجرائد التى

نشرت على صفحاتها، وهذا ما دفعنى متحمسا لأن أخبر صالح جودت بالأمر، فطلب منى أن أضم ما عندى من قصائد الهمشرى إلى الديوان، لكنه لم يطلب منى الاطلاع عليها، وهذا – بصراحة – ما أغاظنى وقتها، لأنى رأيت أن عدم الاطلاع عليها من جانبه دليل على عدم الاهتمام، وهكذا قررت أن أحتفظ بما عندي، إلى أن يأتى يوم يمكننى فيه نشر تلك القصائد بصورة أو أخرى، وهذا ما استطعت أن أحققه ولو جزئيا، حيث نشرت النص الكامل لإحدى تلك القصائد ضمن مقدمتى المطولة لكتاب إبراهيم ناجى – قصائد مجهولة، وهو الكتاب الذى قمت فيه بجمع ما اكتشفته من قصائد مجهولة للشاعر الذى أحببته الدكتور إبراهيم ناجي، وقد صدر هذا الكتاب عن مكتبة مدبولى بالقاهرة سنة ١٩٧٨ وأما قصيدة الهمشرى فهى بعنوان نداء الفجر، وهى تحتل صفحة كاملة فى كتاب قصائد مجهولة، هى الصفحة الثانية والعشرون، وبعد سنة ١٩٧٨ قمت بنشر عدة قصائد مجهولة للهمشرى فى بعض الجرائد العربية

***

من هذا المنطلق، رأيت أن أقسم هذه الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمد عبد المعطى الهمشرى إلى ثلاثة أقسام :

(١) القسم الأول: قصائد جمعها محمد فهمى فى كتاب لروائع لشعراء الجيل سنة ١٩٤٥ وهى إحدى عشرة قصيدة، وقد اخترتها كلها لتبدأ بها هذه الأعمال الشعرية باستثناء قصيدة واحدة، لأنها غير مكتملة ، حيث يقول محمد فهمى عن هذه القصيدة إنها مقتطفات من الملحمة الفلسفية الخالدة شاطيء الأعراف، بينما قام صالح جودت – فيما بعد – بإدراج النص الكامل لها ضمن ديوان الهمشرى

القصائد التى جمعها محمد فهمى – وفقا لترتيبها فى الكتاب، وهو الترتيب الذى التزمت به هنا – هى عشر قصائد، وكلها ليست مؤرخة سواء بتواريخ كتابتها، وهى مهمة صعبة تماما، أو بتواريخ نشرها، وهى مهمة يسيرة :

١ – النارنجة الذابلة – مطلعها :

كانت لنا عند السياج شجيرة – ألف الغناء بظلها الزرزور

٢ –إلى جنا الفاتنة فى مدينة الأحلام – مطلعها :

ها هو الليل قد أتى فتعالى – نتهادى على ضفاف الرمال

٣- حدائق الشفق - مطلعها :

بين الدجى واحمرار شعه الشفق - النور يرقص فى عينى ويأتلق

٤- تأملات أو حياة شاعر - مطلعها :

غدًا يا حياتى تنتهى ضحكاتنا- وآلامنا تفنى وتفنى المشاعر

٥ - أغنية النخيل - مطلعها :

قد طاب لى مقيلى - فى سهلك الجميل

٦- العودة - مطلعها :

رجعت إليك اليوم من بعد غربتى - وفى النفس آلام تفيض ثوائر

٧-اليمامة - مطلعها :

رددى فى الكون ذكرى الهديل - وتغنى يا شهر زاد النخيل

٨- أمسية شتائية فى ضاحية - مطلعها :

المساء المغيم الذهبى - والغناء المعطر الشفقى

٩- إلى القمر - مطلعها :

لياليك من ليل الفراديس أبهج - ونورك أزهى فى العيون وأبلج

١٠- المغرد - مطلعها :

يا راحة فى ظلمة اليأس - فيها صفاء القلب والنفس

(٢) القسم الثانى - القصائد التى يضمها ديوان الهمشرى الذى جمعه وحققه وقدم له صالح جودت سنة ١٩٧٤ كما ذكرت . وهنا لا بد لى أن أوضح أن صالح جودت قد اعتمد فى جمع قصائد الهمشرى على مراجعة أعداد مجلتين اثنتين لا أكثر هما أبولو والتعاون، ولم يرجع إلى سواهما من المجلات، وهذا ما أتاح لى أن أكمل مهمته غير المكتملة، ولابد لى من القول أيضا إنى قد قمت بحذف القصائد التى كان محمد فهمى قد جمعها سنة ١٩٤٥ من هذا القسم الخاص بما جمعه صالح جودت سنة ١٩٧٤ وذلك منعا للتكرار دون مبررات من ناحية، وإنصافا - من ناحية ثانية - لمحمد فهمى الذى كان أول من جمع ما جمع من شعر للهمشرى .

(٣) القسم الثالث - القصائد التى قمت بجمعها خلال نهاكى الطويل والممتع فى جمع القصائد المجهولة للدكتورإبراهيم ناجى ابتداء من سنة ١٩٧٤ حتى سنة ٢٠١٢ حيث عثرت خلال هذه السنة – بعد معاودة البحث والتنقيب - على ثلاث قصائد للهمشري، من بينها أول قصيدة ينشرها فى حياته، وذلك يوم الأربعاء ٣ أبريل سنة ١٩٢٩ وكان وقتها فى الحادية والعشرين من عمره، وعلى أى حال فإنى سعيد حقا بما استطعت جمعه من قصائد مجهولة للهمشري، وهى قصائد لم تنشر من قبل فى أى كتاب، وها هى تنشر للمرة الأولى هنا ضمن الأعمال الشعرية الكاملة للهمشرى .

وقد قمت بترتيب قصائد هذا القسم وفقا لأسبقية نشرها فى الجرائد التى قامت بنشرها، وهى على النحو التالى :

١ - الربيع – منشورة يوم الأربعاء ٣ أبريل سنة ١٩٢٩ ومطلعها :

شمس تفيض على روح تباهيها

جداولا من عيون النور ترويها

٢ – الأنشودة الأخيرة – منشورة يوم الأربعاء ١٢ فبراير ١٩٣٠ ومطلعها :

خليانى ألقى الردى خليانـــــي

قبلما ألتقى بيوم ثـــــان

٣- بيتان من قصيدة هجاء – قيلت القصيدة سنة ١٩٣٠ ومطلعها :

سبحان من خلق القرود وصورا

وقضى علينا أن نراك وقدرا

٤- مرثية كتبت فى فناء كنيسة قرية – منشورة يوم السبت ٨ مارس سنة ١٩٣٠ ومطلعها :

لقد دق ناقوس الكنيسة مؤذنـــا

بيوم فراق كان بالأمس خافيـــا

٥- الشاعر المنتحر – منشورة يوم السبت ٢٠ ديسمبر ١٩٣٠ ومطلعها :

أفزعه الشوق إلى وكـــــــره

وحن فى الليل إلى فجـــــــره

٦- الأغنية التائهة – منشورة يوم ٣ يناير ١٩٣٤ ومطلعها :

أيها الليل أتينا نشتكـــــــــي

فاستمع شكوى الحزانى المتعبين

٧- حلم السيراناد – منشورة يوم ١٧ يناير سنة ١٩٣٤ ومطلعها :

أفدى بقلبى العليل الســـــوفي

حبيبى الجميل الذى لا يفـــــى

٨- المرثية الحزينة – منشورة يوم ٤ أبريل سنة ١٩٣٤ ومطلعها :

لم يبق من أثر الجمال عليـــــك

إلا جلال قد تنور فيـــــــك

٩- نداء الفجر – منشورة يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٤ ومطلعها :

النسيم العطرى ندى جبينـــــي

والضياء الليلى حف جفونـــــي

١٠- القرية المهجورة – منشورة فى مارس سنة ١٩٣٦ ومطلعها :

وا سوأتاه لأرض أصبحت غنما

ترعاه عاجلة الأسقام والنـــوب

١١- أنشودة النيل – منشورة يوم ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ ومطلعها :

أبو البحار وما تحويه من سمـــك

يا نهر أنت ومن ينشى الرياحينـــا

وقد رأيت أن أقدم كذلك بعض الكتابات النثرية للهمشري، لأنها مجهولة تماما، ولأنها مفيدة – من جهة ثانية – للباحثين والدارسين إذا كانوا حقا باحثين ودارسين، وليسوا لصوصا ممن يسطون على جهدى وعلى جهود الآخرين، ولن أذكر هنا اسم أى شخص من هؤلاء، لأنهم يعرفون أنفسهم ويعرفون بالطبع أنهم

لصوص!

أما خاتمة هذا الكتاب – الأعمال الشعرية الكاملة للهمشري- فقد اخترت أن أدرج فيها بعض الكتابات التى كتبها أصحابها لدراسة شعر هذا الشاعر الرقيق الذى رحل مع رفيقيه الشابى والتيجانى وهم فى ذروة شبابهم، وتتمثل تلك الكتابات – على وجه التحديد – فى مقال مهم بل على جانب عظيم من الأهمية: كتبه الدكتور محمد أبو طائلة – رئيس تحرير مجلة التعاون فى عدد فبراير سنة ١٩٣٩ وهو بعنوان الشاعر الهمشرى كما عرفته – ذكرى وبحث وتحليل، وإلى جانب هذا المقال الذى كتبه الدكتور محمد أبو طائلة بعد شهر ونصف الشهر على رحيل الهمشري، نلتقى مع أول مقال يكتبه صالح جودت عن صديقه الهمشرى وهو بعنوان النجم الآفل، وقد نشره فى العدد الخامس والعشرين من مجلة الثقافة – الصادر يوم ٢٠ يونيو سنة١٩٣٩ وهو مقال مؤثر ورقيق يتحدث فيه صالح جودت عن رفيق صباه، وما شهداه وعايشاه معا خلال مرحلة الطفولة والصبا.

وإلى جانب مقال صالح جودت، هناك مقال آخر بتوقيع ألف لام وهو بعنوان الشاعر محمد الهمشرى تحت المصباح، وقد كان تحت المصباح مقالا ثابتا أو شبه ثابت فى مجلة الأسبوع، ومن يراجع هذا المقال الثابت أو شبه الثابت عبر أعداد تلك المجلة خصوصا سنة ١٩٣٤ سيكتشف أن فيه كتابات عن إبراهيم ناجى وعلى محمود طه وصالح جودت وحسن كامل الصيرفى وسواهم، وبعد هذا المقال نقرأ هنا أو نعيد قراءة ما كان الناقد الكبير الدكتور محمد مندور قد كتبه عن الهمشرى فى الحلقة الثالثة من محاضرات فى الشعر المصرى بعد شوقى سنة ١٩٥٨ .

وإذا كنت لم أتحدث طويلا عن حياة الهمشرى فذلك لأنى لن أقدم جديدا، خصوصا لأن مقدمة صالح جودت التى تتصدر ما جمعه من قصائد الهمشرى تفى بهذا الغرض، فضلا عن أن لصالح جودت كتابا كاملا عن صديقه الهمشري، وقد صدرت طبعته الأولى سنة١٩٦٣ عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة – المجلس الأعلى للثقافة حاليا، والكتاب بعنوان م.ع. الهمشرى – حياته وشعره، لكنى أريد التوقف عند شعراء أبولو من زاوية محددة، هى نظرة كل منهم إلى المرأة، وهو موضوع كنت قد توقفت عنده فى المقدمة المطولة لكتابى إبراهيم ناجى – قصائد مجهولة، حيث تحدثت عن المرأة كما صورها كل من ناجى وعلى محمود طه ومحمود حسن إسماعيل وصالح جودت وأخيرا محمد عبد المعطى الهمشرى .

لماذا أريد التوقف عند شعراء أبولو من زاوية محددة، هى نظرة كل منهم إلى المرأة؟

قبل أن أجيب على هذا السؤال، أود أن أتوقف أولا عند فقرة معينة وردت فى كتاب صالح جودت عن الهمشري، وهذا نص تلك الفقرة – صفحة١٩ – (شاء القدر أن يكون بالمنصورة فى ذلك العهد، شاعران يكبراننا سنا، ولكنهما لم يكونا قد أخذا طريقهما إلى القمة بعد،هما على محمود طه المهندسّ، والدكتور إبراهيم ناجي، الطبيب، رحمهما الله. وتصادقنا نحن الأربعة، وعقدنا حلفا أدبيا لطيفا يضمنا فى ندوات يومية على شاطيء النيل، يقرأ كل من أطرافه على الآخرين ما نظم فى يومه، ويحدثهم عما قرأ فى ليلته، وهكذا أثر كل منا فى الآخر، وتأثربه، إلى حد أن أحدا منا لم يَدْرِ من التلميذ ومن الأستاذ، وإلى حد أن خطوط شعرنا قد تشابكت فى ذلك العهد، قبل أن تتضح ألواننا، ويشق كل منا طريقه وحده فيما تلا ذلك من سنين .)

أتوقف عند هذه الفقرة ، لكى أقوم بتوثيق ما يقوله صالح جودت فيما يتعلق بميلاد كل شاعر من الشعراء الأربعة ، فأكبرهم وهو الدكتور إبراهيم ناجى – وليس على محمود طه – قد ولد يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ويأتى بعده على محمود طه الذى ولد يوم ٣ أغسطس سنة ١٩٠٢ أما الهمشرى فقد ولد خلال أحد أيام شهر يوليو سنة ١٩٠٨ بينما ولد صالح جودت يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٢ وهذا يعنى أن فارق العمر بين أكبرهم (ناجى) وأصغرهم (صالح جودت) هو أربع عشرة سنة ، وأعتقد أن هذا الفارق الكبير فى العمر بين أى إنسانين كفيل بأن يجعلنا نتشكك فى مقولة أن أحدا منا لم يَدْرِ من التلميذ ومن الأستاذ، وفى تصورى أن ما يقوله صالح جودت هو تبرير لما كان قد وقع قبل سنتين من صدور كتابه هذا من أخطاء جسيمة تتعلق بجمع وتحقيق ديوان ناجي، وكان هو واحدا من أعضاء اللجنة التى كلفت بمهمة الجمع والتحقيق، أما الأعضاء الآخرون فهم الدكتور أحمد هيكل وأحمد رامى ومحمد ناجى الشقيق الأكبر لناجي، حيث ضم هذا الديوان قصيدة مطولة لعلى محمود طه على أساس أنها لناجي، رغم أن تلك القصيدة منشورة وليست مخطوطة، وهى تحمل اسم صاحبها، فضلا عن القصائد العديدة التى نسبت لناجى بينما هى من شعر الدكتور كمال نشأت !

ومن هذا المنطلق يؤسفنى أن أقول إنه ليس صحيحا أن الشعراء الأربعة قد

تشابكت خطوط شعرهم فى مرحلة صداقتهم الجميلة فى مدينة المنصورة، وذلكُ لأن من يقرأ قصائد كل شاعر منهم حتى فى تلك المرحلة يمكنه أن يميز بينهم، وهذا لا ينطبق فحسب على هؤلاء الشعراء الأربعة – إبراهيم ناجى وعلى محمود طه ومحمد عبد المعطى الهمشرى وصالح جودت، وإنما ينطبق على كل شعراء أبولو الآخرين، بصرف النظر عن تفاوت مواهبهم الشعرية.

وربما لهذا السبب، أود التوقف – كما قلت – عند شعراء أبولو من زاوية محددة، هى زاوية نظرة كل منهم إلى المرأة، وهذا ما سأفعله الآن.

***

عاش الدكتور إبراهيم ناجى حياته كالفراشة الحائرة التى تنتقل من غصن إلى غصن، عساها أن تجد الزهرة المنشودة. وكلما توهم أنه قد وجد تلك الزهرة كانت الهوة العميقة ما بين المثال وبين الواقع تبرز له.. ولقد كانت تلك الهوة تفصل ما بين المثال الذى خلقته تصورات شاعر مثالى للمرأة التى ينشدها بكل ما يخلع عليها من صفات ملائكية تجعلها دوماً مرفرفة فى محرابها العلوى بعيداً عن البشر الفانين، وبين الواقع الذى تتمخض عنه الحياة بكل ما فيها من نقائص بشرية وبكل ما تجلبه معها من منغصات أرضية.

هذه الهوة العميقة ما بين المثال والواقع هى نفسها التى جعلت ناجى يحترق طيلة حياته.. وأغلب ظنى أنه كان يعى هذا ويدركه تماماً، ولكن أكان بمقدوره أن يشكل حياته تشكيلاً جديداً مغايراً لما تشكلت عليه تلك الحياة بالفعل؟ وهل كان باستطاعته أن يخرج عن القضبان التى حددتها له عوامل نفسية واجتماعية عديدة، تضافرت مجتمعة لكل تجعل الشاعر يسير عليها سواء أشاء هذا أم أبى.. رضى عنه أم كرهه.. فهذه العوامل هى التى يصطلح معظمنا على تسميتها بالقدر..؟!

حقاً إن ناجى كان – فى بعض الأحيان – يتمرد على تصوراته للمرأة التى ينشدها، ويحاول أن يقنع نفسه بأن تلك المرأة لا وجود لها فى الواقع لأنها من صنع خياله هو فحسب؛ لكن الحق أيضاً أن هذا التمرد لم يكن يزيد عن كونه فقاعة صغيرة ما تلبث أن تتلاشى وسط تقلبات العواصف ودوامات البحار.. لنستمع إليه وهو يصرخ صرخة تمرد حادة وعابرة فى نفس الوقت حيث يقول فى إحدى مقطوعات «الأطلال»:

هاك فانظر عدد الرمل قلوباً ونساء

فتخير ما تشاءْ... ذهب العمر هباءْ

ضل فى الأرض الذى ينشد أبناء السماء

أي روحانية تُعصَرُ من طينٍ وماء

وبالطبع.. فإن هذه الفقاعة ما تلبث أن تتلاشى، وما يلبث الشاعر أن يعود إلى القضبان التى حاول أن يخرج عنها... ومن هنا فإننا نجده يتساءل عن معنى الحياة بدون الحب، ويظل هذا التساؤل يلح على وجدانه وفكره معاً كلما تمعن فى شتى مظاهر الحياة.. إنه يتساءل عن الدافع الذى دفع الله تعالى إلى أن يزين السماء وينسق الكون ويجعله بهياً حافلاً بشتى ألوان الجمال، كما يتساءل عن علة انبثاق الفجر من خلال الظلمة وكأنه الميلاد الجديد للكون النائم.. إنه يتساءل ويتساءل.. ثم لا يدع أحداً غيره يجيب فهو يرى أن كل هذا الجمال ليس إلا من أجل «روحين فى أفق حلقا»، فكل هذا الجمال ليس له من معنى فى نظر الطائر المغرد الروح الذى يضرب فى متاهة الأفق وحده بغير أليف، ولو أن هذا الطائر وجد أليفه لأدرك وقتئذ معنى الحياة وتمثل مفاتنها وسحرها وتمتع بجمالها وروعتها.. وإذا كان الشاعر يتساءل هنا عن معنى الحياة بدون الحب، ثم يجيب بنفسه عن تساؤله الذى صاغه فى إطار رؤية شاملة، فإنه – فى البيتين التاليين – يقرر بصورة لا لبس فيها أن حبيبته هى وحدها التى علمته معنى الحياة، وأنه بدونها لا يجد لها معنى.. فى هذين البيتين لا يتساءل الشاعر وإنما نجده يقرر.. وهو – فى هذه المرة – يقرر ما قرره من خلال منظور ذاتى بحت لا فى إطار رؤية شاملة.. وهذا بالطبع ما يغلب عليه:

أنت التى علمتنى معنى الحياة حبيبة ونجية وصديقَا

أنكرت معناها بغيرك واستوت وتشابهت سعة على وضيقَا

والواقع أن الحياة – فى نظر ناجى – كانت مسرحاً كبيراً يظل الممثلون يعتلون خشبته، ويلعبون أدوارهم التى حددها لهم المخرج مقدماً، وأسعد الممثلين هم أولئك الذين يعهد إليهم المخرج بتمثيل أدوار الحب، لأن هؤلاء – وحدهم – هم الذين يقدر لهم عندئذ أن يدركوا معنى المسرحية التى يمثلونها، والحق أن المتتبع لصورة الحياة – على هذا النحو – عند ناجي، يجد أن الشاعر قد أغرم بها منذ صباه الباكر،

ويلوح لى أن هذه الصورة قد ارتسمت فى مخيلته الشابة نتيجة إدمانه قراءة شكسبير الذى كان يدمن قراءته منذ كان شاباً، ثم ترجم له – فى أخريات أيامه – عدداً من «سونتاته».. ولقد تمثل ناجى هذه الصورة تمثلاً عميقاً، بعد أن استوعب دقائقها فى «ماكبث» شكسبير على وجه التحديد، وها هو يرسمها فى إحدى قصائده المبكرة التى نشرها عام ١٩٢٢ أى وهو فى الثانية والعشرين من عمره:

نزل الستار على الرواية وانقضت ... تلك الفصول وفُضَّ ذاك المسرحُ

وكان من ولع ناجى بهذه الصورة للحياة أنه كان يعود إلى رسمها فى قصائد عديدة له فى مختلف فترات حياته، ومن هذه القصائد قصيدة «رواية» التى تضمنها ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، ففيها يفصل القول ويبرز الجزئيات، ويحدد الملامح والقسمات، وها هو يعلن ملتاعاً أن «المسرح» قد انفضَ ملعبه.. لماذا؟ لأن صحب الشاعر قد مضوا كما ٌن أحبته قد هجرو،، تاركين إياه وجهاً لوجه أمام الزمان يسمعه ضحكه الساخر، ويريه كيف يقهقه القدر:

نـــزل الـــستار ففـــيم تنتظـــرُ ... خَلَـــتِ الحيـــاةُ وأقفـــر العمـــرُ

لم يبـــق إلا مقفـــر تعـــس ... تعـــوى الـــذناب بـــه وتـــأتمرُ

هـــو مـــسرح وانفـــض ملعبـــه ... لم يبـــق لا عـــين ولا أثـــرُ

وروايـــة رويـــت وموجزهـــا ... صـــحب مـــضوا وأحبـــة هجـــروا

عـــبروا بهـــا صـــوراً فمـــذ عـــبروا ... ضـــحك الزمـــان وقهقـــه القـــدرُ

وإذا كانت الحياة باعتبارها مسرحاً، تكتسب معناها من وجود الحب فى مشاهدها، وتفقد كل معنى مشرق عندما ينتفى منها الحب، فإن الموت هو الصخرة الصماء المخيفة التى تسقط – من عل – على خشبة المسرح فتحطمها فى غير هوادة ولا لين. والشاعر – بطبيعة الحال – لا يخشى على خشبة المسرح فى حد ذاتها، وإنما هو يخشى عليها لأنها تمثل الإطار الذى يعيش الحب داخله، ومن هنا فإننا نجد أن ناجى – فى قصائد عديدة له – يؤكد أنه لا ضير من تحطيم المسرح إذا انتفى منه الحب، ولعل تساؤله الذى وجهه لنفسه فى مستهل قصيدته «رواية» أن يكون شاهداً على ذلك: «نزل الستار.. ففيم تنتظر؟!»..

لو عدنا إلى المرأة، فإننا نجد أنها تمثل الهدف الأسمى فى الأدب الرومانسى

بصورة أساسية، بل إن النظر إلى الحياة – كما يقول رجاء النقاش فى مقدمته المطولة لديوان مدينة بلا قلب لأحمد عبد المعطى حجازى – «إنما يكون من خلال أفراح الفنان وأحزانه فى تجربة المرأة، فروح الجمال تشيع فى الدنيا وفى الطبيعة إذا ما كان هناك أمل فى نجاح التجربة مع المرأة أو مجرد وهم فى هذا الأمل، وتحل محل هذه الروح الفرحة روح أخرى مشبعة بالحزن إذا ما تعرضت تجربة الحب لعائق من العوائق» ولذا فإنه يصبح من الضرورى فى مجال المقارنة بين شعراء جماعة أبولو أن نقارن بينهم من زاوية نظرة كل شاعر منهم إلى المرأة، وفى هذه الحالة سنكتشف أن أقربهم إلى روح إبراهيم ناجى هو محمد عبد المعطى الهمشري.

ومن خلال المقارنة يتضح لنا أن ناجى هو الوحيد الذى ظل يصور أحاسيسه هو ومشاعره هو تجاه المرأة، كما أنه الوحيد الذى ظل يبثها أشواقه المتلهفة الظمأى، ويعدها الملاذ الذى يلجأ إليه حينما تضيق به الحياة، بينما كان على محمود طه يصور المرأة فى حد ذاتها – لا أحاسيسه هو تجاهها – كما أنه كان يختار نماذج معينة من «المرأة» لكى يصورها، فهو تارة يهبط «فى مخدع مغنية» ذات ليلة وهى تقبله فى رضى وسماح، ثم يحدثنا عن عتابها له وعن إغرائها له وطلبها منه أن يغتنم الليلة التى جمعتهما إلى أن يلوح الصباح، ورغم هذا الإغراء وهذا الطلب فإنه يأبى إلا أن يصور لنا نفسه فى صورة طير الخيال الذى جاءها – فقط – لكى يصدح فى روضها بلغته.. لغة الشاعر.. أو لكى ينام فى سريرها بلغتنا نحن الأرضية!! وهو تارة يركب الجندول مع إحدى الحسناوات فى أوروبا، وعندما تعبث النشوة بكيانه فإنه يهتف مترنماً «ليلنا خمر وأشواق تغنى حولنا»! وهو تارة ثالثة يصور راكبة الدراجة – فى أوروبا أيضاً – وهى تلك الراكبة الحلوة التى انطلقت بدراجتها فما كان من الهواء العابث إلا أن كشف خميلة تفاحها.. بلغة الشاعر.. أعنى أن الهواء رفع ثيابها فكشف عن ردفيها.. بلغتنا.. نحن الأرضية!! يقول على محمود طه فى ديوان زهر وخمر – ص ٤٠:

يا لهواء عابث ممراح ... سكران لا من خمرة الأقداحِ
بل من صباك والصبا كالراح ... يرفع طرف الثوب فى مزاح
لا يستحى من لائم ولاحي ... قد آذن الفخذين بافتضاح
ونم عن خميلة التفاح ... فوق كثيب الورد والأقاح
أخشى على حسنها الوضاح ... عين اشتهاء ويد اجتراح

والواقع أن الشاعر قد نسى أن يبين لنا أى عين مشتهية وأى يد مجترحة يُخشى منهما على خميلة التفاح؟! أهى عينه هو التى اشتهت، وهل يده هى التى اجترحت؟ أم أنه يخشى من عين رحل آخر ويد رجل آخر؟! الواقع أن الشاعر قد نسى أن يبين لنا هذا، لكنه – فى نفس الوقت – لم ينس أن يبين لنا أنه يود أن يصون خميلة التفاح الخاصة براكبة الدراجة حتى عن الصباح؟ وكيف يصون الشاعر تلك الخميلة.. إنه يود أن يصونها بالروح وهذا جائز ومقبول، ولكن كيف يود أن يصونها بالراح.. أى بالخمر..؟ الحق أن هذا ما لم أستطع فهمه! أو هذا ما لم يوضحه لنا الشاعر:

وددتُ لــو بــالروح أو بــالراحِ صــنتها حتــى عــن الــصباحِ

تصوير المرأة إذن عند على محمود طه إن دل على شيء، فإنما يدل على أنه لم يكن يحترق، وإنما يدل على أنه كان يلهو.. وهو لم يكن يلهو بشيء واحد.. وإنما كان يلهو بشيئين.. يلهو فى حياته المتخففة من الأعباء بهذه النماذج التى يتحدث عنها من النساء مما يجعله يتعلق بالقشور والمظاهر ويبتعد عن الأعماق والجواهر، كما أنه كان يلهو فى فنه بالألفاظ الموسقة التى ليست لها أعماق، ولا تحمل فى طياتها أية معاناة حقيقية.

فإذا تركنا هذا الشاعر إلى شاعر آخر من شعراء جماعة أبولو هو محمود حسن إسماعيل فإننا نجده يغلف قصائد الحب عنده بغلالة قاتمة من الصور والتعبيرات الرمزية والتراكيب الملتوية التى تحجب عن قارئه هذا الحب، وتجعله متشحاً بالغموض، وهذا ما جعل تصويره للمرأة يبدو مبهماً فى ديوانه الأول «أغانى الكوخ» مع أن قصائد عديدة من قصائد هذا الديوان تتحدث عن تجربة حب مخفقة، حيث كان الشاعر يهجر كوخه الصغير لكى يقف أمام سور القصر الذى تعيش فى أرجائه معبودته، كما يبدو من خلال قصيدة «وقفة حيال القصر» التى صَدَّرها الشاعر بقوله: «هى ساعة مريرة تطاير فيها رشد الشاعر من لوعة الحرمان حيال معبد غرامه»، والواقع أن هذه القصيدة ومثيلاتها تشى بالحياة الاجتماعية التى عاشها الشاعر من جهة، كما أنها تتعارض مع القصائد التى تصدرت الديوان والتى يحدثنا فيها عن رغبته فى الثورة على الإقطاع بكل ما كان يكيله للفلاحين المعدمين من عذابات وويلات، ومن حقنا أن نتساءل: كيف يتسنى للشاعر أن يهاجم القصر – رمز الإقطاع – وهو ذليل له.. لا ذلاً مدياً، فهذا يهون، وإنما وهو ذليل له ذلاً معنوياً؟ وكيف يستطيع أن يتحدث عن قضايا الفلاحين وهو متعلق بفستان ابنة الأكرمين؟! هذا اضطراب فى

رؤية الشاعر وعجز منه عن أن يوجد بين القضايا التى تبدو متباعدة؟ أم أنه ليس من حقى أصلاً أن أتساءل هذا التساؤل لأننى – بهذا – أخلط بين قصائد الحب والقصائد الاجتماعية؟! على أى حال فإننا نجد محمود حسن إسماعيل فى إحدى قصائد هذا الديوان يوجه رسالة إلى فستان معبودته الأحمر يبلغه فيها أنه لو كان ناراً فإنه – أى الشاعر – يود أن يخلد فى سعيرها ولو كان ورداً، فيالهفة روحه لعبيره، ثم يود الشاعر أن يصبح ذرة صغيرة تنبض فى أثير الفستان.. كل هذا لكى يتسنى له أنى قبل الحسن ثم يفنى بين عطوره:

إن تكن ناراً فما أشهى خلودى فى سعيرك
أو تكن ورداً فيالهفة روحى لعبيرك
ليت يا فستان لما لحتَ تزهو فى حريرك
كنت ذراً نابض الإحساس يجرى فى أثيرك
يلثم الحسن ويهوى فانياً بين عطورك

فإذا تركنا محمود حسن إسماعيل إلى صالح جودت، فإننا نجده – فى قصائد عديدة له – يصور أحاسيس المرأة ذاتها، أو يعبر عن الجانب اللاهى من قضاياها، أو يتغزل بها وهو مدرك أنه يتغزل فى مخلوق من طين وماء.. لا فى مخلوق سماوى شفاف، وهو لهذا يجعل من غزله سلماً يرقى درجاته إلى الجسد الأنثوي، حيث يستمتع بمفاتنه وينعم بخيراته، ومن هنا تعددت نوعيات النساء اللائى تحدث عنهن فى قصائده، ونجده أحياناً يحاول أن يفلسف غوايته للمرأة مذكراً إياها بقصة الخطيئة الأولى على الأرض.. يقول صالح جودت فى ديوان ليالى الهرم – ص ١٢٩:

لا تلومينى لأفكارى الجريئة ... أول القصة فى الأرض الخطيئة
لا أبونا آدم عف ولا ... أمنا كانت من الذنب بريئة
عَصَرَا فى دمنا تفاحةً ... ما لنا فيها نغذيه مشيئة
هى فى كل ذهاب نغم ... ولها ترنيمة فى كل جيئة

وعلى أى حال، فإن القارئ لصالح جودت يحس أن الشاعر – فى بعض الأحيان – ينظم القصيدة.. لا لكى يتقرب بها إلى آلهة الجمال والفن، بقدر ما ينظمها

لكى يتقرب بها إلى المرأة التى يريد أن يغريها، وهذا ما جعل الدكتور محمد مندور - فى الحلقة الثانية من كتابه محاضرات فى الشعر المصرى بعد شوقى - يقول عنه بشكل واضح «إنه شاعر عابث لعوب يشف عن روح الصالونات المصرية».

أما الشاعر محمد عبد المعطى الهمشرى فإنى قد قصدت أن يكون هو آخر هؤلاء الشعراء، مقدماً عليه من اختلفوا اختلافاً كبيراً عن ناجى فى تصويرهم للمرأة ومفهومهم للحب، وذلك لكى تكون المقارنة أكثر وضوحاً، فالحق أن الهمشرى أقرب إلى ناجى من أى شاعر آخر من شعراء جيله، ويلوح لى أنه قد تأثر به بحكم مزاج كل منهما المتآلف من مزاج الآخر فضلاً عن مخالطة الهمشرى - وهو بعد صبى - لناجى الذى كانت الأوساط الأدبية قد بدأت تعرف اسمه، هذا إلى جانب أن تصور الهمشرى للحب انبثق من تصور ناجى له، وكان للهمشرى حبيبة احترق بنار حبها احتراقاً ما بعده احتراق، أبرزه فى معظم قصائده التى كتبها خلال حياته القصيرة التى لم تتجاوز ثلاثين سنة كما نعرف، ومن هذه القصائد مطولته التى اشتهر بها وهى «شاطئ الأعراف» وقصيدة «إلى نوسا» أعنى «نوسا البحر» وهى قرية قريبة من المنصورة، كانت حبيبته تسكن فى بيت من بيوتها، والهمشرى - فى هذه القصيدة - يتمثل صورة الناقوس الذى يحمله الشاعر بين جوانحه لكى تسمعه الحبيبة فتعرف أنه يعبدها، فالحق أن ناجى قد رسم هذه الصورة فى إحدى قصائده المبكرة التى أعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الهمشرى قد اطلع عليها وأحبها وكبرت فى مخيلته صورة قلب ناجى فى قصيدته «الختام»:

لهفى على الناقوس بين جوانحي ... وعلى بقية هيكل لا تصلح

لا فرق بين أنينه ورنينه ... وصداه فى وادى المنية أوضح

تمثل الهمشرى هذه الصورة التى رسمها ناجي، لكنه ضخمها عندما رسمها فى قصيدته هو، فناجى جعل الناقوس يدق بين جوانحه فحسب بينما جعل الهمشرى الناقوس يدق فى قرية حبيبته كلها وهذا ما يقوله فى مجلة أبولو، العدد السابع، مارس ١٩٣٣، ص٨٥٣:

إن تسمعى قرع ناقوس بقريتكم ... فى مطلع الفجر ينعى الليل والغلسا

فإنه قلبى المنكود يذكركم ... فهل سمعتِ بقلب قد غدا جرسا

الروح إن ظمئت يوماً فحاجتها ... خمر سماوية فاحت بها قدسا

وأنت يا «توحُ» روحانية خُلِقَتْ ... لكى تُرِينَنا عُلَا الجنات منعكسا

وأتوقف هنا عند قصيدة للهمشرى جمعتها من مجلة «الأسبوع» فى عددها الصادر بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٣٤، وقد كان الشاعر – وقتها – فى السادسة والعشرين من عمره.

يناجى الهمشرى حبيبته التى فتح عينيه فى الفجر على طيفها السامي، وهو هنا يحاول – على نقيض ناجى – أن يخلع عواطفه على الطبيعة وأن يجعل شتى مظاهر الجمال بها تنطق باسمه، وكأنه كان يريد أن يتوحد فيها توحد الصوفى بالذات العليا، بينما كان ناجى يتحدث عن حبه دون أن يمزج روحه بالطبيعة وكأنه كان يأبى أن يكون هناك وسيط بينه وبينها ولو كان هذا الوسيط هو الطبيعة، يقول الهمشرى فى قصيدته «نداء الفجر» التى أقدم الآن نصها الكامل المجهول نقلا عن مجلة الأسبوع – فى الصفحة التاسعة عشرة من العدد الصادر يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٤:

النسيم العطرى نَدَّى جبيني ... والضياء الليلى حَفَّ جفوني!

وطيوف الأحلام تخفق حولي ... فى هموم الكرى، ورف السكون

فتح الفجر فى الظلام مقاصير ... سر خيال للشاعر المفتون!

غَلَّفَ السحر أفقها فتراءت ... كبقايا من عالم مسكون

فتعالى إلىَّ.. ها أنذا وحـ ... ـدى أناجيك فى حفيف الغصون!!

أنت فجر يشع فى ظلماتي ... يكشف السحر فى مروج حياتي

فتغنى فيها ملائكة الرحـ ... ـمة أنشودة الخلود الآتي!

أنت سحر يبدو وراء خيالي ... أنت نور يرف فى مشكاتي

وعيون فجرية تتجلى ... لتنير الكثيب من ليلاتي!

فتعالى إلىَّ.. ها أنذا وحـ ... ـدى أناجيك فى ذهول صلاتي!!

طفت فى المعبد المقدس فى الفجـ ... ـر، أناديك فى ضجيج الجموع!

فى يدى الشمعدان يخفق فى الصمـ ... ـت، ويخبو على ظلال الركوع!

وعـــلى مـــذبح الغـــرام تقربـــ ت بروحـــى فى ذلـــة وخـــشوع
غـــير أنـــى رأيـــت هـــذا قلـــيلاً فتقربـــت بعـــدها بـــدموعي!
فتعـــالى إليَّ.. هـــا أنـــذا وحـــ ـدى أناجيك فى رفيف الشموع!!

وهنا أترك الهمشرى وحده – كما يود هو – لكى يتقرب بروحه على مذبح الغرام، ثم يتقرب بعد هذا بدموعه.. أترك مبدع هذه الأعمال الشعرية الكاملة وحده دون أن أحاول تنبيهه إلى أن الروح أغلى من الدموع، ولذا فإنه كان من الواجب عليه أن يتقرب بدموعه أولاً فإذا رأى هذا قليلاً. فعليه بعد ذلك أن يتقرب بروحه فى خاتمة المطاف!

على ضوء هذا فإنى أعتقد – كما قلت – أن كل شاعر من شعراء جماعة أبولو كانت له نظرته المتميزة إلى المرأة وإلى مختلف مجالات الحياة، وهذا ما حاول صالح جودت أن ينفيه عنهم وعنه باعتباره واحدا منهم.

***

بعيدا عن المرأة، وعن الحب الذى ينعش قلب الشاعر ويجعل الحياة فى نظره واحة مخضوضرة، فإن الهمشرى كان كأنما يستشف أن حياته لن تكون حياة طويلة، لأنه أحس – بحدس الشاعر المرهف – أن الموت يطارده فى كل حركة ومن كل اتجاه، ويبدو لى أنه كان يستعذب تلك المطاردة، وكأنه هو الذى يطارد الموت ويسعى متلهفا إليه، وأستطيع القول إن الهمشرى يكاد يكون هو الوحيد من بين شعراء أبولو فيما يتعلق بولعه الحزين لا بالحب، وإنما بالموت، ولا يشاركه فى هذا الولع الحزين، وبنفس الإصرار، إلا رفيقه الذى رحل قبله فى تونس، وهو أبو القاسم الشابى.

كان عمر الهمشرى سنة ١٩٣٠ اثنتين وعشرين سنة، وفى تلك السن التى يفترض أن تكون متفتحة للحياة، وساعية وراء ملذاتها وزخارفها، تزلزلت أعماقه، حين تابع باهتمام شديد ما فعله بنفسه شاعر موهوب آخر، كان قد ولد قبله بخمس سنوات، هو الشاعر أحمد العاصي، الذى أقدم على الانتحار، نتيجة يأسه من الشفاء مما قد ألم به، وقد ترك أحمد العاصى قبل انتحاره ورقة صغيرة، كتب فيها بخط يده: جبان من يكره الموت، جبان من لا يرحب بذلك الملاك الطاهر، إننى أستعذب الموت، وهو لى كالعطر.

كتب الهمشرى قصيدة رثاء، وجهها لأحمد العاصي، وكذلك فعل صديقه صالح جودت،الذى أبدى دهشته حين اكتشف أن قصيدته تكاد تتشابه فى إيقاعها وفى روحها مع قصيدة الهمشري، لكن صالح جودت تصالح مع الحياة، أما الهمشرى فقد كان – كما قلت – كأنما يطارد الموت، ويسعى متلهفا للقياه ! لكن ما لم يشر إليه صالح جودت أن قصيدته وقصيدة الهمشرى تنهلان من منبع واحد، يتمثل فى رائعة المتنبى العظيم، والتى يبدو فيها عدميا تماما، وفيها يقول :

لا بـــد للإنـــسان مـــن ضـــجعة
لا تقلـــب المـــضجع عـــتن جنبـــه
نحـــن بنـــو المـــوتى فـــما بالنـــا
نعـــاف مـــا لا بـــد مـــن شربـــه
يمـــوت راعـــى الـــضأن فى جهلـــه
ميتـــة جـــالينوس فى طبـــه
وربـــما زاد عـــلى عمـــره
وزاد فى الأمـــن عـــلى سربـــه

أقدم أحمد العاصى على الانتحار، وهو فى السابعة والعشرين من عمره، وظل الهمشرى يسعى للقاء الموت إلى أن التقى معه وهو فى الثلاثين من عمره، ويكفى أن نراجع عناوين قصائد عديدة من شعره، أوعناوين قصائد أخرى لشعراء إنجليز، قام بنقلها شعرا إلى لغتنا العربية، لكى نتأكد تماما مما أقول، وها هى عناوين بعض تلك القصائد : الأنشودة الأخيرة – مرثية كتبت فى فناء كنيسة قرية – الشاعر المنتحر – المرثية الحزينة، وأظن أنه من المهم أن نقرأ قصيدة من قصائد أحمد العاصي، وهى بعنوان الساعة الأخيرة، وفيها يقول الشاعر قبل انتحاره :

ســـاعة يؤنـــسنى فيهـــا الملـــك
هامـــسا هيـــا لمـــن قـــد أرســـلك
قـــائلا لا تخـــش ســـوءا يـــا فتـــى
هـــا هـــو المركـــب قـــد هيـــأت لـــك
سر حثيثـــا لا تمـــانع إنـــما

فى غـد تثنـى عـلى مـن أوصـلك
واسـع بـالروح إلى المـولى ولا
تـذكر الـدنيا فليـست منزلـك

هذا هو جوهرما كان أحمد العاصي يسعى إليه، بل ينشده ويتمناه، وهو نفس الجوهر الذى لخصه وكثفه فى الورقة الصغيرة التى كتبها – بخط يده – قبل إقدامه على الانتحار.. جبان من يكره الموت، جبان من لا يرحب بذلك الملاك الطاهر، إننى أستعذب الموت، وهو لى كالعطر. ويبدو لى أن هذا الجوهر هو الذى تغلغل فى أعماق الهمشري، على الرغم من أن صديقه صالح جودت يؤكد أن مظهر الهمشرى كان مظهر شاب مقبل على الحياة، وليس متلهفا للقاء الموت.

***

يبقى أن أقول إنى معتز كل الاعتزاز بأن مكتبتى تضم مجلدات مجلة أبولو كاملةً، كما أننى استطعت جمع أعداد مجلة التعاون بمساعدة صادقة من صديقى القديم والمتجدد الكاتب الناقد فتحى عبد الحافظ، فضلا عما أقتنيه من مجلدات العديد من الدوريات التى كان الهمشرى وشعراء جيله ينشرون قصائدهم على صفحاتها، وهذا ما يدفعنى – متحمسا- للقيام بواجبى الروحى تجاه هؤلاء الشعراء الرائعين الذين أحببتهم وتذوقت ما أبدعوه على امتداد سنوات تلو سنوات، على الرغم مما يرتكبه الذين يسطون على جهدى وعلى جهود سواى من الآخرين الجادين

وتبقى التحية لروح مبدع هذه الأعمال الشعرية الكاملة – الشاعر محمد عبد المعطى الهمشري،الذى كان يستشف – بحدس الشاعر – أنه لن يعمر فى الحياة طويلا، وهذا ما يتجلى – كما ذكرت – فى العديد من قصائده، ومع هذا كله فإن حياته القصيرة لم تستطع أن تطمس موهبته الكبيرة.

الخميس ١٢ أبريل ٢٠١٢

حسن توفيق
المزيتون – القاهرة

magnoonalarab@yahoo.com

الأعمال الشعرية الكاملة

لمحمد عبد المعطى الهمشري

obeikan.com

obeikan.com

(١)

قصائد الهمشرى التى جمعها

محمد فهمى

سنة ١٩٤٥

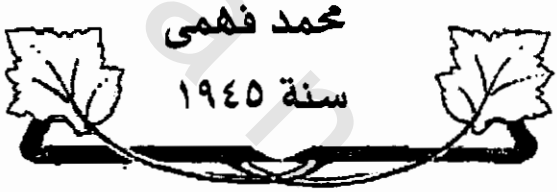

obeikan.com

obeikan.com

م . ع . الهمشري

يوليو ١٩٠٨ – ديسمبر ١٩٣٨

بقلم: محمد فهمي

إذا ذُكرَ الهمشرى فقد ذكر شاعر الطبيعة المصرية والروح المصرية فى سحرها العميق، وجلالها الرائع. ففى كل قصيدة لهذا الشاعر نشعر بإحساس يشابه ذلك الذى نحسه حين نتنقل بين هياكل مصر القديمة الخالدة حيث يمتزج السحر بالجمال والجلال.

وكأن الطبيعة فى شعره تحيا وتتنفس مجسمة بكل خصائصها المميزة بألوانها وأعطارها، بهجيرها وزمهريرها، بسكونها العميق وصمتها الممتد فلا تحس حين تقرأ شعره أن شاعراً يصف الطبيعة بل الطبيعة نفسها تنطق على لسان شاعر.

والهمشرى يتميز شعره بالألوان رغم تعدد آفاق المعانى التى تفجرها تعابيره المبتكرة، فالعطر قمري، والنغم وضيء، واللحن مفضض، والسكون مشمس... وهكذا من المعانى التى تبدو لأول وهلة لغرابتها وبعدها عن المألوف فى الأدب العربى ولكن الجو الذى يخلقه الشاعر يجعل هذه المعانى منسجمة تمام الانسجام حتى لتختفى منها وحشة الغرابة وتتحول إلى استثارة الإعجاب، وخطورة هذا الضرب من المعانى تكون فى تقديمه دون تهيئة جوه الملائم فى القصيدة، ذلك الجو الذى تخلقه حالة انفعال الشاعر واهتزازاته النفسية فى شبه سيال كهربائى يلمس روح القارئ فيشيع لديه جواً مماثلاً يجعله مستعداً لقبول هذه المعاني.

والموسيقى فى شعر الهمشرى أمواج متدفقة من أغوار روحه تتراقص أصداؤها متسابقة إلى أعماق النفس فهى أحياناً تهزها من نشوة الطرب، وأحياناً تجنح بها إلى سكون لذيذ، وآناً تفعل فيها فعل المخدر ولا ينسى أثرها قط. ومن أشعاره إلا موسيقى ملونة أو صور موسيقية... وإذا قرأت شعر الهمشرى دون استجابة لأنغامه الموسيقية مكتفياً بتذوق معانيه فاتك من روعته الشيء الكثير.

نشأ الهمشرى ببلدة السنبلاوين بجوار المنصورة عاصمة الدقهلية، أى فى أحفل بقاع مصر بالجمال الصامت (الطبيعة) والجمال الحى (الجمال البشري) وفى هذه البيئة الحافلة بكل شيء جميل، قضى طفولته وصدر شبابه، وطفولة الشاعر أهم ينبوع

لمعانى شعره، فجاءت أشعاره صدى لإيقاع الجمال على قيثار روح نبيل... تطالعنا فيها أفتن صور الريف المصرى والطبيعة المصرية وكأنما ننظر إليهما فى مرآة، وقصائده: «العودة» و«أغنية النخيل» و«اليمامة»... صور خالدة للريف المصري.

وأواخر دراسته الثانوية بالمنصورة وأوائل عهده (الذى لم يطل) بكلية الآداب بالجيزة أخذت شاعريته فى تلك السن المبكرة تكمل ونبوغه يشرق راسماً فى آفاق الشعر صوراً ومشاهد تدهش الرائين، وكانت ملحمة شاطئ الأعراف أثراً باذخاً لشاعريته فى تلك السن المبكرة، وقد نشرت حينئذ بجريدة السياسة الأسبوعية مصدرة بمقدمة لرئيس تحريرها ندر أن كتبت لشاعر، كلها ثناء وإعجاب بالشاعر النابه، وهكذا شاء القدر الذى قضى أن تقطف حياة الهمشرى فى ريعان الشباب أن يكون نبوغه مبكراً حتى تتم روعة قصيدة حياته فى كلا المطلع والمقطع، وهل كانت حياة الهمشرى إلا قصيدة رائعة وصفها رفيق صباه الشاعر صالح جودة فى رثائه الموجع الخلاب؟

إن ملحمة شاطئ الأعراف التى كانت وما زالت حدثاً شعرياً بعيد الأثر ستظل شاهداً ناطقاً على عمق هذا الشاعر وثرائه الطائل فى عالم المعانى فوق قدرته على التعبير الرصين، وأنها لجديرة أن يفرغ لها أكثر من واحد من النقاد والمفكرين، وسيفرغون لها بلا شك فى يوم من الأيام لجلاء ما فيها من عجائب الخيال وروائع التصورات.

أما قصائده: «النارنجة الذابلة»، و«جنا الفاتنة»، فهما من أبدع هدايا الشعر الحديث، وسيظل ما فى الأولى من عذوبة وما فى الثانية من شاعرية مبدعة معيناً لا ينضب لكل جيل.

والخيال عند الهمشرى طليق جرئ يقتحم أبعد الآفاق ويتخطى أعلا الذرى، وإذا سيطر على موضوع القصيدة رأيت منه ما يدهش ويشوق وإن كان غالباً ما يميل إلى الظلام والكآبة والحزن، حتى لا تكاد تخلو قصيدة أطلق فيها لخياله العنان من ذكر الموت وكأنما قد ألهم خاتمته الوشيكة!

وقد كان رحمه الله يتمثل فيه كبرياء الفنان فما مدح قط، وما كان لمثله أن يمدح أميراً أو وزيراً، وهل الفنان الحق إلا أمير متوج على أعظم مملكة فى الوجود ألا وهى مملكة الفكر؟!

وإثر عملية جراحية قضى الشاعر نحبه، ولما يجاوز الثلاثين، مخلفاً وراءه شفقاً شعرياً لا يغيب حافلاً بالصور والألوان والأنغام...

النارنجة الذابلة

كانت لنا عند السياج شجيرة ... ألف الغناء بظلها الزرزورُ
طفق الربيع يزورها متخفياً ... فيفيض منها فى الحديقة نور
حتى إذا حل الصباح تنفست ... فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى إلى أرض الحديقة كلها ... نبأ الربيع وركبه المسحور

***

كانت لنا .. يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

***

قد كنت أجلس صوبها فى شرفتي ... أو كنت أجلس تحتها فى ظلتي
أو كنت أرقب فى الضحى زرزورها ... متهللاً يغشى نوافذ غرفتي
طوراً ينقّر فى الزجاج وتارةً ... يسمو يزرزر فى وكار سقيفتي
فإذا رآنى طار فى أغرودة ... بيضاء واستوفى غصون شجيرتي
كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور...

***

فمتى يؤوب هتافه ومتى أرى ... نوارك الثلجى يا نارنجتي؟
ومتى أطير إليك.. ترقص مهجتي ... فرحاً وآخذ مجلسى من شرفتي...

***

هيهات لن أنسى بظلك مجلسي ... وأنا أراعى الأُفْقَ نصف مغمضِ
خنقت جفونى ذكريات حلوة ... من عطرك القمرى والنغم الوضي
فانساب منك على كليل مشاعري ... ينبوعُ لحنٍ فى الخيال مفضضِ
وهفت عليك الروح من وادي[1] الأسى ... لتعب من خمر الأريج الأبيضِ...

(١) المراد به الجسم.

كانت لنا يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

***

هيهات.. لن أنسى ضحى «سبتمبر» ... والنحل يغشى نورك المتلالِ
ومساء مارس كيف يهبط تلة ... شفقية ممدودة الأظلال
نزل الحديقة تحت أرهام الندى ... وضفى عليك معطر الأذيالِ
فهناك كم ذهبية شغفتْ بها ... روحى فتاهت فى مروج خيال...

***

وهنا تحركت الشجيرة فى أسى ... ويكى الربيعَ خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبى فتأوهت ... وكأنها بيد الأسى طنبور
وتذكرت أيام يرشف نورها ... ريق الضحى ويزرزر الزوزور
وعرائس النارنج تحلم فى الندى ... فيرف فيها طيفه المسحور
كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا ... أو دام ينثر لحنه الزرزور...

وتذكرت عند السياج أزاهرا ... صفراء رفت فى ظلال العوسج
زهر القطيفة. كيف خان عهودها ... نَسِيَ الهوى من عطرها المتبلِّجِ
وتذكرت فى رعشة لما سبا ... زرزورها منها ولم يتحرجِ
وهنا تمشت فى الشجيرة خلجة ... ويكت حنيناً للشذى المتأرجِ...
كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور...

***

وتذكرتْ شفقاً توهج حمرة ... خلل الغيوم على ربا الآصال
وبدت غصون الجازورين كأنها ... قلع ترفرف فى بحار خيال..

***

وهنا تحركت الشجيرة فى أسى ... ويكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فتنهدت ... وكأنها بيد الأسى طنبور...

***

وتذكرت شجر النخيل وهدهداً ... قد كان يقصدها صباح مساء

وتـــذكرت فى اليوســـفى يمامـــة ... كانـــت تنـــوح الليلـــة القمـــراء

***

وهنـا تحركـت الـشجيرة فى أسـى ... ويكـى الربيـع خيالهـا المهجـور
وتـذكرت عهـد الـصبا فترنحـت ... وكأنهـا بيـد الأسـى طنبـور

***

وضفت على كل الغصون سحابة ... وزكـا الغـصين وفـتَّح النـوار
وتهلـل الـزرزور فى أوراقهـا ... وزهـا الـسياج وفاحـت الأعطـار

***

حلمـت بـأرض فى الخيـال سحيقة ... فى ذلـك الأفـق القـصى النـائي
وهنـاك تحـت سمانجون[1] سمائها ... تاقـت إلى أحلامهـا الزرقـاء
خلـدت إلى صـمت هنـاك مخـيم ... تـسجو عليـه خوافـق الأفيـاء
هى جنة الأشجار والأظلال والـ ... أعطـار والأنغـام والأنـداء

***

يتزاهـر البـشنين فـوق شـطوطها ... ويغـازل الـدفلىُّ زهـر اللـوتس
وعـرائس النـارنج فـاح عبيرهـا ... بالنحـل تحلـم فى الـسكون المـشمس
وهنـاك زرزور يغـرد دائـماً ... ويقـص أحـلام الزهـور الـنعس
يـروى لهـا أسـطورة سـحرية ... ممـا يفـوح بـه خيـال النـرجس
كانـت لنـا.. يـا ليتهـا دامـت لنـا ... أو دام يهتـف فوقهـا الـزرزور

***

نـارنجتي. تـالله مـذ فـارقتني ... وأنـا حليـفُ كآبـةٍ خرسـاء
أصبحت بعدك فى انقباض موحش ... وكـأننى منـه مـساء شـتاء
تستـشرف الأعطـار فى آفاقهـا ... روحـى إليـك وراء كـل فـضاء
وتـرف فى دهليـز كـل أشـعة ... قمـراء أو ترنيمـة بيـضاء...

***

(١) لون زرقة السماء والكلمة فارسية.

قد كنت أرجو أن تكون نهايتي ... في ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر ما يخدر مسمعي ... زرزورك الهتاف فوق ذراك
ويطوف في غيبوبتي فيفيقني ... فجر قصير البعث من رياك
والآن إذ عجل القضاء فإنما ... سيقوم في الذكرى خيال شذاك...

***

كانت لنا عند السياج شجيرة ... ألف الغناء بظلها الزرزور
طفق الربيع يزورها متخفياً ... فيفيض منها في الحديقة نور
حتى إذا حل الصباح تنفست ... فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى إلى أرض الحديقة كلها ... نبأ الربيع وركبه المسحور...

***

كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

إلى ... جنا الفاتنة
فى مدينة الأحلام
مهداة إليها مع أزهار سحرية
من حدائق الخيال وبساتين الشفق

لا تلحى على أن أتركك وأرجع
عنك، لأنى حيثما ذهبت أذهب
وحيثما بت أبيت، شعبك شعبي
وإلهك إلهي، حيثما مت أموت وهناك
أدفن – هكذا يفعل الرب بي، وهكذا
يزيد – إنما الموت يفصل بينى وبينك
«إصحاح راعوث – التوراة»

هـا هـو الليـل قـد أتـى فتعـالي ... نتهـادى عـلى ضـفاف الرمـالِ
فنـسيم المـساء يـسرق عطـراً ... مـن ريـاض سـحيقة فى الخيـالِ

***

صـوَّر المغـرب الـذكى رباهـا ... فهـى تحكـى «مدينـة الأحـلام»
نفحـت فى الخيـال منهـا زهـور ... غـير منظـورة.. مـن الأوهـام

***

ووراء الـسياج زهـرة فُـلٍّ ... غازلتهـا أشـعة فى المـساء
نـشر النـسمُ سرهـا وهـو يـسري ... فى مـروج مطلولـة الأفيـاء

***

ودهـاليز مـن ظـلالٍ ونـور ... صـورت سـحرها يـد الأطيـاف
عـشش البلبـل الخيـالى فيهـا ... سـاكباً لحنـه الحنـون الـصافي

***

إن هـذى الأزهـار تحلـم فى الليـ ... ـل، وعطـر النـارنج خلـف الـسياج

وخريـر الميـاه، والـشفق الـسحـ ـر، وهمساً مـن النـسيم الـسّاجي
والنـدى، والظـلال تـنعس فى المـا ء، وهـذا الـشعاع حلـف الغـمام
بعـض ألحانـه تـأنق فيهـا فـتراءت فى هـذه الأجـسام

***

قبـل هـذى الحيـاة كنـت أصـلي يـا حيـاتى لحـسنك المعبـود
فيـك أفنيـت أدمعـى فى غنـائي فيـك عفـرت جبهتـى فى سـجودي

***

وعـلى مـذبح الغـرام تقربـ ـت بروحـى فى ذلـة وخـشوع
غـير أنـى رأيـت هـذا قلـيلاً فتقربـتُ بعـدها بـدموعي

***

كنـتِ فى معبـد الخيـال ترفـ ـين إلهـاً.. وكنـت مـن عبـدانك
كـم بعثـتُ الأشـعار فيـه مزاميـ ـر.. تجيـب الحـزين مـن ألحانـك

***

كنـتِ فجـراً، وكنـتُ فيـه ضـباباً شـاع فى أفقـه الـوضيء فتاهـا
وهبطـتُ الحيـاة شـعلة تقديـ ـس، وجئـتِ الحيـاة أنـت إلهـاً

***

أنـت لحـن.. مقـدس.. علـوي قـد تهـادى مـن عـالم نـوراني
سـمعتْ وقعـه الـسماوى روحـي فأفاقـت فى معبـد الأحـزان

***

أنـت حلـم. منـورٌ.. ذهبـيٌّ طـاف فى أُفْـقِ عـالم مـسحور
وتجـلىَّ عـلى غياهـب روحـي بجنـاحٍ مـن الـضياء البـشير

***

أنـت عطـر مجـنح شـفقي فـاوحَ الـروحَ فى همـود الـذهول
قـد سرى فى الخيـال طيـب شـذاه مـن رهـور فى شـاطئ مجهـول

***

أنت ظل مقدس.. أنت كهف ... طائفي.. فى ربوة الأحلام
غمر الروح فى سكينتها السحـ ... ـر فتاهت عن عالم الآلام

***

أنت كوخ معشوشب.. فى رباه ... مقمر الصمت.. سرمدى الخيال
نعست روحى الكليلة نشوى ... فيه ترعى فجرى هذا الجمال

***

أنت صمت مخيم.. ففضاء ... فظلام مكوكب.. فنهار
فهمود تدب فيه حياة ... ويغنى فى فجرها النوبهار

***

أنت كل الحياة.. أنت كياني ... أنت روحى أبصرتها فى سباتي
أنت وحيى مجسداً.. أنت لحني ... يا سماءً على سماء حياتي

***

أنت أغويتنى بأن ألقاك ... خلف سور الخيال.. فوق رباك
غير أنى بحثت عنك طويلاً ... وأخيراً نعست تحت ذراك

***

أيقظينى من الذهول.. وغني ... يا ملاكى على طلول حياتي
وارشدينى إلى الضياء.. وإلا ... فاتركينى أهوى إلى ظلماتي

***

وعلى عالمى الشتائى فيضي ... نور دفء يفنى ظلامى الحالك
وارفعينى كمعبد قدسي ... تتهادى به طيوف جمالك

***

إننى فى الظلام أنصب وحدي ... خيمة للغناء.. من آلامي
فاسمعينى فإننى سأغني ... لك «جتا» فى وحدتى وظلامي!..

***

حدائق الشفق

صورة رمزية لمسارح القمر و الفجر

بين الدجى واحمرار شَعَّه الشفقُ ... النور يرقص فى عينى ويأتلقُ
لا هدأة تسعد الحيران لا سِنَةٌ ... تقر عينى بها قد شفها الأرق
فلا أرى غير أحلام مكوكبة ... وغير رسم سماء بات يحترق

***

هذا النهار خلال السحب يظهر لي ... لقد لمحتُ على الوادى بشائره
تلوح شاحبةً فى الشرق حالمة ... توشِّع السحب الدنا ضفائره
وأنت.. نافورة الحسن التى خفيت ... أيان ألقاك.. أو ألقى مصادره؟

***

ذهلتُ فى حلم غافٍ وخيل لي ... أنى عبرت طريقاً كلها ظلم
لم يغشها من بنى الإنسان مقتحم ... قبلى وما وطئت أرضاً بها قدم
تحف دغلاً تثير النفس وحشته ... الصمت يحكمه والليل والأجم!

***

وكانت السحب الغيماء سارية ... على المحيط خفاف الركب فى سرب
قد أبدعت صبغ وشى من مطارفها ... فى حمرةٍ عجبٍ، فى فتنة ذهب
وترقص الأنجم الزهراء رقصتها ... فى مطلق من أثير الجو ملتهب!

***

أحسست بالقلب ناراً طاف طائفها ... لما رأيت غمير البحر قد سطعا
وقفت منذهلاً، أرعاه منفعلاً ... كأن نورَ إلهٍ فوقه طلعا
أحنيت رأسى إجلالاً وتكرمة ... له وظلت من التقديس مختشعاً

***

وبينما أنا أرعى الأفق حيرانا ... والنهر يبدو حيالاً فيه نعسانا
إذ الضباب يغشى الكون أجمعه ... ويحجب النهر أمواجاً وشطآنا

فلـم أر الجَـزْرَ يـسرى فى مـساربه ... مفضـضاً سـاحِرَ التركيـبان فتانـا

***

كـان الظـلام فويـق النهـر ينحـدر ... والـصمت يـصحبه والخـوف والحـذر

هنـاك أبـصرت أسرابـاً مزوفـة ... مـن الـضباب تـولى سـوقها الـذعر

كأنهـا وهـى تجـرى فى مواكبهـا ... يخيفهـا غـائر فى الأرض معتكـر

***

أمـا الـذى وشـع الأمـواه بـالنور ... فـزورقٌ ناصـع الألـوانِ بللـوري

بينـاه فى ثـائر الأمـواج مـضطرب ... يختـال مـا بـين تـصعيد وتغـوير

بـدا الـدليل لـه فى الليـل منبهـراً ... فى لؤلـؤى مـن الأنـوار مـسحور

***

لم يـشهد الكـون فى آزالـه أبـداً ... هـذا الجلال الـذى يـسرى عـلى المـاء

قد ظل نجـم الـدجى سهمان يقذفه ... بأسـهمٍ تتهـاوى منـه وضَّـاء

صيغتْ من الليلك الغافى أشعتها ... فأصـبحتْ بـين بيـضاء وزرقـاء..

تأملات
أو
حياة شاعر

غداً يا خيالى تنتهى ضحكاتنا ... وآلامنا تفنى وتفنى المشاعر
وتسلمنا أيدى الحياة إلى البلى ... ويحكم فينا الموت والموت جائر

***

جلستُ على الصخر الوحيد وحيداً ... وأرسلت طرفى فى الفضاء شريدا
وكفكفتُ دمعاً.. لا يكفكف غربه ... وواسيت قلباً فى الضلوع عميدا
أرى صفحة الآمال قد ضاق أُفقُها ... ولاح على اليأس البعيد مديدا
لقد عشتُ فى دنيا الخيال معذباً ... فيا ليتَ شعرى هل أموت سعيدا؟!

***

كأن حياتى غنوةٌ بدويةٌ ... شدتها الليالى للقرون بلا معنى
كأنى أنا فيها شجى نغماتها ... أقامت لها ذكرى تحف بها الأذنا!
لئن فاتنى عهد الشباب ولهوه ... فإنى بعمرى لست آبه أو أعنَي
فرب هواءٍ طاف فى اللحن والمحى ... يخلد عن ريح معمرة قرنا

***

لقد كنتُ فى الدنيا جمالاً يزينها ... بما شاده شعرى على هذه الدنيا
خلقت لروحى سحرها..لا لغيرها ... ومن أجلها أقضي، ومن أجلها أحيا

***

إذا ذبلَ النارنج عاش عبيره ... وكان له فى الوهم من نفحه محيا
ويخلد بعد البدر فى الفكر رونقٌ ... يغذى خيال الشعر والحب والوحيا

***

أغنية النخيل

قد طاب لى مقيلي ... فى سهلك الجميل
فى ظلك الظليل ... يا شجر النخيل
يا جنة الظلال ... يا مسبح الخيال
ويا جنى الدوالي ... يا شجر النخيل

***

قامتك الهيفاء ... ثمارك الحمراء
والخير والرخاء ... يا شجر النخيل
عروسة الصحراء ... يا كعبة الرجاء
ويا هدى التيهاء ... يا شجر النخيل

***

قد طاب لى مقامي ... ورفرفت أحلامي
فى ركنك الحرام ... يا شجر النخيل
مطيتى استريحي ... فى جنبها المريح
فى ظلها الفسيح ... فى جنة النخيل...

***

obeikan.com

العودة
(عودة الشاعر إلى قريته)

رجعت إليك اليوم من بعد غربتي ... وفي النفس آلامٌ تفيض ثوائرُ
رجعت وعقلي تائه الفكر شارد ... وأُبتُ وقلبي واهن الخفق خائر
فيا أرض أحلامي أألقى طفولتي ... ويسعدني يوم من العمر آخر
تعسفت فيك الليل والريح صرصر ... وخضت إليك الموج والنهر ثائر
أتيت لألقى في ظلالك راحة ... فيهدأ قلبي وهو لهفان حائر
أموت قرير العين فيك منعماً ... يخدرني نفح من المرج عاطر
ويلحفني هذا البنفسج ولتكن ... مسارح عيني لربى والمخاضر
وآخر ما أصغى إليه من الصدى ... خريرك يفني وهو في الموت سائر
ولكن بلا جدوى أتيت فلم أجد ... سوى قفرةٍ أشباحُهَا تتكاثر
وقد نسجتْ أيدي الشتاء سياجها ... عليها وأنوار الظلام تحاصر

***

لقد رنقت[1] عين النهار وأسدلت ... ضفائرها فوق المروج الدياجر
وقد خرج الخفاش يهمس في الدجى ... ودبت على الشط الهوام النوافر
وطارت من الجميز تصرخ بومة ... على صوت هِرٍّ في الدجى يتشاجر
وفي فترات ينبح الكلب عابساً ... فيعوى له ذئب من الحقل خادر

***

مشيت وحيداً مطرق الرأس باكياً ... وقد شردتْ في الحزن مني خواطر
حزيناً تهادى بي الظلام، كأنني ... إلى الأفق المجهول في الليل سائر
لقد أشعلت كل المآذن نورها ... ولاحت على الأفق البعيد المقابر
وقد عقدت نار العروش سحائباً ... عليها.. وفاحت بالدخان المجامر

(١) الترنيق اختلاج العين عند النوم.

ومن تلعة تبدو البروج وفوقها ... حمام على الصمت المخيم ذاكر
ينادى أليفاً ضل فى الدغل مسلكا ... ولم يبصر الأبراج والسرب عابر
وقد جمش البرد الشفيف جناحه ... فمدتْ لتتف الريش منه مناقر
يراعى نهاراً.. ليس يقبل ليله ... من الفخت[1] فيه تستكن الهوادر
وقد خيمت فوق العرائش وحشة ... وصمتٌ على أوراقها الصفر ناشر
شعور انقباض، فى الظلام ووحشة ... وصمت، وحزن، شدَّ ما أنا ناظر
فمن أين قلبى يستمد خفوقه؟ ... ومن أيها لى تستمد المصادر؟

***

وفى مهبط الوادى تقوم عرائش ... من الكرم، والناطور فى الليل ساهر
وقد أشعل النيران فيها ليصطلي ... فرف لهيب فى العرائش واهر
يزمر فى الأرغول والليل سامع ... ويصغى إلى الأوهام والليل زامر!!

***

أوى السهل فى صمت كئيب ووحشة ... تخيم فوق الليل والكون غامر
فمن أين قلبى يستمد خفوقه ... ومن أيها لى تُستمد المصادر

***

بدا الصبح فوق المرج أصفر ناحلاً ... فلاحظه زهر الربى وهو خاثر
وما نفحتْ فوق الرباوة زهرة ... ولا رفَّ فى هذى الخمائل طائر
وقد نتف الشحرور فى الروض ريشه ... وحُلَّتْ من الصفصاف فيه ضفائر

***

لقد خف نسم الصبح يهمس ناعياً ... إلى السهل.. أن قد فارق الكونَ شاعر
لذا نقس النحل الزهور فجلجلت ... ونابت عن الأجراس هذى الأزاهر

***

(١) شعاع القمر أول ما يبدو.

من شعر الريف

اليمامة...

صور رمزية للطبيعة وقت الظهيرة فى الصيف

رددى فى الكـــون ذكـــرى الهـــديلِ ... وَتغنِّـــى يـــا شـــهر زاد النخيـــلِ
أى ذكـــرى تـــشجيك، أى خيـــال ... راح يـــضنيك مـــن فـــراق خليـــل
كثـــرتِ حولـــك الأقاويـــل حتـــى ... أصـــبح الـــروض بـــين قـــالٍ وقيـــل
لـــست أدعـــوك غـــير روح مَـــرُوعٍ ... لاذ بالنخـــل خيفـــةً مـــن رحيـــل

***

خـــيم الـــصمت فى الظهـــيرة إلا ... مـــن غطـــيط يَغْـــشَى ذرى الأزهـــار
إنـــه النحـــل باعـــث مـــن غنـــاء ... وهـــو يجنـــى الزكـــاة للنوبهـــار
وغفـــا الهدهـــد المـــصلى وآوى ... جنـــدب الـــروض فى ذرا الأجحـــار
غـــير ترديـــدة الهـــديل تـــدوي ... مثـــل حـــزن عـــلى الظهـــيرة ســـاري

***

ضـــمخ الـــصمت مـــن شـــذا الحلفـــاء ... والأريـــج الشمـــسى مـــلء الجـــواء
وزهـــور اليقطـــين تـــسكب فيـــضاً ... مـــن لهيـــب ومـــن غطـــيط غنـــاء
كمقاصـــيرِ جنـــةٍ نزلتهـــا ... فئـــة تـــستريح غِـــبَّ عنـــاء
عـــبرت مـــوطن الهـــديل وجـــاءت ... بالـــذكى الـــساجى مـــن الأنبـــاء

***

أمسية شتائية في ضاحية

المساءُ المغيم الذهبيّ ... والغناء المعطر الشفقيّ
وخيال الأشجار يحلم فيها ... الأريج المجنح الليليّ
والخرير البنفسجي يغني ... في سراه بها الغدير الخفيّ
صُوَرٌ قد زانها في خيالي ... وسبانى جمالها القدسيّ!

***

المساء المغيم الذهبيّ ... والغناء المعطر الشفقيّ
فارسٌ لاهث يسير إلى ... الغرب يغشّيه بيرقٌ لهبيّ

إلى القمر...

مهـــداة إلى ليـــالى الحـــصاد
القمريـــة الجميلـــة وإلى أكـــداس
الـــسنابل الجافـــة التـــى تحمـــل إلى
الـــنفس أعطـــاراً كأنهـــا أحـــلام
من المجهول...

لياليـكَ مـن ليـل الفـراديس أبهـجُ ... ونـورك أزهـى فى العيـون وأبلـجُ
كأنـك عـين الله ترعـى عبادهـا ... وتبـصر مـا تحـوى القلـوب فـتخلج
كأنـك عـين ثـرة فـاض فيـضها ... بهـا زئبـق أو فـضة تترجـرج

***

كـأن الـدجى بحـر مُسفٌّ جناحـه ... كأنـــك فيـــه درة تتـــوهج
كأنـك فى روض الـسموات زهـرة ... كـــأن ســـناك عطرهـــا المتـــأرج
كأنـك فى خـد الـسموات دمعـة ... هَمَتْ مـن عيـون باكيـات، تـدحرج
كأنـك طـاووس مـدلٌّ، كـأنما ... نجـوم الـدجى وُرْقٌ حواليـك تهـزج
كأنـك مزمـار مـن العـرش صـافر ... كـــأن صـــداه نـــورك المتـــبلج..!

***

عَمَرْتَ طـويلاً فى الـدياجير سـاهراً ... كـسيفاً بأكفـان الظـلام مـدرج
فيـا بـدرُ صـبراً والليـالى قـصيرة ... وسـوف تقـر النائبـات فتـثلج...

***

المغرد...

مهداة إلى ذلك الطائر الخطار الأنيق، ذى البرنس الأصفر، والقلنسوة الرمادية الذى أصغيت إليه هنيهة المساء وهو يرتل تسابيح الجمال فى محراب الطبيعة..

يا راحةً فى ظلمة اليأسِ ... فيها صفاءُ القلبِ والنفس
أرقصت قلبى من مرقرقة ... خمر... تصفق فى مدى الحسِّ
هل أنة، أم رنة صدحتْ؟ ... أمْرٌ به الأفهام فى لبس!
هذى الأغانى زفرة صعدت ... وآستْ فجلت عن دوا النُّطْس
إنى لمفضوح بعبرته ... يرثى لمفضوح من الجرس
ليس الذى تشفيه أدمعه ... مثل الذى يشدو من الحبس!

***

بالله خبرنى أمن ورس ... ريشت؟ أم من صبغة الشمس
صفر الغلائل... تزدهى طرباً ... حتى لقد ثملت بلا رس[1]
والدوح والأغصان مائسة ... والماء والأظلال فى مسِّ
نظارة لمغرد ندب ... ينفى الهموم، وطارق النحس
يسمو ويهوى فى السما غَرِدًا ... كشرارة طارت من القبس
أو سهم رامٍ راحَ عن قوس ... أو حلم صبٍّ فى هوى الأمس
متهللاً.. متبسماً.. طلقاً ... يطأ النجوم ورائق الغرس

(١) الرس هو دبيب الخمر.

يصل السماء يمس جلدتها ... ويحط بالغدران فى غطس
فرحاً يدرُّ عليه صفوته ... فرح الغرام ونشوة الأنس
مثواه فى الأجواء مرتفع ... بينا هواه بيننا يرسي!

***

ترنيمة الإصباح رائقة ... فى الجو صافية من الرجس
تسرى إلى الغيطان مترعة ... منها الرياض بغير مَا حدس
فوق الينابيع التى غمرتْ ... ساحَ الحقول بدائم التبجس
وسلاسل الأنوار دافقة ... غطت ذرى الأشجار بالغمس
ورمت قلاع المدن صائبة ... والشمس تعلو الأرض فى خلس
يسمو إليها صوته صعداً ... ويصافح الأرواح باللمس

***

فى حمرة الشفق التى شرقت ... فيها الزهور ويانع الورس
والنبت والأشجار لامعة ... من حمرة الأضواء فى لِبس
فيها تنام ممتعاً ثملاً ... من رحمة الرحمن فى حرس...

(٢)

قصائد الهمشرى التى جمعها

صالح جودت

سنة ١٩٧٤

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة
بقلم : صالح جودت

لولا أن العرف الأدبى قد جرى على أن تكون لكل كتاب مقدمة، لآثرت أن أضع هذه الكلمة فى نهاية هذا الديوان، لا فى أوله، لأفاجئ القارئ بأعجب حقيقة فى حياة هذا الشاعر م.ع. الهمشرى، الذى أفنى سنى عمره القصير متغنياً بجمال الريف كما لم يتغنَ به شاعر آخر، مكرساً حياته للدعوة إلى إقامة الحضارة الريفية جاعلا من قلم الشاعر ريشة رسام مبدع، كل همه عرض لوحات رائعة من مفاتن الريف المصرى.

تلك الحقيقة العجيبة، أن هذا الشاعر المصرى الفلاح، لم يكن ليكون مصرياً ولا فلاحاً، لو جرت الأمور مجراها الطبيعى، واستقر جده لأبيه، أحمد الهمشرى، فى وطنه الصغير النائي، الراقد على الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط: ألبانيا.

ولكن ظروفاً لا نلمُّ بها، تحمل ذلك الجدَّ، أحمد الهمشرى على الهجرة إلى مصر، ليطيب عيشه فيها، وليرزق فيمن رزق من ولد، بعثمان الهمشري، أبى الشاعر.

تعلم عثمان الهمشرى الهندسة، وأقام (وابور طحين) على مقربة من الأرض التى تركها له أبوه فى السنبلاوين، وتزوج سيدة تركية لم يرزق منها بغير ابنة واحدة، اسمها (عفت).

ولأمر ما، لعله حب الولد، تزوج عثمان الهمشرى مرة أخرى، وكانت الزوجة فى هذه المرة مصرية، من المنصورة، هى السيدة عائشة محمد وهبه، شقيقة الكاتب الكبير الأستاذ محمد التابعي. ورزق منها خمسة أولاد وبنتاً، هم على التوالي: محمد، ويوسف، وزينب، وأحمد، وسعد، ومحمود.

وكان ميلاد شاعرنا محمد يوليه سنة ١٩٠٨ على شاطئ رأس البر، إذ كانت الأسرة تصطاف هناك، وهكذا شاء القدر أن يرى النور لأول مرة على تلك الرمال الناعمة، وتحت تلك السماء الحالة، بين شاطئ النيل والبحر الأبيض المتوسط.

كان عثمان الهمشرى رجلا كثير المواهب، ومن مواهبه أنه كان يجيد العزف على القانون، وكان يعشق الموسيقى والطرب، ويكثر من دعوة أهل الغناء إلى بيته،

وهكذا نشأ شاعرنا وأذناه مفعمتان بالنغم.

وكان يحلو لعثمان الهمشري أن يسمي أولاده بأسماء ثلاثية، فسمى أول أولاده من الزوجة المصرية (محمد عبد المطعى الهمشري) وسمى الثانى (يوسف لطفى الهمشري).. وهكذا.

ولست أدري لماذا اختار لشاعرنا (عبد العاطي).. ولعله أراد بذلك أن يشكر الله على أن ((أعطاه)) ولداً.

ولكن هذه التسمية لم ترق للشاعر لما أن شب عن الطوق. فكره أن يكون اسمه عبد المعطى قائلا: (إن من اسمه هكذا لا يكون شاعراً).

وهذا هو ما حمله على نبذ هذه التسمية، والتوقيع بتسمية شاعرية هى (م.ع.الهمشري) متأثراً فى ذلك بشاعره الأثير فى الأدب الإنجليزى (ب. ب. شلى).

ظهرت مخايل الشاعرية على الهمشرى منذ طفولته، ولكن هذه الشاعرية لم تتفتح إلا فى مدرسة المنصورة الثانوية، التى جمعتنى به ونحن بين الصبا واليفاعة.

وكان بالمنصورة يومئذ شاعران يكبراننا سناً وهما: على محمود طه المهندس، والدكتور إبراهيم ناجى الطيب، وكانا فى أول الشباب يحاولان شق طريقهما إلى القمة.

وتصادقنا نحن الأربعة، وعقدنا حلفاً أدبياً لطيفاً يضمنا فى ندوات يومية على شاطئ النيل بالمنصورة.

والمنصورة أرض طيبة، تنبت الشعر والجمال، وتلهب القلب الخيال، ويشهر رجالها الظرف والذكاء والإغراق فى حب الأدب والفن، كما تشهر نساؤها بالجمال والخفة والشاعرية.

يضاف إلى هذا أن للمدينة رائحة التاريخ منذ عهد الأيوبيين وانتصاراتهم الخالدة فى الحروب الصليبية، ولا تزال بها حتى اليوم (دار ابن لقمان) التى نزل بها ملك فرنسا أسيراً، ولا تزال بها كذلك حديقة كبيرة تحمل اسم الملكة الأيوبية (شجرة الدر).

كان من الطبيعى أن تثمر صحبتنا نحن الشعراء الأربعة فورة كبيرة لا تخلو من غيرة فى بعض الأحيان، وأن ينجم عن هذه الغيرة سباق إلى القراءة فى الأدب العربي، وفى الآداب الغربية، وبخاصة الأدب الإنجليزي.

وهكذا أقبلنا فى سن مبكرة على التعرف على أعلام الشعر فى الأدب الإنجليزي. ومن ينابيعهم استقى الهمشرى ثقافته الأولى، متأثراً – أكثر ما تأثر – بشلى وكيتس وبيرون – الثلاثة ماتوا فى رونق الشباب – تأثر بهم حتى فى الموت، فمات فى الثلاثين.

بدأ الهمشرى شاعراً عاطفيا رومانسياً مغرقاً. ولكن حدثاً عاطفياً اعترض طريقه، ذلك أنه أحب، ومنّى بالفشل فى حبه، وهو الحب الوحيد الذى عاش فى قلبه إلى أن مات.

وحمله هذا اليأس على تصور الموت، فنظم ملحمته الكبرى (شاطئ الأعراف) التى ودع بها حبيبته، ثم شاء القدر أن يرحمه وينفس عنه، فوجه شعره وجهة أخري، وانقطع شعره العاطفى انقطاعاً تاماً، وبدأ الهمشرى كتاباً جديداً فى حياته، هو كتاب الشاعر المصرى الفلاح الذى وهب كل شاعريته للتغنى بجمال الريف.

نال الهمشرى شهادة الدراسة الثانوية فى سنة ١٩٣١، وترك المنصورة ونزح إلى القاهرة حيث التحق بكلية الآداب، فقضى فيها سنتين، ولم يقدر له أن يواصل دراسته بها، لأنه كان فناناً بوهيمياً، يكره النظام والرتابة فى كل شئ، ولا يحب أن يقيد نفسه بمنهج خاص.

ومنذ أول عهده بالقاهرة، اتصل بجماعة (أبوللو) التى قامت فى سنة ١٩٣٢، ورأسها المغفور له أمير الشعراء، وتولى أمانتها العامة المغفور له الدكتور أحمد زكى أبو شادي.

وأصبح الهمشرى من شعراء الطليعة فى هذه الجماعة وقد كان لمجلتها أكبر الفضل فى حفظ تراثه على صفحاتها.

وفى سنة ١٩٣٥، التحق الهمشرى بوظيفة فى قسم التعاون بوزارة الزراعة، كمحرر بمجلة التعاون.

وطابت حياته فى حقل التعاون، فقد كان مدير التعاون يومئذ هو الفيلسوف التعاونى الدكتور إبراهيم رشاد. وكان رئيس تحرير المجلة، هو الأديب القصاص الدكتور محمد أبو طايلة، وكان زميل الهمشرى فى تحرير المجلة، الشاعر والزجال والراوية الظريف الأستاذ محمد مصطفى حمام.

وهكذا أصبحت غرفة الهمشري وأصحابه فى مجلة التعاون ندوة أدبية محببة.

وقد آمن الهمشرى بالحركة التعاونية وعرف مكانه منها منذ فجر عهده بها.

واتفق فى ذلك العهد، أن مات الشاعر التعاونى الإيرلندى الكبير جون راسل.

وقرأ الهمشرى حياة جون راسل، فكانت نقطة التحول الكبرى فى حياته.

ذلك أن جون راسل عاصر معركة بلاده ضد الاستعمار البريطاني، وأسهم فيها بشعره ونثره، ثم رأى أن الحركة التعاونية هى السبيل الأمثل لإنقاذ بلاده من الجوع والفقرة، فأصدر مجلة (الدوار الأيرلنـدي) التعاونية، التى تحولت على يدى راسل من مجلة ريفية يقرؤها الفلاحون الأيرلنديون، إلى مجلة عالمية تغمر أسواق الفكر الأوربي، وتعبر المحيط إلى أمريكا، حاملة دعوة راسل الكبرى إلى إنامة الحضارة الريفية.

ترك الهمشرى جميع تأثراته السابقة بشلى وكيتس وبيرون ووردذورث وروبرت بروك، وأقبل على جون راسل، يلتهم شعره ونثره ومبادئه، وأراد لنفسه أن يكون جون راسل المصري، الذى يكرس حياته لإسعاد الريف، ومده بأسباب الحضارة، ودعوة الأعيان إلى العودة إلى القرية للمساهمة فى تهذيبها وصقلها ومحاربة الرأسمالية والإقطاع والاستغلال، والمطالبة بأن يكون للفلاح مكانة فى الحياة النيابية، إلى آخر هذه الصرخات العالية التى أطلقها على صفحات مجلة التعاون، التى تحولت على يديه إلى مجلة تقدمية تحارب الحزبية فى عهد الحزبية، وتحارب الإقطاع فى عهد الإقطاع، وتمس الملكية فى عنفوان طاغوت الملكية.

لم يمهل القدر شاعرنا ليتم رسالته فى سبيل إقامة الحضارة الريفية.

لم يرحم القدر هذا الشاب القوى المؤمن، المخلص، وفى غمضة عين، فى أربعة أيام/ انطفأت شعلة حياة الهمشري، على أثر جراحة أجريت له لاستئصال الزائدة الدودية، فأصيبت أمعاؤه بالشلل فى أثناء العملية، ولقى وجه ربه فى اليوم الرابع عشر من ديسمبر سنة ١٩٣٨.

مات الهمشري، وقد كان أكثر الشعراء حباً للحياة، وفَرَقاً من الموت.

وقد يضلك من أمره أنه كان يكثر من ذكر الموت فى شعره، ويتوقعه فى كثير

من قصائده.

أما فى واقع حياته، فقد كان حريصاً على الحياة كبير الآمال فيها، إلى حد أنه لم يكن يحب ركوب البحر حتى لا يغرق، وكان إذا سار فى الشارع، أثر أن يسير فى وسطه لا إفريزيه، خشية أن تسقط أحدى العمائر فتدفنه تحت أنقاضها.

وكان يفيض قوة وشباباً وحيوية، فهو عملاق، عريض المنكبين، تكاد حمرة الشباب تقفز من خديه، لا يشكو شيئاً فى جسده، ويحب أن يتأنق فى ملبسه، ويتخير رباطات عنق ذات ألوان زاهية كألوان مناديل صدره، ويزين عروة سترته دائماً بوردة كبيرة حمراء، ويمشى فى الأرض مرحاً، ويملأ الجو حوله بضحكاته العالية، ويشق طريقه فى ثقة وكبرياء واعتداد.

كل هذا، أحسب أننى كنت أميناً فى وصفه وأنا أرثيه قائلا:

أين هذا الشباب والأمل الضاحك بين الخطوب والأرزاء؟
وأحاديثك المليئة بالأحلام فى عالم قليل الرجاء؟
كنت ألقاك والحياة تجافينى وإعصارها يهد بنائي.
فإذا ما سمعت ضحكتك العذبة أحييت بعدها أعدائي.
وتمشى السلام فى جو نفسي، وتطهرت من طويل عنائي.
وقرأت الحياة فيك كتاباً شاعرى الآمال والآلاء.
وشباباً هو الربيع الموشى برقيق الظلال والأضواء.
حين تبدو وعروة الصدر فى ثوبك تزهى بالوردة الحمراء.
واحمرار الحياة يشعل خديك ونور الشباب فى لألاء
تطأ اليأس باعتداد الأماني، وتذل الزمان بالكبرياء.
وتغنى وتهب العيش نهباً، شأن من ألهم اقتراب الفناء..

***

ومن حسن حظ الأدب أن وفقنا الله إلى جمع شعر الهمشرى ونشره فى هذا الديوان، بعد أن أوشك هذا الشعر أن يضيع، بل لقد ضاع بالفعل أكثر من مرة.

ذلك أنه بعد وفاة الهمشري، همَّ الدكتور إبراهيم رشاد بجمعه وطبعه، وجمع منه قدراً ليس باليسير، ولكن لصاً سطا على البيت، فسرق هذا الشعر فيما سرق، ولعله أسف على هذا الجزء من الغنيمة، الذى لا يروى غلته.

ومرة أخرى همَّ الأستاذ التابعى بجمع نرات الهمشري، ولكن شواغل الحياة شغلته فلم ينجز المهمة.

ومرة ثالثة جمع الأستاذ محمد فهمى كثيراً من شعر الهمشري، ولكنه أخذه معه وسافر إلى الحجاز، ولم يعد.

وفى المرة الرابعة، حرصت على ألا يثنينى عن إنجاز المهمة شئ، فعكفت على جمع قصائد الهمشرى المتناثرة من مختلف مصادرها، كما حرصت على ذكر مصدر كل قصيدة، أمانة للتاريخ.

وأستطيع أن أجزم بأن هذا هو كل شعر الهمشري، أوجله على الأقل، وأن ما ضاع من شعره – إن كان قد ضاع شئ – لا يزيد على أبيات معدودة مما نظم فى أول شبابه.

وهناك مسألة هامة أحب أن أوجه إليها عناية القارئ والناقد، تلك هى أننى رتبت قصائد الديوان ترتيباً زمنياً.

والزمن الذى اعتمدت عليه هو زمن نشر القصيدة، لا زمن نظمها الذى يصعب الجزم به، فقد ينظم الشاعر قصيدة ثم لا ينشرها قبل سنوات، أو قد ينظمها ثم يرسلها إلى صحيفة، فلا تنشر، وقد يعيد نشرها بعد ذلك بسنوات.

ومثال ذلك ملحمة (شاطئ الأعراف) التى نشر الهمشرى مقاطع منها فى السياسة الأسبوعية، خلال أربع سنوات، ثم نشرها كاملة فى ابوللو سنة ١٩٣٣.

ومهما يكن من أمر، فإننى إذا كنت قد التزمت بهذه القاعدة فى ترتيب هذا الديوان، فإننى قد حرصت فى كتابى (الهمشري: حياته وشعره) الذى نشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، على محاولة تحديد زمن نظم أكثر قصائد الهمشري، على قدر علمى بها وبه.

وأخيراً، أحب أن أقول: إن تفضل وزارة الثقافة بإصدار هذا الديوان، ليس إلا عرفاناً لفضل هذا الشاعر الثائر، الذى جند قلمه، شعراً ونثراً، للدعوة التعاونية، ورسالة الحضارة الريفية، وأشهره فى وجه الملكية والأحزاب والإقطاع والرأسمالية قبل الثورة بأكثر من خمس عشرة سنة.

صالح جودت

تحية المساء[1]

لا تقـــل لى يـــا حبيبـــى ... أســـعد اللهُ مـــساءك !
أى ســـعدٍ لى ســـيبقى ... يـــا منـــى الـــنفس وراءك

(١) المصدر: من مرتجلاته التى كان يتلوها علينا فى مدرسة المنصورة الثانوية سنة ١٩٣٠.

obeikan.com

عاصفة
فى سكون الليل[1]

أشرقـــى كالـــصبح غـــراء الجبـــينْ
وانـــشرى نـــورك يهـــدى العـــالمين
واطلعُـــى فى ليـــل حزنـــى كوكبـــاً
تعـــصمينى مـــن ضـــلال العاشـــقين
واطرحـــى فى قَفْـــر عمـــرى زهـــرةً
علهـــ تنمـــو وتزكـــو بعـــد حـــين
وابـــسمى تبـــسم لنـــا بـــيضُ المنـــى
واضـــحكى تـــضحكْ لنـــا غُـــرُّ الـــسنين
هـــا هـــو الليـــلُ كـــ كـــان بـــاءا
يحمـــلُ الحـــزنَ لقلبـــى والحنـــين
هيكـــلُ الأحـــزانِ[2] فى مذَبحـــهِ
قـــرب العـــشاق قربـــان العيـــون[3]
رتّـــل الـــشماسُ[4] فيـــه لحنَـــه
وصـــدى ترتيلـــه هـــذى الـــشجون
عطـــرهُ[5] أحـــزان أزهـــار الربـــا
ونـــداهُ عـــبرات البائـــسين

(١) المصدر: مجلة أبوللو، العدد الخامس من المجلد الأول يناير سنة ١٩٣٣ – ص ٥٥٤ وقد عدل الشاعر بعد ذلك بعض ألفاظها واختصر بعض أبياتها، وأعدها للنشر بمجلة التعاون فى أخريات حياته، فظهرت بها فى عدد فبراير سنة ١٩٣٩ وقد أثرنا إثبات القصيدة على صورتيها لتكون الصورتان موضع نظر القارئ فى تطور ذوق الشاعر بين عامى ١٩٣٣ و١٩٣٨ وسيجد القارئ الصورة الأخرى من القصيدة.

(٢) هيكل الأحزان: الليل

(٣) قربان العيون: الدموع والنوم.

(٤) المراد بالشماس: هنا الموت.

(٥) أى أن العطر ينفه الليل هو أحزان الأزهار.

وسرىّ النـــــسيم فى أحـــــشائهِ
مـــنْهَجٌ ذابـــت وأرواحٌ فَنِـــين
كـــلُ شيء هـــان فى شَرع الهـــوى
يـــا ملاكـــي، والهـــوى لـــيس يهـــون
لم يـــر الليـــلُ ســـوى بنـــتِ هـــوىً
قـــرأتْ مـــا ســـتعانى فى الجبـــين
لبـــستْ فى بدئـــه ثـــوبَ الهـــوى
وبـــأخراه ثيـــاب إلنـــادمين
وعميـــد بـــاتَ مطـــوىَّ الحـــشا
فى ســـكون الليـــلِ مبحـــوح الأنـــين
قـــام فيـــه مثـــل طيـــف غـــابر
وكـــأن الليـــلَ محـــراب القـــرون
ومغـــنّ غلـــب الحـــزنُ عـــلى
وتـــر اللهـــو لديـــه والمجـــون
لـــيس يـــدرى فكـــره مـــا لحنـــهُ
وهـــو رجـــعُ الـــسحر فى مـــاضٍ شـــطون
وأليـــف ســـامَرَ الليـــلَ عـــلى
ذِكْـــر عَهْـــدٍ مـــن عهـــود الغـــائبين
كلهـــم خَـــفَّ . ولم تبـــقَ ســـوى
ذكريـــات أرعـــشت أفَـــقَ الجفـــون
أيهـــا الليـــلُ أتينـــا نـــشتكى
فاســـتمعْ شـــكوى الحزانـــى المُتعبـــينَ
هـــدَّنا الحـــزنُ وأضـــنَانا الأســـى
وبرانـــا الوجـــدُ فى دنيـــا الـــشجون
قـــد شـــكوناكَ وجئنـــا نـــشتكي
لـــك شـــيئا فى خيـــال الـــذاهلين
إننـــى يـــا ليـــلُ أحكـــى غنـــوةً[1]

(١) الصحيح فى اللغة أغنية، لا غنوة.

فَنيتْ فيكَ على مرِ السنين
واستحالتْ فى السبلى قُبّرة
تتغنى فى دُجى وادى المنون
إننى يا ليلُ أحكى حزُمةً
من شعَاعٍ فى سماءِ الحالمين[1]
ضمّها نحوكَ فكرٌ هائلٌ
أزعجَ الأربابَ بين الثائرين
واستحالتْ عندها من غضبٍ
زهرةً فى عالمٍ غير مُبين
تنفح الموت .. وتُدلى عودها
نحو أشباح المايا العابرين

***

إننى عاطفةٌ قد غالها
منك فكرٌ طيّه الموتُ دفين
حاولتْ تعرف أسرارَ الأسى
منك يا ليلُ وأسرار الأنين
فاستحالت جَدولاً تعبره
فزعاتُ الموت ليلاً فى سفين[2]
هذه أغنيتى رتلتُها
لكِ يا دنياى فى دير السكون[3]
لَحْنَها أنتِ، وحُزنى وقعُها
ونذيرُ الموتِ بعضُ السامعين
لا تلومى ما بها من حزَنٍ
إنما الأحزانُ موسيقى الحزين

(١) لأن الأحلام ترسم الأشياء أجمل من حقيقتها.

(٢) المراد بهذه التشبيهات تفسير ما تراه روح الشاعر من حزن وألم فى الحياة.

(٣) دير السكون هو الليل.

أعـــذبُ الألحـــان لحـــنٌ أفرغـــتْ
فيـــه أنـــاتُ الأســـى طـــى الحنـــين
عـــانقينى فى الـــدجى ... اقـــتربي
إننـــــى أفِـــــزعُ ممـــــا تفـــــزعين
قرِّبـــــى خَـــــدكِ ... ضـــــمُينى إلي
صدرك الحانى ... الثمى هـذا الجبين
اتركينـــــى فيـــــكِ أفنـــــى مـــــثلما
فنيـــــتْ فى الله روحُ الناســـــكين
إنـــما نـــحن كوكـــبٍ ضـــلّ في
تيـــه صـــحراء بقـــومٍ تـــائهين
قـــد نـــسينا كـــلّ مـــا كـــان لنـــا
وتركنَـــا فى غـــد مـــا ســـيكون

obeikan.com

شاطئ الأعراف[1]

هى ذكريات حزينة، تحاول أن تحجبها أكفان سنوات أربع، فهتكتها أشباح سوداء ما تزال تتراءى أمام عيني:

كنت آنئذ فى المنصورة، وقد مرت على فيها سنوات ثلاث تغيرت فى أثنائها نفسى ومالت إلى صورة باهتة من الأمل المكتئب اليائس.

ولست أدرى أكان جو المنصورة هو الباعث على ذلك، وهل كان فى أمسيات شتائها الحزين المنقبض ما بعث فى نفسى هذا الشعور الحزين المتشائم نحو الحياة، أم كان ذلك على إثر خلجة .. أستغفر الله ... بل خلجات كثيرة خفق لها قلبى فى أدوار حداثة مرت بين التاسعة والخامسة عشرة، التى انتهت وما انتهت إلى الثامنة عشر من عمري.

هى خلجات أنهكت قوى هذا القلب، وأحالت شعاع الأمل الربيعى الضحك إلى خطفات باهتة سمن شفق شتاء وما زالت تخفق على ضعفها فى محراب الحب.

وزادت هذه الحال فى نفسى سوءا، فهبطت نفسى من جراء ذلك إلى قرار من الحزن السحيق لا أدرى سببه فلم أجد بداً من أن أترك هذا البلد الحزين حسب مشورة الأطباء إلى بلد آخر أجد فى جوه سلوى، فاخترت القاهرة مقاماً.

ولكن ... كان ما خفت أن يكون، فقد هاجمت سماء المدينة الأزلية وروحها العتيدة الناعسة الحالمة على أعتاب القدم والأبد... أقول هاجمت كل ذلك الحزن إلى

---

(١) المصدر: مجلة أبوللو العدد السادس من المجلد الأول فبراير سنة ١٩٣٣ – ص٦٢٧، وكان الشاعر يومئذ طالبا بكلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن)، وقد أثبت الشاعر فى نفس العدد من أبوللو مقدمة عنوانها (كيف خلقت فكرتها) وتذييلا عنوانه (شرح وتعليق) فنقلناهما كما هما.

أبعد قواره فى نفسي، ولا سيما حينما وقفت على مقربة من الجزيرة أرقب النيل من ناحية بدالى فيها ذلك الأزلي[1]، كأنه شاعر يغنى فى جانب الموت أغانى تلاشت معانيها فى حواشى الألحان.

ثم تركت القاهرة إلى (نوسا البحر) وهى قرية تتكئ على النيل، ويخيم عليها جو المنصورة أكثر ما يكون وحشة وانقباضاً.

مكثت بهذه القرية خمسة أيام، كنت أختلف فى أمسياتها مع قريب لى إلى مكان هادئ يشرف عليه النيل فى مشهد رائع، طالعته على مبعدة أشجار باسقة من الصفصاف واللبخ والجميز وهائش الغاب، فكانت تكسبه روعة فى الليل ضافية، وكأنها عباد البراهمة فنيت نفوسهم فى ذهول العبادة، وهو بنصتون بألف أذن إلى مزامير الآلهة.

ثم كانت بعد ذلك كله نواة قصيدة (شاطئ الأعراف). فالنيل لم يكن غير نهر الحياة والموت فى هذه الأعراف، والظلمة المروعة التى كانت تألف نفسى إليها، هى رهبة الأبدية فى هذه الأعراف أيضاً.

وقد مضى الآن على هذه القصيدة سنوات أربع، ونشرت منها متفرقات فى (السياسة الأسبوعية). وهأنذا أعود بعد تنقيحها، فأقدمها إلى مجلة أبوللو الغراء كاملة لا ينقصها شيء.

لقد انتهت قصيدة شاطئ الأعراف، ولكن هذه الروح العلوية التى غمرت سماء حياتى بنور جمالها الباهت الحزين وهى تصاحبنى فى شاطئ الأعراف ما تنفك تصاحبنى بعد شاطئ الأعراف.

فإلى هذه الروح التى أرهفت أذنى لسماع أصداء مواكب الآباد، إلى هذه الروح التى تتغنى بها كل مشاعرى كما يتغنى الجدول بكل أمواجه، إلى هذه الروح العالية، وإليها وحدها أهدى هذه القصيدة.

م.ع . الهمشرى

---

(١) يعنى به النيل.

الذكريات

عنـــدما خـــدَّر الفنَـــاءُ شـــكاتي
وســـــقانى كئوســـــه المنـــسياتِ
بَعـــثَ الـــشعْرُ مـــنْ لدنُـــهْ نَـــسياً
فـــائحِ العِطـــر طيِّـــب الـــنغماتِ
هـــزَّ قلْـــعَ الـــصبا فـــأيقظَ فِكـــري
فهفـــتْ بـــى ســـفينةُ الـــذكرياتِ
فى خِـضَّم الأفكـار تطـوى بـى الوقـ
ـــت وتهفُـــو إلى ضـــفافِ الحيـــاةِ

* * *

كُلّـــما حاوَلـــتْ لهـــنَّ رجُوعـــا
دفعهَـــا اللجَّـــاتُ منْهـــا إليهـــا
رقـــصتْ فى شراعِهـــا الـــريحُ حتـــى
حطَّمتْـــه وحطَّمـــتْ دفتَيهـــا
رحمـــةً منـــكِ يـــا ريـــاحُ ورفقـــا
وَدَعِيهـــا ومَـــنْ ينُـــوحُ عليهـــا
فلـــهُ فى الحيـــاةِ كـــالبرْاقِ آمـــا
ل تُـــساريهِ فى دُجـــى شـــاطئيها

* * *

ترمـــقُ الـــشاطئين مـــن خَلـــلِ الدمـــ
ـــع حزَينـــا فـــلا يكـــاد يبَـــينُ
غـــير نُـــورٍ يلـــوحُ كـــالومض، شُـــقَّتْ
فوقـــهُ الـــسُّحُب فهـــو فيهـــا كنِـــينُ
وســـناً يَزدهـــى عليـــه كلـــون !!
طيـــفِ كـــابٍ، عـــلى الـــدُجى موهُـــونُ
هـــو حُـــبٌّ الـــذين قَـــدْ ذكـــروهُ
وشَـــجَاهمْ بعـــد الفـــراقِ الحنـــينُ
وتُؤاتيـــه ضـــحة العـــيشِ همَـــساً

مـــثلما يـــسمعُ الجنـــينُ الهَـــزيما
يتمـــشَّى صـــخبُ العواصـــف فيـــه
مـــشبها فى كـــرى المنـــونِ نـــسيما
وضـــجيجُ الأيـــامِ يَـــنْغمُ كـــالجر
س خفوتـــا يـــسرى إليـــه بهـــيما
أبـــدا مـــا يـــزال يهمـــسُ فى المـــو
ت صَـــدَاها بأذنـــه مُـــستديما

* * *

وخـــلالَ الأصـــداء صـــوتٌ حنـــونٌ
تائـــهٌ بـــين ضَـــجةِ الأنـــواءِ
يتخطّـــى عـــصفَ الأعاصـــيرِ وثْبـــاً
لا يُبـــالى بهـــولِ هـــذا الفنـــاءِ
ولـــه جنـــةٌ يُرجِّعُهـــا المـــو
ت كنجـــوى مـــن عـــالمِ الأحيـــاء
تُرهـــفُ الأذنُ نـــحوها، ثـــم تُرخَـــي
فى ذهـــولٍ يُجيـــبُ بالإغـــضاء

* * *

إنـــه الحـــبُّ مـــا يـــزالُ يُعـــاني
كُـــلَّ هـــولٍ ويمتطـــى كـــل صَـــعْب
يحـــثمُ الـــصخر فيـــه والـــسَّربُ الـــدا
جـــى ويطـــوى سَـــهْلاً خـــصيبا لجـــدبِ
وســـواءٌ ليـــه كـــل عَنُـــوت
أو ذَلـــولٍ عـــلى طريـــق الـــدربِ
لـــيس يخـــشَى اللَّجـــاجَ فى كـــل حـــين
أو يخـــافُ الـــردى عـــلى كـــل سرْبِ

* * *

ويـــكَ يـــا حـــبّ، أيـــن تمـــضى إذا مـــا
نـــسجتْ حولـــك المنـــونُ شـــباكا
وبعثـــتَ الأنفـــاسَ معـــسُولةً حَيْـــ

ـــرى إليهـــا تبثُّهـــا شـــكواكها؟
أتـــرى يـــا هـــوَى ســـتقحمُ المـــو
تَ وتلقـــى كـــالنفسِ منـــهُ ردَاكـــا؟
أو ســـتبقى حتـــى تـــراكَ صَـــيُود[1]
فى غيـــاضِ الفـــرْدوسِ ترمـــى هُناكـــا؟
تنـــزع الـــنفسُ للـــشرورِ وتهـــوى
هـــى منهـــا عنـــاصراً فى الـــرُّوحِ
إنـــما الـــشرُّ مفـــزعٌ لـــشجَاها
لـــو خَلَـــتْ مـــن قدَاســـة التـــسبيحِ
ولهـــا منـــه مَـــسبحٌ ومَطـــيرٌ
مطمـــئنٌّ عـــلى فـــضاء اللُّـــوحِ[2]
وهـــو كالحـــبِّ كـــوثرٌ ونـــماءٌ
وهـــو مرعـــى للـــريح جـــم الـــسُّوحِ

* * *

أيهـــا الحـــبُ، أنـــتَ للمـــوتِ مـــوتٌ
ذو غـــلابٍ عـــلى الـــبلى مـــستخفُّ
أنـــتَ صِـــنوُ ســـالحياة وارثـــة المـــو
ت، ونـــورٌ عـــلى الإلـــه يـــرفُّ
ســـوف تبَقـــى بعـــدَ الفنـــاءِ ســـبُوحا
فى فـــضاءٍ مـــن لأثـــيرِ يـــشفُّ
تلحـــظُ الكـــونَ فى سُـــباتِ المنايـــا
مثـــل رُؤيـــا تهْـــوِى بـــه وتَـــدِفُّ

* * *

الشاعر ينتبه فجأة على ضجيج
سفن الموت ...
فيرتاع ويناجى الموت

---

(١) الصيود: الصياد

(٢) اللوح: الفضاء بين السماء والأرض.

ويـكَ يـا وقـتُ إتَّـئِدْ! أيـن أمـضي
تائهـــا فـــوقَ هاتـــهِ الأمْـــواجِ
فـــوق مكـــسُورةِ الجنَـــاحِ دَهَتهـــا
عـــصفةُ الجائحـــاتِ والليـــلُ داجِ
فى خِـضّمٍ تـدْوى العواصـف فيـهِ
ناعيـاتٍ نُـورَ الـشُّموس الـسَّاجِي
عاصـــفاتٍ عليـــه تَعتنـــقُ المـــو
جَ وتعـــدُو لغـــير مـــا مِعْـــراجِ

obeikan.com

سفن الموت

نـصَلتْ مـن غبارهـا سـفُن المـو
تِ وسـارتْ بمـن تُقِـلُّ خفافـا
لفهـا المـوتُ فى غياهـبِ السُّو
د وأسرى يطـوى بهـا الأسْـدافَا
وبهـا رايـةٌ تُشِير إلى الشـ
ـطِّ وروحٌ يهـدى لـه زَفْزافـا[1]
كلـما طافَهـا الفنـاءُ بـصوتٍ
رَفَعـتْ قَلَعهـا لـهُ إرْهاقـا

* * *

خاضـتْ المـوتَ مُـسرعاتٍ مـع الوقـ
ـتِ ترانـى الحيـاةَ فى طخيـاءِ[2]
تَطِـسُ[3] المـوجَ خفـةً ثـم تعلـو
فى سـماءٍ مـن البِلى دكنْـاءِ
وَشَّـعَ المـوتُ جانبيهـا اصـفراراً
فأفـادتْ منـهُ ضـياءَ المـساء
فى شـفوفِ إبْرِيـسَمٍ[4] سـابحاتٍ
بـشراعٍ مرقـوقٍ مِـنْ ضِـياءِ

* * *

طـائراتٍ عـلى جنـاح حُبـارَى
سـابحاتٍ عـلى بُطـونِ سـمَانِي[5]

(١) الزفزفة: المشية الحسنة.
(٢) أى فى ظلام دامس
(٣) الوطس: ضرب الماء
(٤) الأبريسم: الحرير
(٥) الحبارى والسمانى أنواع من الطيور المعروفة.

شـــتَّتَ الوقـــتُ جمعهـــن فراحـــت
عـــابراتٍ عـــلى الدَّرســـى أُحْـــدنا
يـــنفخُ النـــدُّ فيـــه ريـــا خُزامـــى
مُـــومضٍ حاطـــهُ الـــشذَى إدجانـــا
ينهـــبُ الـــشاطئان عبـــقَ شَـــذَاها

فيُـــؤاتى زَهْـــريها نَعْـــسانا

* * *

وأرى فُلْكِـــى الكـــسيرَ عليـــه
يتهـــادَى مـــن بينهـــا مبَهوتـــا
فاجأتْـــه الـــويلاتُ ســـمن كـــل صـــوبٍ
خلّفتْـــه مـــن عَـــصْفِها مبَغوتـــا
فى ذُنـــابى الأفـــلاك يهفُـــو إلى الـــشَّـــط فيُلـــوْى بـــه الـــرَّدى مكبوتـــا
فـــإذا عـــادَهُ مـــن الـــشطِّ طيـــفٌ
شَـــذَّ مـــن قَلعـــهِ يُـــسارى الحوتـــا

* * *

ولَكَـــمْ مـــرّتْ الليـــالى أمـــامى
مُـــبسرعاتٍ يَلُحْـــنَ مثـــل الظِّـــلال
وكـــأنّ الـــساعات فـــيهن واليـــوْ
م وكـــلّ الأوقـــات نـــورُ الـــزّوال
فيـــك ماتـــت هـــذى الـــسنون أيـــا لَيْـــ
ـــل ويـــاقى الأحقـــاب فى اضـــمحلال
تنـــشرُ الوقـــتَ فى الحيـــاة لتطويـــ
ـــه جديـــدا والـــبعضُ فى أســـمال

الشاعر والآلهة

" يستفيق الشاعرة مرة أخرى على نور يغشى "
" الأفق فيستفسر الآلهة عن ذلك فتحبيه... "

الشاعر :

أي نـــورٍ هـــذا الـــذى يبهـــر الأفـــ
ـــــق ويزهـــــو مغـــــشيا جنباتـــــه؟

الآلهة:

هـــو يـــا شـــاعرى الـــصغير ركـــابي
ويَـــشعُّ الـــضياءُ مـــن مِـــشْكَاتِه
قـــد تخطّـــى إليـــك كـــلَّ هبـــوب
ومُـــسف اللّجـــات فى مائجاتـــهْ
بـــدا فـــوق صـــفحةِ الأفـــق ((أيّـــو
س[1] يُقـــلّ الأنـــوار فى مركباتـــهْ

***

يـــا لَـــهُ مركبـــاً غلائلـــه النُّـــو
ر ومـــن خـــالص الأثـــير شراعـــهْ
احتوتْـــه الأنـــوارُ فى رَكبهـــا الـــضَّا
فى ودانـــى طـــرْفَ الأواذى شـــعُاعهْ
فـــتراءتْ مثـــل القناذيـــل تَـــترى
حولـــه، فوقهـــا يَـــرفُّ التماعُـــهْ
أو رؤىً فى كـــرىً تـــراءى وِضَـــاءً
ضـــمَّ أطيَافهـــا إليـــه قلاعُـــهْ
قـــد تهـــادَى بـــين الظـــلام كحُلـــم
ذَهبـــىٍّ عـــلى جنـــاحٍ فِـــضيٍّ
مـــن رُؤى أول الكـــرى وهـــى تَـــسرى

(١) له النور عند الإغريق

مُسرعاتٍ من العيون الغُمضِ
حولَه موْجتانِ قد حوَتَاهُ
وهو فيها يَرِفُّ مثل الوَمْضِ
يُعْكَسُ السِّحرُ فوقه كل حينٍ
فى زَهِى الأطيافِ من كل محضِ

***

الآلهة تنصح الشاعر أن تحمله فيصر على مرافقتها

الآلهة :

أنتَ يا شاعرى تحمّلتَ صبراً
فى حياةٍ محفوفةٍ بالزوالِ
هى رؤيا حلم ويقظتُه الموْ
تُ، وقفرٌ سماؤه من آلِ
تبدأ العيش فى الذى تنتهى فيـ
ـه سوادٌ على قفيرٍ[1] خالِ
نهارٌ يمضى بساحة ليْلٍ
ـن، هو العيش وهو عمر خيالِ

***

إيه يا شاعرى، تحملتَ صبراً
فى عذابٍ قد فاق كل عذابِ
لَكأنى أراك فى نشوة الفكْـ
ـر شَكيًّا تشكو من الأوصابِ[2]
أتُرى ترتضى اصطحابى إلى الجنّـ
ـة مثوى الشوادنِ[3] الأسرابِ
حيث تلقى ما تشتهيه من الآما
ل فى الأشرباتِ والأسلابِ؟

(١) القفير: خلية النحل
(٢) الأوصاب: المتاعب
(٣) الشوادن: الظباء الصغيرة

جنة الشعراء

تستطيبُ الجلوسَ فى ظلِّ أيْكٍ
رَفْرَفَ الطيرُ فوقَه أسرابا
يتغنى بين الثمار بلحنٍ
هل سمعتَ القيانَ[1] عنّت طِرابا
من وحيدين يَسْجعانِ سروراً
وشَجيَّين يشدُوان انتحابا
وجَرَى الماءُ فى لغدير رحيقا
وجَرَت فوقه الزهورُ حَبابا[2]
جنةٌ صاغها الإله من السِّحـ
ـرِ فقيها صبابةُ السعداء
نُورها من وشائعٍ[3] من هواء
فهى منه فى رقه القَمَراءِ
وتغنى الأطيارِ سفيها اصطخابٌ
فصباها من عقرىٍّ الغناءِ
من خيال الأشعار قد صاغَهَا اللـ
ـهُ، ففيها روائعُ الشعراءِ

***

سترى (افروليز)[4] تجرى عل العشـ
ـبِ وتهفو إلى شراع المراكبْ
(تفاتيس)[5] فى ضفائرِها الصف

(١) القيان: الجوارى الحسان المنشدات.

(٢) كنفاخات الماء (الفقاقيع الصغيرة)

(٣) الوشائع: اللفائف.

(٤) دمية الفتاه الآلهة فى النيل فاستحالت حورية تعابث الأمواج والشراع

(٥) قصة حزنها مشهورة، حينما قهرتها آلهة بابل وعشتار فى بلدة نيكور.

ـــــر تُغنـــى الثلـــوجِ الأشـــاهبْ[1]
وعـــذارى الينبـــوعِ تعـــزف موســـى
فى ربيـــعٍ فـــوق الـــضفاف الـــشواعبْ
ســـوفَ تَلقـــى هنـــاك كـــلَّ نعـــيمٍ
وتقـــضى فيهـــا جميـــع المـــآربْ

الشاعر:

أمطـــرت الرحمـــاتُ يـــا ربـــة الـــشعـ
ـــرِ وجادتـــكِ فائـــضاتُ اليمـــينِ
كنـــتِ ســـلواى فى الحيـــاةِ، وفى المـــوْ
تِ أراكِ عـــلى دُجـــاه خـــدَيني
(تتركـه آلهـة الـشعر الفـردوس وتهـم بالمـسير
فيصبح الشاعر بها)
مـــا أري؟ تـــزمعين بعـــد رحـــيلا؟
ربـــة الـــشعر، ويـــكِ، لا تتركينـــي
أيـــةً تـــذهبين فى ذاك المـــو
تِ ... ولكـــنْ هيـــا ... خُـــذينى خُـــذيني

آلهة الشعر:

شـــان نفـــسي، وذاك فى غـــرامٌ
أن تُلاقـــى الخطـــوبَ والأهْـــوالا
اقتبـــلْ أنـــت نـــاعماً وتفكـــهْ
فى جنـــانٍ طابـــتْ جَنّـــى وظِـــلالا
ســـوف آتيـــك بالـــذى قـــد أراه
فـــوق شـــط الأعـــرافِ، فاهـــدأ بـــالا
أننـــى ســـوف ألتَقـــى بمنايـــا
تـــصرع الـــريح، تنـــسفُ الأجـــالا

الشاعر:

آه يـــا طـــائفَ الخيـــالِ تعـــالَ

(١) أى شهباء اللون

وابـــق جنَبـــى ولا تُغـــامرْ وَحـــدكْ
كيـــف تَلقـــى الـــرَّدى وأنـــتَ ضـــعيفٌ
وســـهامُ المنـــونِ يقـــصدْن قـــصَدكْ
ونـــدىُّ الأنـــوارِ يلفـــحُ وجهـــكْ
والنـــسيمُ العليـــل ينـــسلُ شَـــعركْ
فـــإذا غالـــك الفنـــاءُ بـــسهم
كيـــف أرضى الفـــردوسَ داراً بعـــدك؟

آلهة الشعر:

قـــرّ نفـــساً، فـــإننى لا أبـــالى
بـــشَعوبٍ ولـــستُ أخـــشى الحِمَامـــا
أنـــا فى روُحِهَـــا الكريمـــة روحٌ
لا تُلاقـــى المنـــونَ إلا سَـــلاما
أنـــا كالبـــارقِ الـــسماوى نـــورٌ
لا ينـــى فى مُـــضِّيه يترامـــي
هـــو يبـــدو مـــن حيـــثُ يحْـــسبهُ النـــا
سُ تعـــاطى مـــن المنيـــةِ جَامـــا

***

هـــاكَ فُلْكـــى عـــلى الـــدجى يـــتراءى
مستـــضاء كالكواكـــبِ اللَّـــماحِ
بهـــرَ المـــوتَ نـــوره، فهـــو أعـــشى
يتحاشـــى مـــن خطَفـــه بـــالرَّاحِ
يـــومضُ الليـــلُ بالـــسَّنا مـــستطاراً
فى اصـــفرار يحكـــى اصْـــفرارَ الأقـــاحى
صـــنَعتهُ إلهـــةُ الـــشِّعر كـــيما
تتخطـــى بـــه شِـــبَاكَ الريـــاحِ

***

فاصـــطحبنى إذن عليـــه وهيَّـــا
فـــوقَ هـــولِ الفنـــءِ نمـــضى ســـويَّا
فلقـــد تَطَّبيـــك رؤيـــا المنايـــا

وتراهـــا حـــسُناً إليـــك صـــفَياً
كنُـــتَ طفـــلاً ســـعلى المـــشيبِ لَعوبـــاً
ومَـــشيبا عـــلى الـــصبَّا كُنتيَّـــا[1]
نـــستمدُ الحيـــاةَ مـــن نُـــورِكِ الـــا
لى وتهفـــــو ســـــناهُ شـــــجيًّا
لم تكـــن غـــيرَ طـــائفٍ مـــن ضـــياء
قـــد طـــواه بـــه ظـــلامٌ مجـــنحْ
حظُّـــهُ مـــن حياتـــه مـــا رآهُ
مـــن تهاويـــل جـــوِّهِ وهـــو يَـــسبَحْ
فهـــو مـــن ذِكرهـــا الحبيـــبَ مَطـــافٌ
لـــرؤى فى ضـــيائِه التِـــبْرِ تلَمـــحْ
ذُكـــراتٌ يرتـــادهنَّ لقـــاءً
معقبـــاً فى الخيـــالِ بعـــداً مُـــبرِّحْ

***

ونهـــير مُرقـــوقٍ كنفتـــهْ
غابـــةٌ بـــين دَغلِهـــا ينـــسابُ
يـــسطتْ فـــوق مائـــة العـــذبِ ظـــلاً
تحـــت عطـــف الأمـــواجِ لا ينْجـــابُ
حجتـــهُ عـــن العيـــون طـــويلا
وهـــداها لـــه الـــصفاءُ المطـــابُ
ســـحَر العـــالمينَ منـــه رحيـــقٌ
فـــإذا هـــم مـــن صَـــفْرِهِ شرَّابُ
تَطلـــبُ الـــسعدَ وهـــو منـــك قريـــبٌ
تـــدَّعى الحـــزنَ وهـــو منـــك بعيـــدُ
قـــد طويـــتَ الحيـــاةَ تجهـــدُ فيهـــا
ليـــت شِـــعرى، فهـــل جَـــدَا المجهـــودُ

(١) الكنتي: القوى

تـنفحُ النـاسَ مـنْ شـذى زنبـق (النُّـود)[1]
وهـــم فى كـــرى الحيـــاة رقـــودُ
قـــد أضـــعتَ الحيـــاة كـــلَّ ضـــياعٍ
فى حطـــامٍ فـــانٍ هـــو التخليـــدُ

***

(الشاعر يستمع إلى أرغن الموت عن فلك الآلهة)

يـــا خيـــالي!، مـــاذا يطـــوفُ بقلبـــي
يـــا خيـــالي، مـــاذا يـــسارقُ أذني
أى شـــيءٍ احـــسُّ؟ أى دبيـــبٍ؟
مـــستلذٍ يـــخدّر الـــروحَ منـــى

الآلهة:

أنـــه أرغـــن الفنـــاء يغنـــي
ويعيـــد الحيـــاةَ فى مثـــل لحـــنِ
جَهـــورِى الموجـــاتِ تـــنفخُ فيـــه
مـــسمعاتٌ يَفـــضن مـــن كـــلِّ فـــنِّ

***

هـــاكَ لحـــنَ الجـــمال.. هـــاك صـــداهُ
هـــاكَ لحـــنَ الهـــوى ولحـــنَ التفـــاني
هـــاك لحـــنَ الأســـى.. ولحـــن التـــأسيِّ
هـــاك لحـــن الآمـــال .. لحـــن الأمـــاني
هـــاك لحـــن الـــصبا ولحـــنَ التَّـــصابي
هـــاك لحـــنَ المـــشيب والحرمـــانِ
هـــاك كـــلَّ الحيـــاةِ مـــرَّتْ كلحـــنٍ
وصَـــــداها يعـــــجُّ فى الآذانِ

(١) النود: التمايل من النعاس

أرغـــن الغنـــاء

واهـــآلـــهُ مـــن نـــاءْ[1] ألحانـــــه زفـــــزافْ
فى صـــمت وادى الفنـــاء تعـــانقُ الأسْـــدافْ

***

يَـــضجُ فى الأمـــواجْ مـــصطخب الـــصَّوت
يزهـــى عـــلى الإدلاجْ مـــن شَـــفَقِ المَـــوْتِ

***

مفيـــضهُ مـــن دمـــوعْ يـــسكبها اللحْـــنُ
وصـــمتها مقطـــوعْ ينهبـــه الحُـــزنُ

***

دَوّى عـــلى الأصـــداءْ يمعـــنُ فى الظّلـــما
يـــسامرُ الجـــوزاءْ ويـــنفخُ الحُلـــمَا

***

عَجيجـــهُ صـــيّاحْ كـــالبوقِ فى الآذانْ
يهـــاجمُ الأرواحْ مـــن غـــير مـــا اســـتِئذان

***

فـــالكون فى رَجْـــف كالكوكـــبِ الخفـــاقْ
خَاضَـــا مـــن الخـــوْفِ فى مـــسَبحِ الآفـــاقْ

***

وتـــارةً يخْفـــتْ فى غَـــسقِ اللّيـــلِ
كـــالروحِ لـــو تَـــصمتْ فى صَـــخب الويْـــلِ

***

(١) ناء: نای

فَتحسبُ الموجا ... يلعبُ بالأرضِ
يرجها رجا ... وبعدها يمضي

***

يعلو على النجمِ ... ويَلمس السَّقفا
كأنَّ فى حلمِ ... طيفا به رفا

فطافت الذكرى ... يقلبهِ النّائى
كالظلِّ لو أسرى ... بصفحةِ الماءِ

***

فى دُجنةِ الآباذْ ... ترعشَ كالأشباحْ
كالجمرِ تحت الرمادْ ... من فوقه الندُّ فاحْ

***

فَلاحَ فى الليلِ ... بستانهُ السَّاجى
معطَّرَ الذيلِ ... فى أفقٍ داجِ

***

وتحت ظلّ وريفْ ... مَقعدُ مَنْ يهوَى
يخطف فيه رفيفْ ... من السنا أضوى

***

وتلكَ لابلّ هَذِى ... ملاعب لا تحصي
ليس لها من نفاذ[1] ... قطّ ولا تُستقصَي

كم مرّ فيها ربيعْ ... ومرَّ فيها خريفْ
وكم مشى فى خشوع ... يناغمُ الشادوفْ

***

يلهو على النّبتِ ... ويقطفُ الزّهرَا
يخفُّ فى صمتِ ... يسترِقُ الطّيرا

(١) لعل الشاعر أراد أن يقول ((نفاد)) لا ((نفاذ)) فنفاد هى تؤدى المعنى هذ، وأن أخلت بقافية من البيت.

صور اللحن فى الصبا

وأبـــــدَل الـــــنّغمَا إلى الـــــصبا الغَيْـــــسانْ
فـــــصوّر العـــــدما فى منظـــــرٍ فتـــــانْ

***

جـــوَّ مـــن الأثـــيرْ مُـــذهّبٌ فِـــضي
ســـماء أيـــكٍ شـــجير يَـــرفُّ فى الأرضِ

***

منـــوَّرُ الّنـــوارْ كالمخمـــلِ المقـــوّفْ
طـــرَّزهُ النُّوبهـــارْ(١) مفرّقـــاً ومؤلـــفْ

***

(١) الربيع الجديد أصله فارسى نو جديد بهار ربيع

obeikan.com

صور اللحن فى المشيب

وأبَـــدلَ الـــنَّغْما إلى شـحوبِ المـشيب
فـــصوَّر العَـــدما فى منظـــرٍ كئيـــب

***

جـــوٌّ مـــن الـــبرْدِ إعـــصارهُ ثَـــجُّ
يُـــذيبُ فى الجلـــدِ روُحـــاً بـــه الـــثلجُ

***

ودَغْـــل مُـــصَوْح يَـــشقُّه الـــذُّبولْ
لا طـــائرٌ فيـــصدْح بـــه ولا خميـــلْ

***

obeikan.com

صور لحن الأسى

وأبـــــدلَ الـــــنغما ... فى رنـــــةِ الحـــــزْنِ
فـــــصوَّر العَـــــدما ... فى منظـــــرٍ مُـــــضنِ

***

حديقـــــةٌ فَيحـــــاءْ ... فى زمـــــنِ ربيـــــعْ
يمـــشى انقبـــاضُ الـــشِّتاءْ ... فى حـــــسْها الوديـــــعْ

***

obeikan.com

صور لحن الأماني

وأبْـــــدَل الـــــنغما ... إلى صـــــــــــــغيرِ[1]
فـــــصوَّر العـــــدما ... مـــــن أزهـــــر الألـــــوانِ

***

مـــــشْجرةٌ غينـــــاءْ ... ســـــحرية الأزهـــــار
تـــــسَطعُ فى دكنـــــاءْ ... مـــــن عبـــــق الأعطـــــارْ

***

(١) هكذا وردت فى الأصل ولعلها صفير

obeikan.com

مطلع الشاطئ

الشاعر ينتبه مبغوتا

الشاعر:

ايـــــه ربَّـــــاه مـــــا أراه أمـــــامي؟
أى نـــــورٍ فى أيـــــما أســـــدافِ؟

الآلهة:

هـــــو شـــــطُّ الأعـــــرافِ ...

الشاعر:

أى شـطٍّ ... ذا المـسمَّى بـشاطئ الأعـرافِ؟

الآلهة:

هـــو مثـــوى الألحـــان بعـــد شـــتَاتٍ
ومقـــــرُّ الأرواحِ بعـــــد طَـــــوَاف
ترقُـــب المـــوتَ والحيَـــاة تـــسيرا
نِ عـــلى الوقـــتِ وهـــو كالرجَّـــافِ

وصف الشاطئ

فى انتحـــــاءٍ عـــــن العـــــوالمِ قـــــاصٍ
حيـــث يَرْقـــى الـــسكونُ مرقـــى الفـــضاءِ
وطيـــــور القـــــصاءِ تنْعَـــــبُ فى المـــــو
تِ نعيبًـــــا يزيـــــد هـــــولَ الفنـــــاءِ
غـــــير أنّ الـــــسكونَ يمهـــــشهُ نهـــــ
ـــــشا ويمـــــشى الحفـــــى عـــــلى الـــــضوضاءِ
سرمـــــدى البقـــــاءِ يحكـــــم فى المـــــو
تِ ويبقـــــى عـــــلى بقـــــاءِ البقـــــاءِ

***

وإذا مـــــا اســـــتعمتَ هالـــــك صـــــمْتٌ
فى عويـــــــــل الآزال والآبـــــــــادِ
يـــــستحبُّ الفنـــــاءَ هـــــو بعيـــــدٌ
فيُلاقـــــى منـــــه ســـــكونَ الجـــــمادِ
حُلـــــمٌ مـــــزعجٌ تـــــراه بهـــــا الأر
ضُ وهـــــذا الفنـــــاء مثـــــل الرقـــــادِ
اســـــتطارتْ لـــــه وحقّقـــــه العـــــد
مُ مـــــن الخـــــوفِ فى المنايـــــا العـــــوادِي

***

لـــــيس شـــــئٌ يُحـــــى المنـــــى فيـــــه إلا
ابْيـــــضاض الثلـــــوج فـــــوقَ الـــــصخورِ
مثـــــل صـــــوب العِهـــــادِ تلحـــــق البعـــــ
ـــــض وتهـــــالُ فى اصـــــطِخابٍ نكـــــبرِ
تَطِـــــسُ الـــــصخرَ والكهـــــوفَ وتنقـــــ
ـــــضُّ عليهـــــا مثـــــلَ انقـــــضاضِ النّـــــورِ
هَفـــــي! كـــــل مـــــا أرى فهـــــو مـــــوتٌ

ينـــــذرُ الأرضَ موعـــــدا بـــــالثّبورِ
يـــــستريحُ الزمـــــانُ والمـــــوتُ فيـــــه
بعـــــد طـــــولِ التطـــــواف والجـــــولانِ
وكـــــأن الزمـــــانَ خـــــامرهُ الخـــــو
فُ فأضـــــحى مـــــع الـــــردى فى احتـــــضانِ
وتلاشـــــى بـــــه رويـــــدا رويـــــدا
ثـــــم أهـــــوى عليـــــه كالوَســـــنانِ
فـــــإذا بالفنـــــاء يحكـــــم فـــــردا
فوضـــــويّا عـــــلى جـــــلال المكـــــانِ

***

هـــــو وادٍ للمـــــوت ينَـــــشرُ فيـــــه
شِـــــبَه دنيـــــا تَفنـــــى وشـــــبهَ حَيـــــاةِ
يبـــــسطُ الوقـــــت كالخـــــضمِّ ليَطويـــــ
ـــــه ويعـــــدو عليـــــه كالـــــسَّعْلاةِ[1]
مزَّقـــــت نفـــــسها الريـــــاحُ عليـــــه
داويـــــاتٍ مـــــن فوقـــــه مُعـــــولاتِ
لغـــــطٌ يـــــشبه الحيـــــاةَ بـــــما تحـــــ
ـــــوى ولكـــــنْ خلـــــوٌ مـــــن الأصـــــواتِ

***

تبـــــصر الـــــدَّوْحَ صـــــاعداً فى فـــــضاءٍ
يـــــتراءى عليـــــه كالأشـــــباحِ
فى لبـــــوسٍ مـــــن الـــــدَّياجير داجٍ
لفَّـــــه غيهَـــــبٌ مُـــــسفُّ الجنـــــاحِ
وتـــــرى الـــــبرْقَ مومِـــــضاً يترامـــــي
فى ثنايـــــا الأســـــدافِ مثـــــل الجـــــراحِ

(١) السعلاة: الغول، أو أنثى الغول

أو كحـــــربٍ عـــــلى الظـــــلام عَـــــوانٍ
قـــــام بـــــين الأجـــــساد والأرواحِ

***

وتـــــرى المـــــوجَ فوقـــــهُ يركـــــبُ المـــــو
جَ ويعلـــــــو مهاجمـــــــا شـــــــطآنه

ظلـــــمات مـــــن فوقهـــــا ظلـــــماتٌ
تعجـــــز الطَّـــــرفَ فى عَـــــداها الإبانـــــةْ
مُـــــدجناتٌ .. هواضِـــــبٌ .. تترامـــــى
فى اصـــــطخاباتٍ .. فى ليلـــــة أرونانـــــهْ(١)
ربَّ أيـــــن المفـــــر منهـــــا، وهـــــذا
شـــــبحُ المـــــوتِ قـــــد أطـــــالَ جِرانـــــهْ(٢)

***

هـــــى هَـــــذى الـــــسفينُ تمـــــضى عِجـــــالاً
مُـــــسرعاتٍ تجـــــرى عـــــلى التيـــــارِ
تتلاشـــــى فى بعـــــضها ثـــــم تـــــحيا
لتعيـــــد التمثيـــــلَ فى الأعـــــمارِ
مـــــشبهاً بَعـــــضُها عـــــلى العُمـــــر بعـــــضاً
لـــــو خَلـــــتْ مـــــن تبـــــاينِ الأوْطـــــارِ
وآلهـــــذا الفنـــــاء!... وآلهـــــواهُ!
وآلهـــــذا القـــــضاءِ والأقـــــدارِ
أيهـــــا الوقـــــتُ كـــــم طحـــــتَ بعـــــيشٍ
خـــــضلٍ كـــــان وارفَ الأظـــــلالِ
حيـــــث كنـــــا وقـــــد تحقـــــق فيـــــه
كـــــل حـــــاجٍ مـــــن ســـــانح الآمـــــالِ

(١) الأرونانة: الشديدة فى حر أو برد أو رياح أو أمطار.
(٢) أطال جرانه: مد عنقه

كـــل يـــوم يـــزداد حـــسناً ولطفـــاً
ثـــم تمـــضى الغـــدى عـــلى منـــوال
لم يُكـــدِّرْ ســـماءَه أى غـــيم
ومـــضى نـــاعماً بأحـــسن حـــالِ
وتؤاتيـــك أنـــسة وعويـــلٌ
مـــن ظـــلال الكهـــوف والغـــيرانِ
أهـــى شـــكوى الأحـــلامِ يـــصرعها المـــو
تُ وشـــكوى ممـــا تقاســـى الأمـــاني
أم هـــى الـــروحُ تـــسغيثُ وتبكـــي
مـــن عـــدوَّ فى المـــوت ذى شَـــنآن؟
أم هـــو المـــوت فى الظـــلال يُغَنـــى
أم عزيـــفٌ يُـــدوى مـــن الجنَّـــانِ[1]؟

***

الآلهة:

إيـــه يـــا شـــاعرى، كفـــاك مُقَامـــاً
هـــا هنـــا ... فالفنـــاءُ جـــمُّ الـــضِّفافِ
لـــيس شـــطُّ الأعـــرافِ هـــذا، ولكـــنْ
هـــو ركـــنٌ مـــن شـــاطئ الأعـــرافِ
ســـتَرَى مخبـــأ الليـــالى وتلقـــي
مـــصرعَ الوقـــتِ فى دُجـــاهُ الـــضافِي
حيـــث لا مَعْلَـــمٌ[2] هنالـــك يهـــدى
لا، ولا فوقـــه يُـــصاخ لِطـــافِ
فَـــسَرَى فُلكُهـــا يـــشقُّ الـــدَّياجي
فى ذميـــلٍ[3] مـــسيرهُ ركّـــاضِ

(١) الجنان: الجن

(٢) المعلم: علامة مرحلة الطريق، مفرد العالم.

(٣) الذميل: البعير، أو السير اللين

يمخـــــرُ المـــــوجَ والعبـــــابَ بقيـــــدُ و
مٍ شـــــتيم عـــــلى الـــــردى خـــــوّاضِ
ثـــــم أرْســـــي وقـــــد عـــــراهُ رجيـــــفٌ
فـــــوق شـــــطٍّ مـــــن المخـــــاوف نـــــاضِ
لـــــيس رُؤيـــــا عليـــــه غـــــير ظـــــلاء
لـــــيس حـــــسٌّ عليـــــه غـــــير انقبـــــاضِ

obeikan.com

قبر الليالي

فـــإذا هيكـــلٌ يَلـــوحُ عـــلى الأفـــ
ـــــقِ عليـــه فى المنايـــا شـــحوبُ
قـــاتم الجـــوِّ، أغـــدف[1]، كنفتْـــه
بلجـــاجٍ مـــن الظـــلام شـــعوبُ
ترســـل الطـــرفَ نـــحوه فيلاقـــي
حجْنـــةَ[2] المـــوت فوقـــه فيـــؤوبُ
وحـــشةٌ تـــصرع الأمـــانَ وخـــوفٌ
إثـــر خـــوفٍ عـــلى الـــردى محـــسوبُ

***

يفـــزع الجـــن والأناســـى ويُـــضني
رُسُـــلَ الليـــل أن تخـــوض ظَلامـــهْ

لـــو رأوه خـــرُّوا لديـــه ســـكارَى
يـــسألون: أيَّـــانَ يـــوم القيامـــةْ؟
ولـــراعتُهم المخـــاوفُ تجْثـــو
خلفـــه فى الظـــلام ثـــم أمامـــهْ
أيـــن ألقـــى الـــضياءَ فى ظُلُـــمات
تَنهـــبُ الـــبرقَ فى الفنـــاءِ نهامَـــهْ؟

***

قـــف تأملـــه وهـــو يعـــترضُ المـــو

---

(١) أغدف: مظلم

(٢) حجنة: الجذية وتأتى بمعنى المقبرة فى اسم مكان بمكة.

جَ فيمـــضى مـــن تحتـــه جَيَّاشـــا
هـــو قـــبرُ الحيـــاة يقـــصده الوقـــ
ـــتُ جَزوعـــا مـــن هولـــهِ رعَّاشَـــا
فـــإذا مـــا احتـــواهُ أرســـلَ نجـــرا
هُ رَذَاذاً مـــن خلقـــه وَرَشاشـــا
هـــو دميـــعُ الزمـــانِ، وهـــو الرحـــ
يـــمُ القلـــبِ، لم يلـــقَ فى الحيـــاة انـــحياشا

الآلهة تناجى الشاعر ثانية

الآلهة:

إيــــه يــــا شــــاعري، كفــــاكَ مقامــــاً
هــــا هنــــا، فالفنــــاءُ جَــــمُّ الــــضِّفافِ
لــــيس شــــطُّ الأعــــرافِ هــــذا ولكــــن
هــــو ركــــن مــــن شــــاطئ الأعــــرافِ
ســــترى مخبــــأ الليــــالى وتلقــــي
مــــصرع الوقــــت فى دجــــاه الــــضافي
حيــــث لا مَعْلــــمٌ هنالــــك يهــــدى
لا، ولا فوقــــه يــــصاخُ لِطــــافِ

***

فــــسرى فُلكهــــا يــــشق الــــدّياجي
فى ذميــــلِ مــــسيره، ركــــاضِ
يمخــــر المــــوج والعبــــاب يقيــــد و
مِ كريــــهٍ عــــلى الــــردَى خــــوّاض

***

وإذا بــــى أحــــسّ صــــوتاً حنونــــاً
طائفــــاً فى الــــدرى بــــأرخم جَــــرْسِ
يتهــــادى عــــلى الــــسكونِ رَخهــــا
ويُنــــاجى الأرواحَ فى مثــــل همــــسِ
وهــــى فى المــــوت لا تحــــسّ ينجــــوى
مــــن غنــــاء ولا تُــــصيخُ لحــــسِّ
سَــــكنَتْ ســــكتةً يُعانقهــــا الــــصمـ
ـــــتُ وأسرَى بهــــا فنــــاءٌ مغــــسيِّ[1]

(١) مغسى: مظلم

أخـــــذ الـــــصوتُ فى ازداد (خفـــــوتٍ)
وســـــجوٌّ عـــــلى الـــــسكون مديـــــدِ
مُـــــستديرا عـــــلى الفـــــضاء يُـــــدانى
طـــــرفُ هـــــذا الفـــــضاء حَـــــدَّ الوجـــــودِ
ويـــــدا فـــــوق هامـــــة الأفُـــــقِ نـــــورٌ
ســـــاطع الجـــــوّ خـــــاطفٌ مـــــن بعيـــــدِ
وإذا موكـــــب يتيـــــه عليـــــه
مثـــــل قـــــصرٍ مـــــن الـــــضياء مَـــــشيدِ

***

هـــــو ركـــــبُ الحيـــــاةِ يمـــــشى حثيثـــــاً
مـــــستخِفاً إلى (ضريـــــح الليـــــلي)
فهـــــو مثـــــوى الأحقـــــابِ بعـــــد تمـــــامِ
ومقـــــرّ الأجيـــــالِ بعـــــد اكـــــتمالِ
قـــــفْ تأمـــــلْ فُلـــــك الحيـــــاة عليـــــه
مَلَـــــكٌ فى وضـــــاءةٍ وجـــــلالِ
عبقـــــرى الخيـــــالِ فى سُـــــندسٍ خُـــــضرٍ
يُعنـــــى فى بهـــــرةٍ واختيـــــالِ

***

وسرَتْ خلفـــــه (زوارقُ) شـــــتى
تـــــتراءى كأنهـــــا أحـــــلامُ
فـــــترى (زورقَ الجـــــمال) عليـــــه
مـــــسمعاتٌ غـــــاؤهن ســـــلامُ
وتـــــرى (زورقَ الـــــشرور) عليـــــه
مـــــسمعاتٌ عنـــــاؤهن مقـــــامُ
وتـــــرى خلفهـــــا زوارق شـــــتى
منـــــشئاتٍ ... وكلهـــــا آثـــــامُ

***

جُبلـــــتْ هـــــذه الحيـــــاةُ عـــــلى الـــــشـ
ـــــرِّ وإن كـــــان ـ ميـــــاً فى الخـــــيرِ

وأرى الخـــــير مـــــن ثـــــمارِ ضرارِ
وجَـــدتُ خـــصبَ أرضـــها فى الـــشرِّ
إن هـــذا الـــتراب، هـــو قبـــيحٌ
فـــاح مـــن روحـــه أريـــجُ الزّهـــرِ
لـــيس هـــذا النعـــيم غـــير شـــقاءٍ
فحـــذارِ .. حـــذارِ مـــن أمِّ دَفْـــرِ (١)

***

ومـــضى الركـــبُ فى الـــردى، وتـــلاشي
أثـــرُ الركـــب فى (ضريـــح الليـــالي)
فكـــأنّ الحيـــاة كانـــت منامـــاً
وغـــرور الحيـــاة طيـــف خيـــالِ

(١) أم دفر: الدنيا

السكون الحاكم

أيهذا السكونُ يا حاكمَ المو
تِ، وصنو الآزالِ والآبداتِ
كنتَ قبل الحياةِ تحكمُ فى المو
تِ، وها أنتَ حاكمٌ فى المماتِ
أيها العدم، أين أسرى حبيبي؟
أيها العدْمُ أين أسرتْ حبيبي؟
أينَ مثوى الضياء؟ أين أراهُ؟
أين مثوى الغناءِ والأصوات

***

أيها العدْمُ أيس تنعس فى الصمـ
ـتِ وتَلقى لديه راحة جفنكْ
قِفْ ودعنى أبثُّ إليكَ شكاني
والتباعى مُهَمهماً فى أذنكْ
لم أجدْ فى الحياة لى أُذُناً تسمـ
ـعُ شكواى أو فؤاداً حنونا
ولذا قد أتيتُ أشكوكَ ما بى
فلقد ترْحمُ الكئيبَ الحزينا

***

كان لى فى الحياة قلبٌ طروبٌ
يتغنى كالطائر الصدَّاحِ
أحرقَ الحزنُ منه ريشَ جناحيْـ
ـهِ وأهوى به كسير الجناحِ

***

فتحمّل منه أماهُ وفرّقـ
ـه على ذلك الفضاءِ شُعاعا
قبل أن يقضى الفؤادُ ويمضي
حاملا معْه فى الفناء التباعا

ساحر الوادى المغني

فى الأبيات التالية يتخيل الشاعر مغنيا
فى وادى الموت يعنى الفانين لحنا
صامتا، وهو بعينه المغنى الذي
كانت موسيقى الوجود تستمد ينابيعها
منه وتفرقها على الربيع والأطيار
والمياه والنور .. يتخيل الشاعر
وقوف المغنى صامتا بقيثارته
المحطمة يعزف عليها فلا تسمع الألحان
ساحر الموتِ، طال صمتك، هيَّا
رجّعِ اللحنَ أيها الشادى
قم أيا عازفَ المنون وغنِّ
وابعث النَّغمَ فوق صمتِ الوادى
أترك الدوحَ والينابيعَ تحيا
لتُعيدَ الحزينَ من آهاتكْ
فلكم فاح نشرُها وهى ترى
لتحى الصباح فى نغماتكْ

***

لهفي، ما أراك تبعثَ لحناً
فاخبر الشعرَ ما دهى قيثارك؟
سرعةً لليد التى عطلتها
وعفت فى غنائها أوتارك

***

هاك موجُ الفناء يقذفه اليأ
سُ على شاطئ السكونِ الرهيبِ
يستجيب الأصداءَ وهى تُعاني
ما يُعاني، فما لها من مجيبِ

أرى روحَكَ الشحوبَ دفوفاً
تشتكى للسكون مِن ألحانكْ
غَنها من سماء فنِّك لحنا
فلقد تستفيقُ من أحزانكْ

***

كان إنشدك المبارك فجرا
مستهلا وضيءَ نورِ الحياةِ
ليت شعري. فأين أذوي؟ وأبنتْ
قد أقرت ألحان ذى الأغنياتِ؟

***

لهفى ما أراك تبعثُ لحناً
فاخبر الشعر ما دهى فيثارك
سوءة لليد التى عطلتها
وعفت فى غنائها أوتارك

شرح وتعليق[1]

الأعراف، كما فسرها المفسرون مكان بين الجنة والنار، وأطلقت هنا على شاطئ خيالى يقع وراء عالم الحياة ويشرف على عالم الموت.

بعد أن مات الشاعر، حملته آلهة الشعر على زورقها السحرى بحر الوقت وأرست به على هذا الشاطئ.

والشاعر يصف لنا كل ما رآه فى طول رحلته من عجائب الموت التى تحلم بها كل شاعرية تسلم زمامها إلى الخيال المطلق.

وعندما يصل الشاعر إلى شاطئ الأعراف، يصف لنا هذا الشاطئ ثم يروعه بحر هائج مصطخب يشرق عليه شاطئ الأعراف، فيصفه لنا هذا البحر (بحر الوقت).

ويعترض هذا البحر على صفحة الأفق، هيكل قصر خرب، به فتحات مظلمة تنساب فى خلالها مياه بحر الوقت، وتفنى فى أحشاء المجهول والعدم، هذا الهيكل الحالك هو (قبر الليالي) التى كانت تدفن أشلاءها فيه أثناء الحياة.

وبينما كان الشاعر يرعى ذلك، طلع عليه موكب فخم من زوارق سحرية يتقدمها فلك عليه خيال ملاك يعزف على قيثارته.

هذا الملاك هو الحياة، تقود عناصر الوجود من الجمال والشر.. إلخ، فى زوارقها ومر ذلك الموكب فى بحر الوقت واختفى فى غياهب هذا القصر الذى هو قبر الليالى، ثم أرخى على العالم ستار العدم والصمت.

---

(١) هذا الشرح والتعليق كتبه الهمشرى بعد انتهاء الملحمة

طائر الحب فى عاصفة الموت

عندما يَصْفو على الرمل الغدير ... فيجفّ الماءُ والموج النثيرْ
ويُنضّى فوق شطّيه الغميرْ[1] ... لذبولٍ أورث الحسنَ ضَني

***

عندما ما يسكن شدو العندليبْ ... فوق غصن الخميلاتِ رطيبْ
ويلفُّ الكون فى صمتٍ كئيبْ ... لذبولٍ أورث الحسنَ ضَني

***

عندما تعدو الرياحُ العاصفاتْ ... داوياتٍ فى ثنايا العذبات
هاوياتٍ فوق صخر الابداتْ ... لذبولٍ أورث الحسنَ ضَني

***

عندما تأفل فى الموت النجومْ ... كاسفاتٍ نورها الزاهى الوسيمْ
ويغشّى أفقها ليلٌ بهيمْ ... لذبولٍ أورث الحسنَ ضَني

***

عندما تذكرنى طى القبر روحي ... حسنك الضّاحى تهفو من ضريحى
لتراكٍ .. فترى أى قبيحِ ... لذبول أورث الحسنَ ضَني

***

ستواتيكِ كألحانٍ شذيهْ ... ضمّها غيهبُ ليلِ الأبديةْ
وهو جبّار يسوق البشريّة ... لذبول أورث الحسنَ ضَني

***

ستغنيكِ بلحنٍ ... فائضٍ من كل فنّ

يا ملاكي

---

(١) المصدر: مجلة أبوللو المجلد الأول مارس سنة ١٩٣٣/٧٥٧.

الغمير: العشب الندى

ســـــــــــتراعيكِ دجاهـــــــــا
ويناجيـــــــــــكِ هواهـــــــــا

يا ملاكي

فاســـــمعيها فى الميـــــاه الهامـــــسهْ بـــين أشـــجار المـــروج الناعمـــة

يا ملاكي

ســـــوف تـــــشكو لـــــك منـــكِ مـــــن تـــــجنّيك وتركـــــي

يا ملاكي

فاســـــمعيها فى الأغـــــانى الخافتـــــهْ والأغاريـــــد الحزانـــــى الـــصامته

يا ملاكي

obeikan.com

هبـــوة[1]

عن الشاعر الانجليزى : سكيف

لا تطـــــف بالغـــــرِ يومـــــاً، لا، لا
تـــــذرف الـــــدمعَ، ولا تنـــــدب هنـــــا
بـــــل إذا كانـــــتْ لـــــديكم بـــــضعةٌ
مـــــن جمـــــالٍ، فتلفـــــت نـــــحونا
إن هـــــذا قُمقمـــــي، فى طيـــــه
هبـــوة، فـــيما مـــضت كانـــت أنـــا

(١) المصدر: الأستاذ محمد فتحى مستشارنا الثقافى السابق بلندن وقد تلا هذه الأبيات بالإذاعة فى نعيه للهمشرى بعد وفاته، وكان المستر سكيف أستاذه هو والهمشرى بكلية الآداب سنة ١٩٣٢.

obeikan.com

إلى نَوسا[1]

منـك الجـمالُ ومنـى الحـبُ يـا (نَوَسَـا)[2]
فعلّـلى القلـب، إن القلـبَ قـد يئسـا
يـا حبـذا نـسمة مـن (توحـةٍ)[3] خطـرتْ
أطالـت الـنفسُ مـن أسـبابها النَفَـسا
أضُـمها ضَـمَّ مُـشتاقٍ بـه خَبَـلٌ
قـد رام كـتم هـوى أحبابـه فنَـسَا[4]
إن تـسمعى قـرَعَ نـاقوسٍ بقـريتكم
فى مطلـع الفجـر يَنعَـى الليـلَ والغلـسا
فإنـه قلبـى المنكـود يـذكركم
فهـل سَـمعت بقلـبٍ قـد غـدا جَرِسَـا؟
وإن تـألق بـرقٌ فى سـماوتكم
فإنـه مـن لهيـب القلـبِ قـد قبـسا

***

الـروحُ إن ظمَئـتْ يومـاً، فحاجتهـا
خمـرٌ سـاوية فاحـت بهـا قدسـا
وأنـتِ يـا (تـوحُ) روحانيـةٌ خُلقـتْ
لكـى ترينـا عُـلا الجنّـاتِ مُنعكـسَا

***

هـذا جمالـك يـدعونى لأعـشقَه

---

(١) المصدر مجلة أبوللو العدد الثامن من المجلد الأول أبريل سنة ١٩٣٣.

(٢) نوسا: قرية تتكئ على النيل قريبة من المنصورة واسمها الكامل نوسا البحر وكانت للهمشرى فيها قصة حب كبيرة.

(٣) الاسم المدلل للمتغزل فيها.

(٤) نسا: قصر

لكـــنَّ ثغـــركِ يـــا دنيـــاى مـــا نَبـــسَا
اللهُ يـــشهدُ أنـــى حـــين أذكـــركم
أديـــل دمعـــاً عـــلى الخـــدينِ محتـــسبا
عـــسى نـــسيم الـــصَّبا يَـــسرى فيـــسعف بـــى
قلبـــاً يمـــوت حزينـــاً فى الغـــرام.. عَـــسي
فـــإن بعثـــتِ لنـــا مـــن (توحـــةٍ) خـــبراً
فكـــم يحبـــك هـــذا القلـــب يـــا (نَوسَـــا)

فجر الحسن [1]

أيهـــــا المـــــشرق فى علیائـــــهِ
حـــسنكَ العـــالى عـــلى الـــدنيا سَـــبانا
أنـــتَ لحـــنُ الحـــب فى الأرض تغنـــى
ذلـــك الطـــير يـــضاحيه افتتانـــا

(١) المصدر مجلة أبوللو – العدد التاسع من المجلد الأول – سنة ١٩٣٣ ص١٠٣٨.

obeikan.com

الذاكر الناسى[1]

يـــا مـــن يغنيـــه شـــعرى ... كـــالنور فى قـــرب شـــمسِ
ومـــن يغـــارُ فـــؤادي ... منـــه عـــلى حـــب نفـــسي
ضَـــلّ الـــذى قـــال يومـــاً ... إن البعـــد يُقَـــسِّي
صـــحيح هجـــرك يُـــضني ... وذكـــر حبـــك يُنـــسي

(١) المصدر: نفس المصدر السابق

obeikan.com

صورتك السماوية[1]

مـــا البـــدر إلا صـــورة ... لـــك يـــا وحيـــداً فى البهـــاءْ
عكـــست محاســـنها البهيَّـــةَ ... حـــين واجهـــت الســـماءْ

(١) المصدر: نفس المصدر السابق

obeikan.com

حبك[1]

لقـــد كـــان مثـــل الـــسيم الخفـــيِّ
يُحـــــسُّ ولا يرتـــــشيه البـــــصرْ
فلـــيما تجافيـــتَ شـــاع الهـــوى
وأصـــبح مثـــل شـــعاع القمـــرْ

(١) المصدر: نفس المصدر السابق

obeikan.com

قِصَرُ الخلود[1]

خلقْنـــا لنلهـــو فى الحيـــاة بحبنـــا
ونـــسعدَ فى رحْـــب مـــن العـــيش واســـعِ
ومـــا كنـــتَ إلا الحـــسن فى كـــل شـــائعٍ
ومـــا كنـــتُ إلا الحـــبّ فى كـــل ذائـــعِ
مـــلأتَ الليـــالى مـــن سَـــناكَ وســـامةً
وأترعتهـــا مـــن صـــبوتى بمـــدامعى
صـــحيفتنا فى الأرضِ خالـــدةٌ بنـــا
ومـــن بَعـــدنا تبقـــى بـــشدو الـــسواجعِ
فكـــم لقّنـــتْ هـــذى الطيـــورَ أحبـــةً
فرجّعـــت الـــذكرى بـــأفْق المـــسامعِ
وفى الـــنغم التخليـــد مـــن غفـــوة الـــردى
وفى سرمـــدٍ مـــن عـــالم الحـــب شاســـعِ
ويحزننـــى أن يَقْـــصُرَ الخلـــد دوننـــا
فيـــا ليـــت شـــعرى... هـــل ستبقى إذنْ معـــى؟

---

[1] ص ـ : نفس المصدر السابق

حياتى

كـــأن حيـــاتى غنـــوةٌ جاهليـــةٌ
شـــدَتْها الليـــالى للقـــرون بـــلا معنـــي
كـــأنى أنـــا فيهـــا شـــجًى غنائهـــا
أقـــام لهـــا ذكـــرى تُغنـــي بهـــا الأذْنـــا

obeikan.com

الشيخوخة[1]

الحمـــــد لله أنـــــى ... عـــلى حداثـــة ســـني
هرمـــت فى كـــل حيـــب ... وشـــبت فى كـــل حـــزنِ

(١) المصدر: نفس المصدر السابق

obeikan.com

البدلة الصفراء[1]

يـــا قطـــرة مـــن نـــدى ... رفـــت عـــلى زهـــرةْ
يـــا قمـــراً ســـاطعاً ... قـــد لاح فى صُـــفرة

***

يـــا لمعـــةً ســـطعتْ ... فى الفجـــر مـــن دُرَّهْ
مَكِّـــنْ محُبـــكَ مِـــنْ ... ثغـــركَ ذا .. مَـــرَّهْ
دَعْنـــى عـــلى فِيـــكَ كـــى ... أُطفـــئ بـــى جمـــرهْ
ففـــى رضـــابكَ لي ... يـــا منُيتـــى خمـــرهُ
كـــم أشـــتهى لـــو أمـــو ... تُ راشـــفاً ثغـــرهْ
وإن أمُـــتْ فـــشعا ... عٌ ذابَ فى قطـــرهْ
أو أننـــى نـــحلةٌ ... ماتـــت عـــلى زهـــرهْ

(١) المصدر: نفس المصدر السابق.

القمر العاشق[1]

ألم تـــرَ البـــدرَ مـــصفرّاً بـــه مـــرضٌ
كأنـــه أنـــا يـــا دنيـــاى تـــشبيها
صـــادته منـــك لحـــاظ فى ســـماوته
فبـــات فى لوعـــةٍ منهـــا يُقاســـيها
فى الأرض منهـــا قلـــوب النـــاس شـــاكية
وفى الـــسماء مـــلاك الليـــل يبكيهـــا

***

أم هـــل تـــرى نـــوره كالـــدمع منـــسكباً
يهمـــى عـــلى وَجنـــةِ الأزهـــار يرويهـــا
بيـــتٌ أحزانـــه للـــنجم ممتـــثلاً
وللنجـــوم قلـــوبٌ مـــا تواســـيها
فيالـــه مـــن شَـــجٍ قـــد راح مُـــشتكيا
إلى شَـــجٍ مـــن همـــومٍ لـــيس يَـــدريها

***

هـــذي النفـــوس إذا حانـــت منيّتهـــا
ففـــى عيونـــك ســـحر ســـوف يُحييهـــا

(١) المصدر: نفس المصدر السابق.

نصائح الشيب[1]

نـــصائح الـــشيب تحكـــي ضـــياء شـــمس الـــشتاء
مـــا تـــدفئ المـــرء لكـــنْ إحـــســـانها فى الـــضياء

(١) المصدر: نفس المصدر السابق.

obeikan.com

الحب والطبيعة [1]

ألم تَـــرَ للحـــب كيـــف انـــبرى
يـــصوّر فى الكـــون أبهـــى الـــصورْ؟
وكيـــف ترقـــرق منـــه النـــسيمُ
وكيـــف ترقـــق منـــه القمـــرْ؟
وكيـــف تهـــذّب منـــه الحمّـــامُ؟
ولم يُـــرَ فى البُـــوم هـــذا الأثـــرْ؟

(١) المصدر: نفس المصدر السابق.

obeikan.com

أيها التائه[1]

أيهـــا التائـــه خَفِّـــفْ مـــن خُطـــاكْ
إن فى القـــبر فـــؤاداً مـــا ســـلاكْ
شـــيّع الأحـــلام فى رقدتـــه
وســـلا الكـــلَّ ولم يـــذكر ســـواكْ
وإذا ناديتَـــه مـــن قـــبره
هـــب فى القـــبر مجيبـــاً لنـــداك
لـــيس يبغـــى أن يـــرى الجنـــة في
(نفخـــة الـــصور) ، ولكـــن أن يـــراك
وضريحـــى بـــين أشـــجار الأراك
فتعـــال، واســـقه عـــلَّى أراك
إن اتخـــذت اليـــوم غـــيرى فى الهـــوى
فإنـــا لـــلآن لم أعـــشق ســـواك
هـــاتف فى المـــوت يـــدعونى، كـــما
كـــان فى الـــدنياء إلي وكـــر هـــواك

(١) المصدر: وردت الأبيات الأول والثانى والرابع من هذه القصيدة فى المصدر السابق ووردت القصيدة برمتها فى مجلة (الثقافة) العدد ٢٥ من السنة الأولى – ٢٠ يونيه ١٩٣٩، فى المقال للمؤلف عن الهمشرى عقب وفاته.

مملكة السحر[1]

هـــذا ضـــجيجُ الليـــالي ... سُـــدَّتْ بـــه أذُناكـــا
فلـــستَ تـــسمع شـــكوى ... مـــن مـــستهام دَعاكَـــا
وأنـــت فى ظُلمـــة النـــو ... رِ لا تـــرى عينَاكـــا

***

هـــذا مـــدايَ قريـــبٌ ... فـــأين منـــى مـــدَاكا؟
أكـــبرت وصـــلى دلالاً ... وأكـــبرتْ ذكراكـــا
حُبيـــكَ فى الأرض لكـــنْ ... فـــوق الثـــرى مثواكـــا
لكنـــى مـــن غرامـــى ... وحيرتـــى فى هواكـــا
صـــوَّرتُ منـــكَ خيـــالاً ... متـــى أراهُ أراكـــا

***

لا نـــال قلبـــى مُنـــاهُ ... إن كـــان قلبـــى ســـلاكا
أنـــت الـــذى تتجنـــى ... مُعـــذِّبا مُـــضناكا
فـــما لقيتُـــكَ إلا ... كـــما التقـــى جَفناكـــا

***

يـــا ذاهـــلاً عـــن غرامـــى ... تـــدللاً .. رُحماكـــا
خلفـــتَ جـــسماً طريحـــاً ... لا يـــستطيع حراكـــا
لكنـــه مـــن هـــواه ... يطـــيرُ حـــين يراكـــا
مـــلأت قلبـــىَ حُبَّـــا ... ولم أعـــد أهواكـــا
فلـــو طلبـــت مزيـــداً ... لمـــا أصـــبتَ مُناكـــا

***

(١) المصدر: مجلة أبوللو – العدد العاشر من المجلد الأول ــ يونيه سنة ١٩٣٣ ص ١١٤٠

يـــا واحـــداً فى عُـــلاه ... تحيـــــةً فى عُلاكـــــنا
لقـــد ترقَّقْـــتَ حتـــى ... شـــابهتَ منـــى هواكـــا
فلـــو تحوَّلـــتَ نـــوراً ... لكـــان طـــرْفى احتواكـــا
ولـــو تحوّلـــتَ خمـــراً ... لكـــان ثغـــرى احتـــساكا
ولـــو تحّولـــتَ روضـــاً ... وقـــد نـــشرت شـــذاكا
لكنـــتُ فيـــه فراشـــاً ... أرفّ حـــول ســـناكا
وكنـــتُ قـــضيّتُ عُمـــرى ... أحـــسو رحيـــقَ جَناكـــا

إذا.....

عن الشاعر رديارد كبلنج[1]

نظم كبلنج هذه القصيدة ينصح بها ابنه، ولكن الموت لم يمهل هذا الابن فاستأثر به، وأصبحت هذه القصيدة نصيحة إلى أبناء الإمبراطورية البريطانية كلهم.

إذا استطعتَ ألا تفقد العقلَ والحِجا
وظلْت على رغم الحوادث حازما
وقد ضلَّ كلّ الناسِ حولك وانتفوا
على كل ما قد كان منك لوائها
إذا أنتَ قد صَدقتْ نَفسكَ بينما
ظنون الورى ترتاب فى ذلك الصدقِ
وبالرغم من هذى الشكوك عَذرتهم
وقابلتَ هذا الشكَّ باللينِ والرفقِ

***

إذا استطعتَ أن تَلقى انتظارك دائما
صبوراً ولم تملل عذاب الترقبِ
إذا استطعتَ أن تبقى صدوقا مُكرما
إذا كُذبتك الناس لم تتكذبِ

***

إذا بغضتكَ الناسُ وازداد ضِغنهمْ
عليكَ فلم تحقد وأنت رحيمُ
وبالرغم لم تظهر وقورا وطيبا
فإنك فى كل الأمور عليم

(١) المصدر: عن لوحة محفوظة عند الدكتور إبراهيم رشاد، الذى أوحى إلى الشاعر بترجمة القصيدة سنة ١٩٣٥.

بنـــيَّ إذا مـــا اســـطعتَ أن تتخـــيلا
ولم تـــكُ عبـــدا يُكـــبِّرُ اســـوهَم والحلـــما
بنـــي إذا مـــا اســـطعتَ أن تتفكـــرا
ولم تجعـــل الأفكـــار مقـــصدك الأســـمى

***

إذا أنـــت لاقيـــتَ انتـــصارك هادئـــا
ولم تتـــذمر فى هزيمتـــك الكُـــبرى
وصـــاحبتَ ذيـــنَ العـــاهلين كـــما همـــا
سواســـية لم تَفتقـــذْ معهـــما أمـــرا
إذا اســـطعت أن تـــصغى إلى الحـــق قلتـــه
ليـــصبح فى هـــذا الوجـــود ضـــياءَ
يـــحوره الغوغـــاء إفكـــاً وضُـــلةً
ليغـــدو شِـــباكاً تُوقـــعُ البـــسطاءَ

***

إذا اســـطعتَ أن تلقـــى الـــذى قـــد بنيتـــه
وأنفقـــتَ فيـــه العمـــرَ وهـــو مهـــدمُ
وعـــدتَ إليـــه مـــن جديـــدٍ تقيمـــهُ
بمعولـــك البـــالى ولا تتـــبرمُ

***

بنـــيَّ إذا جمّعـــتَ مالـــكَ كلـــه
وكوَّمـــتَ مـــا حـــصَلتهَ مـــن مكاســـبِ
وغـــامرتَ فى أمـــرٍ مَـــرومٍ مخـــاطراً
بمَالـــكَ هـــذا كلـــه غـــيرَ حَاســـبِ

***

ولكـــن خـــسرتَ القـــدحَ خُـــسرانَ جَاهـــد
فعـــدت لتبنـــى بادئـــاً غـــير يـــائسِ

ولم تـــك بَكَّـــاءً عـــلى مـــا فقدتـــهُ
ولم تـــك شَـــكَّاءً ولم تتـــنفَسِ

***

إذا أنـــتَ أجهـــدتَ الفـــؤادَ مـــع العـــدا
لتمـــضى فى مَـــسعاكَ والغُـــنمُ ســـانحُ
وقـــد خـــارت الأعـــصاب منـــك ولم تعـــد
بهـــا فـــضلة تطـــوى عليهـــا الجـــوانحُ

***

مـــضيتَ بقلـــبٍ واهـــن الخفـــقِ خَـــائر
تكـــرَّ وجـــسم كـــاد يُـــصبح هالكـــا
ولم تبـــق مـــن هـــذى القـــوى غـــير غزمـــةٍ
تـــصبح: ألا سرْ جاهـــداً فى نـــضالكا

***

إذا أنـــتَ خالطـــتَ الجماهـــيرَ صَـــائناً
فـــضائلك العليـــا فلـــم تتلـــوثِ
إذا أنـــت ســـايرتَ الملـــوكَ مُحافظـــاً
لطابعـــك الـــشعبى كالمُتـــشبثِ

***

إذا اســـطعت أن تُقـــصى عـــدوك عـــن أذى
وتـــأمنَ حتـــى صـــباحا لـــك وافيـــا
إذا أنـــت قـــدّرتَ الرجـــالَ جمـــيعهمْ
ولم تـــك فى هـــذا الحـــساب مُغاليـــا

***

بنـــى إذا جلـــستَ كـــل دقيقـــةٍ
مـــن الوقـــت تمـــضي، لـــيس تـــرحم، عاتيـــه

مـــلأت بهـــا كـــل الشـــوانى ولم تكـــن
لتتركهـــا تمـــضى سُـــدىً كـــل ثانيـــه

***

ســـــتحكم فى الـــــدنيا،بنىَّ ، جَميعـــــا
وتـــصبح للـــــدنيا العريـــضة مالكـــا
وأعظـــم مـــن هـــذين شـــأنا ســـتغتدي
بهـــا رجـــلاً فـــوق الرجـــال لـــذلكا

أغنية الفلاح الإيرلندى لبقرته[1]

أبقار إيرلندا – وتسمى بأبقار كيرى – نسبة إلى مديرية كيرى بجنوب أيرلندا، متوسطة الحجم، ناعمة الملمس، سوداء اللون، لامعة جميلة المنظر، وادعة الأخلاق، متيقظة خفيفة الحركة، يدل شكلها على كرم أصلها وطيب عنصرها.

تتغذى هذه الأبقار عادة على مستوحش الكلأ ومستأسد النبت، وتعتبر مصدر ثروة كبيرة للفلاح الايرلندي، ويطلقون عليها (البقر الاقتصادي)، نظرا لأن من خصائصها أنها تدر لبنا دسما كثيرا، ولأن لحمها صالح للغذاء، رغم أنها لا تكلف الفلاح كثيرا، إذ أن نفقاتها قليلة جداً.

ويبلغ مقدار ما تنتجه البقرة الواحدة من اللبن كل عام حوالى ٦٠٠ جالون[2] يستخرج منها ما يقرب ٤ فى المائة قشدة.

يـــا ضـــاربا فى ربـــوع الريـــفِ مُغتربـــا
إن جئـــتَ (مونـــسترا) أو جئـــت (كونتـــا)[3]
فاســـأل هُنـــاكَ رعـــاةَ الريـــف عـــن بقـــرٍ
يكـــاد يـــشبهُا .. سَـــلْهُمْ كـــما شـــتتا

***

ههـــات تعثـــر فى الـــدنيا عـــلى أحـــدٍ
يُربـــكَ واحـــدةً فى الحُـــسن تحكيهـــا

(١) المصدر: مجلة التعاون العدد الثانى عشر من السنة السابعة ديسمبر ١٩٣٥ ص ٧١٠ وقد ورد تحت عنوان، (نقلها إلى الشعر العربى حضرة محمد أفندى المهمشري) مما يشير إلى أن القصيدة مترجمة ويبدو أنها من الشعر الايرلندى وأغلب ظننا أنها للشاعر جورج راسل لأنها تمثل روحه الهائمة بدقائق الريف الايرلندي.

(٢) الجالون هو مكيال انجليزى يعادل أربعة لترات ونصف تقريبا.

(١) تنقسم ايرلندا إلى أربع مقاطعات، فى كل منها عدة مديريات، وهاتان بعضها.

يـــا حُـــسنها وهـــى ترعـــى فى خمائلهـــا
(أبقـــار كـــيرى) وتلهـــو فى مراعيهـــا

***

وإن تهـــادت إلى الأســـواق تائهـــة

معروضـــة الحـــس، منهـــا يـــخجل البقـــرُ
يـــشدو لهـــا شُـــعراء الحـــى قاطبـــةً
ترنيمـــة الحـــسن والفَـــلاحُ يفتخـــرُ

***

هنـــاك ترجـــو العـــذارى الغيـــد لـــو رَبَتْـــ
حريـــر معطفهـــا فى رقـــة الآســـى
الكـــل يمـــدحها، لا بـــل يُلاطفهـــا
والمـــل يـــدعونها (حيّويـــة النـــاسِ)

***

وثـــم أبـــيضُ فى الأبقـــار مُختلـــعٌ
أو أحمـــر نـــافر الأخـــلاقِ خـــوّارُ
لكـــن أبقـــار كـــيرى فى وداعتهـــا
هيهـــات تـــشبها فى اللطـــف أبقـــارُ

***

أحـــرى بألبانهـــا أن تغتـــذى أكـــلا
يَطيـــبُ معَذبـــهُ الغـــرَّ الـــسلاطينا
أحـــرى بهـــ تُغـــذى كـــلَّ مـــدرع
مستبـــسل فى الـــوغى يَغـــشى الميادينـــا[1]

***

قولـــوا لمـــن يكتـــب التـــاريخ مجهـــدا
أبقـــار كـــيرى عظـــام الفـــضلِ والـــشانِ

(١) الشعب الايرلندى شعب حربى اشتهر بأبطاله وفرسانه فى ميادين القتال.

ضُـــمَّ اســـمها – دون لأيٍ – فى الخلـــود إلى

***

(جـــدار طـــروادة[1] أو كلـــب أوســـيان[2]
وأنـــتَ يـــا أيهـــا الفنـــان، راســـمها
فى ظـــل عوســـجةٍ فى المـــرج لفّـــاء
صـــوِّر لنـــا هـــذه الأبقـــار راعيـــةً
خُـــضر الأعاشـــيبِ فى أكنـــاف أفيـــاء

(١) يحكى أن الإغريق لما أجهدهم حصان مدينة طروادة مدة عشر سنوات على غير طائل، أجمعوا أمرهم على أن يأخذوا المدينة بالخديعة، بعد أن عجزوا عن أخذها بالقوة، فتظاهروا بأنهم يريدون ترك المدينة مقدمين قربانا للآلهة عن خطيئتهم لما أقدموا عليه من محاولة فتح المدينة، وعلى هذا أقاموا جوادا خشبيا ضخما خبأوا فيه جندا محاربين، وانصرفوا، وظن أهل طروادة أن الإغريق نزحوا عن المكان تاركين هذا الجواد ضمن ما تركوه فأدخلوه داخل أسوار المدينة، ولما جن الظلام تمكن الجنود المختبئون فيه من فتح أبواب المدينة لجيوشهم فدخلتها وفتحتها.

(٢) أوسيان: هو بطل إيرلندى أسطورى من أبطال القرن الثالث بعد الميلاد، وقد جاء ذكره فى الأدب الكلتي، وكان له كلب سلوقى لازمه فى حروبه وفى صيده، واشتهر معه.

أغنية الفلاح المصرى
لجاموسته الصغيرة المحبوبة

عندما طرقت أيدى الصباح الذهبية أبواب القرية، واكتظت الطرق بالحركة والحياة اليومية، وسارت قطعان الماشية فى الدروب الخضراء تشق الضباب المشبع بالضياء وتشم الهواء المعطر العليل، وخلفها الفلاحون مرحين فرحين بالصباح، تهلل شيوخهم بالتكبير، وتمتلئ أفواههم بالتسابيح، وتغنى فتياتهم أغانى الربيع، ويرون ابتسامته فى السماء، وقبلته فى الماء، وتهتف عليهم الطيور الصداحة من فوق الغصون، ترتل من كتاب الحب مزامير البساطة والإيمان.

رأى الشاعر الجاموسة تسير بين هذه الكائنات يقودها الفلاح فخورا فى رفق ولين، ويغنى لها ممتدحا فضلها، شاكرا طيب صنيعها، فأوحى ذلك إليه أن ينظم أنشودة ريفية يتغنى بها الفلاح إلى الجاموسة التى تعتبر صديقته الوفية المطيعة وزميلته فى الكفاح.

هتَّافةَ الصُّبحِ، إن الفجرَ قد هَتفَا
والصبح يكشفُ عن لألائه السُجفا
والشمس تُرسل للدنيا تحيتَها
وتبتغى من ذُرى الأشجار مُشترفَا

***

هذى الرعاة تغنى الصبح فى بهج
والحقل ينشر منه فى الضحى بدعا
قومى املأى الصُبحَ صوتا منكِ يبُهجنا
يا فتنة الصبح إن الصبحَ قد طلعا

***

قد جُبتُ كلَّ بِقاعِ القُطر مُغتربا
من ثغْرِ دمياط حتى سفح أسوانِ
علِّى أرى شبَهَا يُحكيكِ فى دَعةٍ

أو خفـــةٍ أو جمـــالٍ مِنـــكِ فَتـــانِ
لم ألـــق غـــيركِ يـــا جاموســـتى أبـــداً
وحـــشا عـــلى القريـــة الحـــسناء يـــسبينا
مـــن أى ينبـــوع حـــسنٍ تـــستقى وهَجَـــاً
عينـــاكِ؟ هـــل ســـحر هـــاروت بوادينـــا؟

***

يـــا ســـحر خَطـــوكِ إذ تمـــشين تابعـــةً
فى الـــصبحِ أمـــكِ نـــحو الحقـــل فى مَـــرحِ
تتلـــو عليـــك فتـــاة الريـــف غنوتهـــا
وتعـــبر القنـــوات الخـــضر فى مَـــرحِ

***

إذا ســـمعتُك طـــاف الريـــف مطـــردا
أمـــام عينـــي فيلقـــاني وألقـــاهُ
أرى الحقـــولَ وأرعـــى الريـــف مـــن أمـــم
شـــمسٌ وظـــلٌ وأشـــجارٌ وأمـــواهُ
أحـــرى بزهـــر الربـــا أن يغتـــدى أكـــلاً
وأن يكـــون عـــلى الريحـــان مرعـــاكِ
أدعـــوك جاموســـتي؟ لا ... أنـــت صـــاحبتي
بـــل أنـــتِ فـــاتنتي .. يـــا حُـــسن مـــرآكِ

***

عـــلى حليبـــكِ غـــذى الريـــف فتيتـــه
فأصـــبحوا فيـــه أبطـــالا صـــناديدا
مـــن كـــل ذى همـــةٍ بـــالروع مـــضطلع
حـــازت حـــصيدته فخـــرا وتمجيـــدا

***

لـــو أن ريـــشة فى الفـــن عاليـــة
تهتـــز بـــالوحي فى جـــو التـــصاوير

إذن رسـمتك فى محـفلة أبـدا
فيحـاء تـضحين فى ظـل النـواعير[1]
أو فـوق سـهلٍ مـن الأهـرام مُنـبطح
أو فى ربـا الخُلـدِ فى فـردوس إيـزيسِ[2]
تـرعين سـائمةً، تمـشين تائهـة
تغـدين ناعـسة فى جنـب آبـيسِ[3]

(١) النواعير: السواقى

(٢) آلهة من آلهة المصريين القدماء، وكانوا يسمونها أيضا سايت وتسيت، وهى أخت أوزوريس وأم حورس، وبعد أن كانت فى أول الأمر آلهة محلية فى الدلتا، أصبحت فيما بعد ثالوثا مع أوزوريس وحورس. وتعتبر ايزيس فى عرف قدماء المصريين آلهة الطب والزواج وزراعة القمح وغير ذلك، وهى رمز المرأة المصرية الأولى، وفى العهد الإغريقى والرومانى انتشرت عبادتها فى اليونان وإيطاليا وبعض المقاطعات فى فرنسا، وعندئذ كانت تعتبر رمزا للأنوثة والولادة ورمزا للطبيعة. أما هيكلها فى (فيلة) فكان يقدس إلى عهد جستنيان فى الدولة الرومانية.

(٣) العجل أبيس من معبودات قدماء المصريين، وله ذكر خالد فى تسابيحهم وصلواتهم.

القرية المهجورة[1]

أبيات مختارة من قصيدة (القرية المهجورة) للشاعر الإنجليزى أوليفر جولد سميث

وآســـوأتاه لأرض أصـــبحتْ غَـــنَمًا
ترعـــاه عاجلـــة الأســـقام والنـــوبِ
تـــزداد ثروتهـــا والقـــوم تخـــوتهم
تهـــوى فتوتهـــا خـــوارة العَـــصبِ
أهـــل الإمـــارة مـــن صِـــيدٍ غطَارفـــةٍ
أو مـــن ذوى الجـــاه والألقـــاب والرُتـــبِ
أحـــوالهم أبـــدا رهـــنٌ لمنقلـــبٍ
تحـــول مـــن زاهـــر يومـــا إلى عَطـــبِ
نفخـــة مـــن ذوى الـــسلطان تخلفهـــم
كنفخـــةِ خَلقّهـــم قبـــل فى الـــنِعم
لكـــن أهـــل القـــرى الأبطـــال كلهـــم
فخـــر الـــبلاد الـــشدادَ العَـــزمِ والهمـــمِ
إذا همـــو ذهبـــوا وانثـــل صرحهُـــم
وغـــالهم غائـــلُ الأرزاء والـــسقمِ
فـــلا مـــرَد لهـــم... لا شيء يخلفهـــم
مـــن بعـــدهم . كـــل شيء بـــاتَ للعَـــدمِ

(١) المصدر : عن نسخة خطية عند الدكتور إبراهيم رشاد سنة ١٩٣٦.

الربيع[1]

شمسٌ تفيضُ على أرضٍ تُباهيها
جداولا من عيون النور تُرويها
يا حبذا شمسُ آذارٍ وبهجتها
وطول أنفاسها[2] والحب يُوهيها[3]
ترف على جبهة أحلى أمانيها
كأنها النور، موسيقى لها أذن
بين القلوب تعنيها فتضحيها
هو الربيع إذا هَبتْ شمائلهُ
هزَّ البسيطة دانيها وقاصيها
فصلٌ جميلٌ من الجناتِ مَشرقه
تبدى الطبيعة فيه كل ما فيها
كأن أيامه والسحر يطلقها[4]
أحلام حسناء طافتْ فى لياليها[5]
كأنما النور فوق العُشبِ مَسرحَها
والزهرُ أسرابها رفّتْ على فيها[6]

***

زار الحقول وأحيا كلَ ناميةٍ
فتاهت الأرضُ فى أبهى غواليها

---

(١) المصدر: مجلة التعاون العدد الثالث من السنة الثامنة، مارس سنة ١٩٣٦ ص٢٥٢.

(٢) كناية عن طول النهار فى الربيع.

(٣) كناية عن خفوات الأشعة ورقتها.

(٤) كان الربيع ساحر يطلق من جرابه أيام الربيع الجميلة.

(٥) كان الأرض فى الربيع حسناء متبرجة، وكان الأحلام هذه الحسناء، فهى جميلة مثلها.

(٦) معنى هذا البيت يتمم معنى البيت السابق والمقصود أن آفاق النور الرفافة فوق عشب الأرض يتخللها الزهر مرتعشا فى أثنائها تحكى مسرح هذه الأحلام التى ترفرف هفافة فوق ثغر الحسناء.

وصــبَّ فى الزهــر أعطــارا تفــوح بهــا
ولقــنَّ الطــيرَ أنغامــاً يُغنيهــا
فــالجو بحــرٌ مــن الألحــان مُــصطفقٌ
غَــشَّى الحــدائقَ حتــى كــاد يُطميهــا
والــريح هامــسةٌ تــسري مُولهــةً
تــشكو هــوًى ظـل طـولَ الفـصَلِ يُـضنيها[1]
كأنهــا فى ثنايــا النــور خافتــة
شــكوى محــب يكــاد الــشوقُ يفْنيهــا[2]

***

وتحــسب الزهــر والأنــداء تُــضحكه[3]
مــداهنا[4] ســطعت فيــه لآليهــا
تــسبيكَ حُــسنا، فــان أهويــت تَقطفهــا
مَــدتْ لهــا الــشمس أيليهــا لتُخفيهــا[5]
والبرتقــال نــواقيسٌ مُذهبــةٌ
النحــلُ ينقــسها والــريحُ تحكيهــا
تجيــب شــدو غــدير، مــاؤهُ سَــلسٌ
يجــرى عــلى لؤلــؤ الحــصباء يبريهــا
فى روضــةٍ صــدحت أطيارهــا وضَــحتْ

(١) أى كان الريح لرقتها تحكى عاشقا يضنيه الحب.

(٢) أو أن هذه الريح مثل شكوى عاشق أخذ الحب عليه كل مذاهبه فكادت تفنى هذه الشكاوى من اضمحلاله وفنائه فى حبه.

(٣) الأنداء جمع ندى، وهو قطرات الماء التى تبلل الأزهار فى الصباح والمساء. تضحكه أى تجعله يضحك، وذلك لأن الندى يلمع عادة فى الأزهار فيخيل للرائى أن هذه الأزهار تضحك.

(٤) المداهن جمع مدهن، وهو الوعاء الذى تضع فيه الحسناء أدوات زينتها والمعنى أن هذه الأزهار والندى يلمع فى داخلها تشبه هذه المداهن تلمع فيها الحلى والجواهر.

(٥) هذا الندى فوق الأزهار مثل اللآلى، تغريك وتدفعك إلى قطفها وسرقتها فإن مددت يدك إليها مدت الشمس يدا خفية وخبأت هذه اللآلىء وهذا كناية عن عملية تبخير أشعة الشمس لندى الصباح.

أزهارُهـــا حـــين جادتهـــا عواديهـــا
تـــوحى إلى العـــين مـــن أنوارهـــا صـــورا
شـــتى المنـــاظر فـــوق الأرض توحيهـــا
طعـــن فيهـــا، فلـــو أرســـت أشـــعتها
عـــلى خـــلاء، أرتهـــا فتنـــة فيهـــا

***

فقُـــمْ بنـــا نجـــتلى نـــور الربيـــع عـــلى (الـــ
ـــسنبلاوين) ونلهـــو فى ضـــواحيها
ونرســـل الـــروح تـــسمو نـــحو فاتنهـــا
خِلـــصانة خلعـــتْ عنهـــا أمانيهـــا
فطالمـــا عَـــذبَتها مـــن تـــدللها
وطالمـــا أرهقتهـــا مـــن تجنيهـــا
وتلـــك لـــو كنـــت تـــرى، خـــير مرحلـــةٍ
للأنجـــمِ الزُّهـــرِ تهـــدينا بزاهيهـــا

أغنية الفلاح للجاموسة الراعية[1]

(الوقت فى الصباح، الزمن الربيع، مروج واسعة تخضر فى أشعة الشمس اخضرارا مشعشع، أطيار تزقزق فوق أشجار السنط والتوت والجميز، يسمع ساقية عن بعد يكاد صوتها يتلاشى فى الفضاء البعيد. يرى داع مقبلا وأمامه قطيع من الماشية تتقدمه جاموسة صغيرة فاتنة تملأ الجو (بنعيرها) الموسيقى المتقطع النغمات، الهادئ النبرات، المفاجئ الانتظار المنتظرة المفاجأة .. الراعى .. يربت الجاموسة الصغيرة ويعنى لها.

تـــــنقلى .. تـــــنقلي ... مـــن جـــدولٍ لجـــدَولِ
جاموســـتي يـــا ســـاحرة ... جـــوبي الحقـــول النـــاضرة

تنقلى تنقلي

يـــشدو لـــك العـــصفورُ ... ويهمـــــس الغـــــديرُ

تنقلى تنقلي

خطوتـــــك الحـــــسناء ... يمـــشى بهـــا الرجـــاء

تنقلى تنقلي

تـــــنقلى فى الريـــــفِ ... ويـــــالمروج طـــــوفى

تنقلى تنقلي

جـــوبى مـــع الـــصباحِ ... يـــا منيـــة الفـــلاحِ
يـــا ظبيـــة البطـــاحِ ... تـــــنقلى ... تـــــنقلي

من جدولٍ لجدولِ

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد الرابع من السنة الثامنة أبريل سنة ١٩٣٦ – ص ٣٤٨.

هـــذا هـــو الربيـــعُ وجـــــوه البـــــديعُ

تنقلى ... تنقلي

وفى لظـــى الخريـــفِ فى حوشـــك الوريـــفِ
وفى ظـــلال اللـــوفِ بجانـــب الـــشادوفِ

نامى هنك نامي

وإن أتـــى الظـــلامُ ورَجـــعَ الأنـــامُ
يركبـــك الغـــلامُ إلى فنـــاء الـــدارِ

تنقلى .... تنقلي

يبعد الراعى والقطيع ويختفيان وراء التلال البعيدة، ويخف الصوت رويدا رويدا. وأخيراً يتلاشى فى الفضاء المنور كأنه أحلام زرقاء تتهادى مع النسيم وهو يعتنق حقول البرسيم.

الأغنية المسائية[1]
أو
عودة الراعى

عندما أرخى الليل سدوله على القرية ورجعت كل سائمة، كان الراعى يسير فى ناحية الأفق متهاديا وقد شبك عصاه بيديه خلف عنقه يهدى قطيع عنمه أن يضل الطريق، وكان يحلم بلقاء زوجته التى تنتظره على باب المنزل لتقبله قبلة مسائية ترفه عنه ما لاقاه أثناء النهار من تعب، وبينما هو ذاهل فى هذا الحلم، إذا به يسمع من بعيد – فى الوهم – صوتا جميلا يغنى هذه الأنشودة.

صوت الهاتف:

هـــا هـــو الليـــل مُقبـــلٌ بتهـــادى
فارســـاً يمتطـــى ظهـــور التـــلالِ
ونـــسيم المـــاء يـــسرق عطـــرا
مـــن ريـــاض ســـحيقة فى الخيـــالِ

***

صـــور المغـــرب الـــذكّى رُباهـــا
فهـــى تحكـــى مدينـــة الأحـــلام
نفحـــت فى الخيـــال منهـــا زهـــور
(غـــير منظـــورة) مـــن الأوهـــام

***

ووراء الـــسياج زهـــرة فُـــلٍ
غازلتهـــا أشـــعةٌ فى المـــاء
نـــشر النـــسم سرهـــا وهـــو يـــسري

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد السادس من السنة الثامنة يونيه ١٩٣٦ ص ٥٢٦.

فى ريـــــاض مطلولـــــة الأفيـــــاء

***

ودهـــــاليز مـــــن ظـــــلالٍ ونـــــورِ
صـــــورت ســـــحرها يـــــد الأطيـــــافِ
عـــــشش الطـــــائر المـــــائيُّ[1] فيهـــــا
ســـــاكبا لحنَـــــه الحنـــــون الـــــصافي

***

إن هـــــذى الأزهـــــار تحلـــــم فى الليـــــ
ـــــل، وعطـــــر النـــــارنج خلـــــف الـــــسياجِ
وخريـــــر الميـــــاه والـــــشفق الـــــسحـ
ـــــر، وهمـــــسا مـــــن النـــــسيم الـــــساجى

***

والنـــــدى والظـــــلال تـــــنعس فى المـــــساء
وهـــــذا الـــــشعاع خلـــــف الغـــــمام
بعـــــض ألحانـــــه تـــــأنَّق فيهـــــا
فـــــتراءت فى هـــــذه الأجـــــسام

وصمت الهلتف .. وإذا بالليل ترف فيه أحلام هفافة زاهية، وإذا بالأرغول – أرغول الراعى – يرسل هذه السيراناد[2] يناجى بها زوجته.

كـــم مـــشينا بـــين الحقـــول طـــويلا
نـــشتكى الـــشوقَ والهـــوَى والغرامـــا
وإذا مـــا تعبـــت نجلـــس حينـــا
فـــوق شـــط الغـــديرِ نـــشكو الـــسقاما

(١) الكروان

(٢) السيراناد : هى أغنية شعرية يغنيها الشاعر العاشق على نغم الفيثار تحت نافذة حبيبته فى ليلة قمرية.

تحـــت تعريـــشة مـــن الكـــرم نرعـــى
قمـــر الليـــالى فى جـــلال الـــسكون
وخريـــر الميـــاه فـــاض غنـــاء
مثـــل قلبـــى يُهـــدى إليـــك حنينـــي

***

والنـــسيم العليـــل يعبـــقُ عطـــرا
يتهـــادى فى غـــبرةٍ مـــن دلالـــك
ونجـــوم المـــساء تحنـــو علينـــا
بـــشُعاع يحكـــى شـــعاع جمالـــكْ

***

قلـــت: غنـــى ففـــى غنائـــك لحـــنٌ
ســـوف تـــصغى إلى صـــداه الـــسماءُ
قلـــت: إن الـــشجون تمـــلأ قلبـــى
وحـــرام عـــلى الـــشجون الغنـــاءُ

***

وســـكتنا حينـــا وغـــشى علينـــا
فى ســـكون الظـــلال صـــمتٌ طويـــلُ
وانتهينـــا والبُـــوم تنعـــبُ فى الليـــ
ـــل وصـــوت الـــذئاب فيـــه مهـــولُ

***

فقطعنـــا حبـــلَ الـــسكون، بـــصوتٍ
أبـــدى مـــازال يمـــلأ أذني
قلـــتُ هيـــا قـــومي، فـــإن فـــؤادي
يـــا حيـــاتى يهـــدهُ طـــول حزنـــى

***

قلـــتُ أخـــشى الفـــراق. قُلـــتِ تـــشجع

سـوف أطـوى عـلى هـواكَ الليـالي
قلـت أخـشى الزمـان، قُلـتِ ضـلالُ
سـوف يـبلى والحـب لـيس ببـالِ

***

حبنـا كـان قبـل خَلْـق الليـالي
وسـيبقى بعـد انقـضاء الزمـان
سـوف أهـدى إليـكِ فى النـور شـوقى
وغرامـى ولـوعتى وحنـانى

***

والتففنـا معـا إلى الغـرب نَرعـى
عالمـا مـن غمائـم وضـياء
وغـصونا كأنهـا شرفـات
تـاه فى بهوهـا رفيـف الغنـاء

***

قلـتِ مـا الكـون؟ قلـت يـشبه عنـدى
بعـض مـا فى الخيـال مـن أحلامـكْ
قُلـتِ مـا الليـل؟ قلـتُ يـشبه عنـدى
بعـض مـا فى الفـؤاد مـن آلامـكْ

***

قُلـتِ والنـور؟ قُلـتُ سـحر جبينـكْ
قُلـتِ مـا النـسم؟ قُلـت طيـفُ خيالـكْ
وغنـاء الطيـور مـن تلحينـكْ
إن سـحر الحيـاة سـحرُ جمالـكْ

***

أنـتِ لحـنٌ مـستعذبٌ عُلـويٌ
قـد تهـادى مـن عـالمِ نـوراني
سـمعتْ وقعَـه الـسماويَّ روحـي

فأفاقـــــتْ فى معبـــــد الأحـــــزانِ

***

أنـــــت حلـــــمٌ منـــــوّرٌ ذهبـــــىٌّ
طـــــاف فى أفـــــقِ عَـــــالمٍ مـــــسحورِ
وتـــــجلى عـــــلى غياهـــــب روحـــــي
بجنـــــاحٍ مـــــن الـــــضياء البـــــشيرِ

***

أنـــــتِ عِطـــــرٌ مُجَـــــنحٌ شـــــفقىٌّ
فـــــأوح الجـــــرح فى همـــــود الـــــذهول
قـــــد سرى فى الخيـــــالِ طيـــــب شـــــذاهُ
مـــــن زهـــــورٍ فى شـــــاطئ مجهـــــول

***

أنـــــت يـــــا زوجتـــــى العزيـــــزة ظِـــــلٌ
مـــــستحب فى ريـــــوة الأحـــــلامِ
غمـــــرَ الـــــروح فى ســـــكينتها الـــــسحر
فتاهـــــــــت فى عـــــــــالم الآلامِ

إلى القمر [1]

عن الشاعر الانجليزى بيرسى بيش شلى

أشـــاحبٌ أنـــتَ مـــن غَـــمٍ وتفكـــيرِ؟
وســـاهمٌ أنـــتَ مـــن ضَـــنكٍ وتكـــديرِ؟
إن رحـــتَ ترقـــى ســـماء لا أليـــفَ بهـــا
كـــما يواســـيك فى ترحالـــكَ النـــورى
تـــسير بـــين نجـــوم لـــيس يؤنـــسها
عمـــر ومَـــرّاكَ فى هَـــذِي الـــدياجير
لم تلـــقَ عينـــك مـــا يغـــرى انتباهتهـــا
ولم تجـــد فى ســـراهـــا أي تغيـــير

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد العاشر من السنة الثامنة، أكتوبر ١٩٣٦ – ص ٩٨٦.

إلى الفراش الأصفر[1]

يـــا طيـــائراً لا يكـــفُّ ... هـــل أنـــت نجـــمٌ يـــرفُّ؟
أم أنـــت خطفـــةُ نـــورٍ ... أم أنـــت قلـــبٌ يخـــفُّ؟

***

تطـــيرُ نـــدباً طرويـــاً ... فـــوق الزهـــور تـــدفُّ
شَـــابهتَنى فى شـــبابي ... بـــل أن جـــسمى أخـــفُّ
قـــد كـــان ريـــشُ جنـــاحي ... مـــن عَـــسجدٍ يُستـــشفُّ
وكنـــتُ بالـــدهر دومـــاً ... مُـــستهزئاً أســـتخفُّ
حتـــى لقَيـــتُ شـــديداً ... مـــن الليـــالى يـــشفُّ
قـــد شـــابَ قلبـــي، فنفـــسي ... عـــن الـــسرور تعَـــفُّ
وأصـــبح الحـــزنُ حـــولي ... مـــن كـــلِ جنـــبٍ يَحُـــفُّ
وســـوف يـــذبلُ قلبـــي ... غـــداً ودمعـــى يجـــفُّ

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد الثالث من السنة التاسعة مارس ١٩٣٧ – ص ٣٤٢.

طلوع الشمس وغروبها[1]

طَلعـــتْ ذكـــاء[2] كأنهـــا فى نورهـــا
كـــأسٌ يُـــشيعهُ هـــوى الأنفـــاسِ
مـــا زال يرقـــى صـــاعداً مُتهاديـــاً
حتـــى هـــوى فطغـــى عـــلى الأغـــراسِ
وكـــأن أزهـــارَ لطبيعـــة كُلهـــا
مـــن حولـــهِ فى حـــسرة الجُـــلاسِ

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد الخامس من السنة التاسعة مايو ١٩٣٧ – ص ٦٠٥.

(٢) ذكاء : الشمس.

obeikan.com

نواقيس المساء [1]

عن الشاعر الإنجليزى توماس مور

نـــــواقيس المـــــساء، ومـــــا أحـــــيلى
إذا طنـــــــت نـــــــواقيس المـــــــساء
فكـــــم مـــــن قـــــصةٍ قـــــد أنـــــشدتها
وتنـــــشد ... بعـــــدَ حَينـــــى والفنـــــاء

***

ســـــيبقى لحنهـــــا الـــــداوي... سَـــــيبقي
بجُلجـــــلُ كـــــل يـــــومٍ فى الفـــــضاء
ويَعـــــبرُ هـــــذه الوهـــــدَات غَـــــيرى

مـــــن الـــــشعراء ركـــــب فى غنـــــاء
يُرتـــــل مَـــــدحكِ العـــــالى ويـــــشدو
يـــــسحركِ يـــــا نـــــواقيس المـــــساء

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد العاشر من السنة التاسعة، ديسمبر سنة ١٩٣٧ – ص ١٤٦٤.

إلى شجرة الليمون[1]

شجرة الليمون من أجمل الأشجار وأزهاها وذلك للخضرة العميقة التى تشيع فى أوراقها، ولها نوار أبيض ناصع البياض تفوح منه رائحة رقيقة لطيفة تضمخ كل الجو الذى تنشأ فيه، ويزرع شجر الليمون فى كثير من حدائق الريف، وهذه الأبيات الأربعة تحية إلى هذه الشجرة اجميلة الحالة.

قد فاح عطرك فى الفضاء كأنه
سحرٌ لحن طاف قرب نُعاسِ
هو روح موسيقى سَرَت فى دوحة
من بيعةٍ[2] سحرية الأجراسِ
وتلألأت فوق الصباح عرائسٌ
تساقطتْ نفّاحة الأنفاس
هبطت بروحى فى ضرام خيالها
أرض السلام وخدّرتْ إحساسي

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد العاشر من السنة التاسعة، ديسمبر سنة ١٩٣٧ – ص ١٤٦٣.

(٢) البيعة: الكنيسة

العـــودة[1]

(١)

تبين هذه القصيدة كيف أن المدن تفسد الذوق وتغير من نفسية الريفى فينكر ما كان يألفه من معاهد صباه ومغانى طفولته فى قريته.

لقـد رنقـتْ[2] عـين النهـار وأسـدلتْ
ضـفائرها فـوق المـروج الـدياجرُ
وقـد خـرج الخفَّـاش يهمـسُ فى الـدُجي
ودَبـتْ عـلى الـشط الهـوامُ النـوافرُ[3]
وطـارت مـن الجميـز تـصرخ يومـة
عـلى صـوت هِـرٍ فى الـدجى يتـشاجرُ

***

وفى فـترات ينـبحُ الكلـبُ عَابـساً
فيعـوى لـه ذئـبٌ مـن الحقـلِ خـادرُ

***

مـشيتُ وحيـدا مُطـرق الـرأس باكيـا
وقـد شَردْت فى الحـزن منـى خـواطرُ
حزينـا تهـادى فى الظـلام كـأنني
إلى الأفـق المجهـول فى الليـل سـائر
لقـد أشـعلتْ كُـل المـآذنِ نورَهـا
ولاحـتْ عـلى الأفـقِ البعيـد المقـابرُ

---

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد الأول من السنة العاشرة، يناير سنة١٩٣٨ – ص ٣٨.

(٢) الترنيق: اختلاج العين ساعة اليوم.

(٣) حشرات الليل.

وقد عقدت نار العروش[1] سحائبا
عليها، وفاحت بالدخان المجامرُ[2]
ومن تلعةٍ[3] تبدو البروج[4] ونوقها
حَمَامٌ على الصمت المخيم ذاكرُ
ينادى أليفا ضلَّ فى الدغلِ[5] مسلكاً
ولم يُبصر الأبراجَ والسربُ عابرُ
وقد جمش[6] البردُ الشفيفُ[7] جنَاحَه
فمدّتْ لتنفُضَ الريشِ منه مناقرُ
يُراعى نهارا ليس يقبل ليلَهُ
من الفخت[8] فيه تستكُّن الهوادرُ

***

شعورُ انقباضٍ فى الظلام ووحشة
وصمت وحزنٍ .. شدَّ ما أنا ناظرُ
فمن أين قلبى يستمد المصادرُ؟
وفى مهبط الوادى تقوم عرائس[9]
من الكرم، والناطور[10] فى الليل ساهرُ

(١) العروش: البيوت المسقفة بعسيب النخل والمقصود بمعنى البيت هو الدخان الذى يخرج من خصاصات بيوت الفلاحين ساعة المساء وهم يعدون الطعام بعد عودتهم من حقولهم.

(٢) المجامر: المواقد.

(٣) التلعة: المستشرف من الأرض.

(٤) بروج الحمام، وهى كثيرة فى الأرياف المصرية، وتوجد عادة خارج القرى.

(٥) الدغل: الملتف من الشجر، وجمعها أدغال.

(٦) جمش: قبض.

(٧) الشفيف: القارس.

(٨) الفخت: هو شعاع القمر أول ما يبدو والمقصود أن الحمام يحسب نور القمر فى الليل نهاراً لانعكاس أشعته على ماء المطر فهو ينتظر انقضاء هذا النهار الطويل ليأوى إلى أبراجه.

(٩) العرائس: التكاعيب.

(١٠) الناطور: حارس الكرم.

وقـد أشـعل النـيران فيهـا ليـصطلي
فـرفّ لهيـب فى العـرائس واهـر[1]
يزمـر فى الأرغـول والليـلُ سـامعٌ
ويُـصغى إلى الأوهـامِ والليـلُ زامـرُ

***

أرى السهل فى صمتٍ كئيبٍ ووحشةٍ
تخيم فوق الليل والكون غامرُ
فمن أين قلبى يستمد خفوقهُ
ومن أيها لي تستمد المصادرُ؟

(١) واهر: باهر، ساطع

obeikan.com

العـــودة [1]

(٢)

فى هذا الجزء الباقى من القصيدة يصور الشاعر ماجاش فى نفس العائد من ذكريات، وما اضطرب فى قلبه من صور لماض سحيق مختزن بالتهاويل والأشباح وهو يرى مغانى غرارته ومعاهد طفولته وترى بلهنيته دراسة العالم، ويرى الديار قد عفت غير طلسم ويرى الأشجار قد صدحت غير أوراق حوائل تلوى بها الصبا والشمائل، لقد غرت المدن وبهرجها الزائف شبان القرية المتعلمين، وفتيانها الأشداء الأقوياء، وملاكها الأثرياء، فنزحوا إليها تاركين القرية قاعا صفصفا، تذكر العائد كل هذا، فراح يبكى قربته ويتذاكر تاريخها المجيد وصور السعادة التى مثلت حينا من الزمان على مسارحها، ويتمنى لو أنه يقضى حتى لا يرى هذه الجنة التى كانت له مربعا ومخرفا، ومشتى ومصيفا، تلعب بها أيدى البلى وتتناوبها الأحداث.

رجعــتُ إليــك اليــوم مــن بعــد غُربتــي
وفى الـــنفس آلام تفـــيضُ ثـــوائرُ
رجعــتُ وعقــلى تائــه الفكــر شــاردٌ
وأبــتُ وقلبــى واهــن الخفــق خــائرُ
فيــا أرضَ أحلامــي، أألقــى طفــولتي
ويــسعدنى يــومٌ مــن العُمــر آخــرُ؟
تعــسفتُ فيــكِ الليــل والــريح صَرصرٌ
وخــضتُ إليــكِ المــوجَ والنهــرُ ثــائرُ
أتيــتُ لألقــى فى ظِلالــك راحــةً
فيهــدأ قلبــى وهــو لهفــانُ حَــائِرُ
أمــوتُ قريــر العــين فيــك مُــنعماً
يُحــدثنى نَفــحٌ مــن المــرجِ عــاطرُ

---

(١) المصدر : مجلة التعاون – العدد الثانى من السنة العاشرة فبراير سنة ١٩٣٨ ص ١٤٦ – وقد آثرنا فى أن ننشرها على حدة مع مقدمتها كما اثبتها الشاعر رغم أنها استطراد للقصيدة السابقة.

ويلحفنـــى هـــذا البنفسـج، ولـــتكنْ
مـــسارح عينـــى ... الرُبـــا والمحـــاضرُ
وآخـــر مـــا أُصْـــغى إليـــه مـــن الـــصدى
خريـــرك يفنـــى وهـــو فى المـــوت ســـائر

***

ولكـــن بـــلا جـــدوى أتيـــتُ فلـــم أجـــد
ســـوى قفـــرةٍ أشـــياحُها تتكـــاثرُ
وقـــد نـــصبتْ أيـــدى الـــشتاء ســـياجها
عليهـــا، وأســـوارُ الظـــلامِ تحـــاصرُ
وقـــد خـــيم الـــصمتُ الهتـــوفُ مـــع الـــبِلى
عليـــكِ، وأرواحُ الـــدجى تتنـــافرُ
وقـــد هـــاجم الغـــاب الكثيـــف غِيَاضَـــهَا
ليغَزوهـــا والمـــوجُ يزيـــدُ هـــادرُ
وهـــبَّ نـــسيمٌ بـــاردٌ مـــن كهوفهـــا
تجاوبـــه فى الـــريح هـــذى المغـــاورُ
وقـــد رفـــرفَ الخُفَّـــاشُ فيهـــا وحوَّمـــتْ
عـــلى الـــشط غربـــان الفنـــاء الكـــواسرُ
وداويـــة للبـــوم مـــن فـــوق سرحـــة[1]
قـــضى[2] فوقهـــا مـــن قـــارس الـــبرد طـــائرُ
تُرتـــل لحـــنَ المـــوتِ فى مَعبـــد الـــدُجي
وتـــروى أســـاطيراً روتهـــا الـــدياجرَ
كأنـــك فى سِـــفْر الليـــالى ملاحـــمٌ
يُرتَلهـــا فى جانـــب المـــوت شـــاعرُ

***

(١) سرحة: شجرة.

(٢) قضى. مات

لقد حَكَم الموتُ المُشَتِّتُ حُكمَه
علينا وأحداث الليالى الجوائر
فيا كوكباً فوق العواصف سَاهماً
يتابعه طيفُ الدُّجى وهو غائرُ
ويا شعلة النوتى تخفقُ فى الدُّجى
وقد هاجمتها الريح والنوء صافر
يا زهرة فى شاطئ الحزن أينعتْ
وقد أتحفت منها الخريف بواكرُ
نمتْ وحدها ... لم تلق غيرَ ظلالها
أليفاً تُشاكيه الأسى وتساورُ

***

ألا فاستريحى الآن حسبكِ واهدئي
فلن تحملى ما تستبيح المقادرُ
ركبتِ مع الآمال كل مهوبة
وعدتِ كما عاد لطريدُ المهاجرُ
رأى خلف أسوار المدينة دوحةً
حنَتْ فوقَه بالظل واليوم ناجرُ(١)

***

لقد فرغت فى عالم الحزن جولتي
وما فرغتْ منى الليالى الدوائر
فيا أفق الدنيا ويا فجرَ ليلها
ومن خفَقتْ فيه المُنى والخواطرُ
ومن تسبح الأحلام فى ملكوتهِ
حيَارَى، وتفنى فى هواه المشاعرُ
أيا شفقاً فى عالمِ جو أرضه

(١) ناجر: شديد الحر.

خيـــالٌ عـــلى الـــوادى المهـــوم ســـاهرُ
تحـــفُّ بهـــا فى الـــصمت أشـــجار جَنـــة
يفـــاوحنى منهـــا عـــلى الـــوهم عَـــاطرُ
وأســـــمعُ موســـــيقى بهـــــا ذهبيـــــة
تفـــيض بهـــا فـــوق المـــروج قَيـــاثرُ
وأتـــركُ عينـــى فى الخيـــالِ تـــشقُّه
فـــألمح أشـــباحاً هُنـــاكَ تُـــسامُر

موت المغـــرد

لقـــد هـــدأتْ ريـــح الكهـــوف ونفـــضتْ
عـــلى الأفـــق مـــن حلـــم المـــروج بـــشائرُ
وقـــد خففـــتْ بـــينَ العـــرائس نـــسمةٌ
يُعابثهـــا فى غفـــوة الفجـــر ثـــامرُ[1]

***

بـــدا الـــصبح فـــوق المـــرج أصـــفر ناصـــلا
فلاحظـــه زهـــرُ الرُّبـــا وهـــو حـــائر
ومـــا نفحـــتْ فـــوق الربـــاوة[2] زهـــرةٌ
ولا دف[3] فى هـــذى الخمائـــل طـــائرُ
وقـــد نتَـــفَ الـــشحرورُ[4] فى الـــروض ريـــشَهُ
وحلَـــتْ مـــن الصفـــصاف فيـــه ضـــفائرُ
وقـــد خَيمـــت فـــوق العـــرائس وحـــشة
وصَـــمتٌ عـــلى أوراقهـــا الـــصُفر نـــاشُر[5]

***

لقـــد خـــفَّ نَـــسْمُ الـــصبح يهمـــسُ ناعيـــا
إلى الـــسهل أن قـــد فـــارق الكـــون شـــاعرُ
لـــذا نَقـــس[6] النحـــلُ الزهـــورَ فجلجلـــتْ
ونابـــتْ عـــن الأجـــراسِ هـــذى الأزاهـــرُ

(١) غفوة الفجر: أى فى سريعة طلوع الفجر – ثامر: أول ما يبدو منه.
(٢) الرباوة: أى الربوة
(٣) دف الطائر: حلق ليقع
(٤) الشحرور: مغرد حسن الصوت
(٥) ناشر: أى منشور
(٦) نقس: دق الناقوس.

طلوع الفجر[1]

نظمت هذه الأبيات على مقربة من ترعة السلمانية بمركز السنبلاويين.

فى ســـــكون الليـــــل والفجـــــر غريـــــقْ
نبـــــه الوســـــنان[2] صـــــيّاحُ الـــــسحرْ[3]
مـــــا لهـــــذا الـــــشرق يبـــــدو فى حَريـــــقْ
أذعـــــر الأنجُـــــم منـــــه والقمـــــرْ؟

***

أيهـــــا النعـــــسان فى دنيـــــا الـــــسنَا
تتمطـــــى فى سريـــــر الـــــشفقِ[4]
النـــــدى حولـــــك يَهمـــــى موهنَـــــا
والأزاهـــــير حيـــــارى الحـــــدقِ

***

ارفـــــع الكُلـــــة[5] تبـــــصر عجَبـــــا
عَالمـــــاً يـــــسبحُ فى بحـــــر الـــــضياءْ
وعيونـــــا دافقـــــات ذَهبـــــا
فى مقاصـــــير عطـــــورٍ وعنـــــاء[6]

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد الخامس من السنة العاشرة – مايو سنة ١٩٣٨ – ص ٤٣٨.
(٢) الوسنان: النائم
(٣) صياح السحر: الديك
(٤) صورة رمزية للفجر تمثله طفلا فى مهده، والمهد هنا هو الشفق.
(٥) الكلة: الناموسية.
(٦) صورة أيضا للنور والسحب وأصوات الطيور.

هتف الكروان في الأفق البعيد
كالمصلي تحت محراب القمر
ناسك في الليل يدعو وبعيد
هائم وجداً بالذي صاغ السحر

***

وغصون الجرورين[1] ارتعشت
في الدجى مثل قلاع حافقه
واقفات من بقايا سُفن
في بحار السحرِ ظلت غارقة

(١) الجرورين : أشجار معروفة في ريف مصر ، سامقة الأعواد

مسارح الشفق[1]

نظمت هذه القصيدة فى قرية منفة بجوار مدينة السنبلاوين – مسقط رأس الشاعر – وقد كستها الطبيعة حلة قشيبة من الزرع والنخل.

يـــا ليـــالى (بالـــشهيّد) عـــودى
محـــسنات كـــما مـــضيتِ عَـــذابا
وأرينـــى الـــسرور منـــك ســـلافا
وكـــما كنـــت فـــارجعى أكوابـــاً[2]
وامـــلأى الكـــأس لا تخـــافى عـــذولا
وامزجـــى بالـــسرور فيـــه شرابـــا

واتركينـــى بـــين الـــشعاب طرَيـــحا
فاقـــد الحـــس لا أفيـــقُ صـــوابا

***

شـــأن نفـــسي، وذاك فى غـــرام
أن تـــحب النبـــاتَ والأعـــشابا
وتلـــذُ الجلـــوس فى ظـــل أيـــكٍ[3]
رفـــرفَ الطـــيرُ فوقـــه أسرابـــاً[4]
وانـــحنتْ تحتـــه الغـــصون سُـــكارى
مـــائلاتٍ أعطافهـــا إعجابـــا

---

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد السادس من السنة العاشرة، يونيه سنة ١٩٣٨ – ص ٥٤٧.

(٢) السلاف هي الخمر: أى أن مثل هذه الليالى بوقتها ولطفها مثل الكئوس وكان اللعب والمرح فيها خمر صافية.

(٣) الملتف من الشجر.

(٤) أسراب: جماعات

يتغنى بين الثمار لحنِ
هل سمعت القيان[1] غنتْ طِرابا
من وحيدينِ يسحعان سروراً
وفريدين يشدوان انتحابا
وجرى الماء في الغدير رحيقا
وكأن النوار فيه نجوم
ركبت تحته المياه سحابا
وحكى السرو[2] في الرُبى مُستهاما
وحكى بينه الغديرِ كعابا
فهو من فوق عاشق مستلذُّ
يرشفُ الرِّيقَ خِلسةً وانتهابا
وسرى النَسمُ، في شذاه مُلابٌ[3]
فائحٌ نشره يحاكي القِنابا
وكأن الهواء أضناه مابي
فسرى مُوهناً ورقَّ وطابا
ودنت للغروب شمس كستها
صبغة العسجد الفتين[4] إهابا
قد تبدت وقت الأصيل ككأسٍ
سَكبتْ خمره فغشى الشِعابا
فتنة الأرضِ طالَ بُعدك عنها
طول يومٍ .. أما كفك اجتنابا؟
أرسلي شعَرك الجميل عليها
ألبسيها من الضُحى جِلبابا
وصِليها . لا تستحي من رقيبِ

(١) القيان: جمع قينة، الجارية الحسناء المنشدة.

(٢) الحباب: فقاقيع الكأس، والمعنى أن الماء مثل الخمر والزهور العائمة فوقها مثل الفقاقيع.

(٣) الملاب: ضرب من العطر الفاخر، والمعنى أن النسيم برقته يشبه العتاب بين الأحباب.

(٤) القتين: الصقيل

تركـــتْ عينـــه عليـــك خِـــضابا[1]
وافرشـــى العـــسجدَ الرقيـــقَ مـــلاء
واســـدلى الليـــلَ خـــير ســـترٍ حجابـــا
مـــسرح تـــسبحُ النـــواظر نـــشوى
منـــه فى عَـــسجدٍ يمـــوج عُبابـــا
زعفـــرانٌ غـــشَى الـــسماء ووردٌ
شـــاد فى المغـــرب الـــذكى قِبابـــا
وتمـــشى الـــسكون .. إلا مـــن البلـــ
ـــبل صـــوت جتـــاب الرُبـــى خلابـــا
يـــشكر الـــشمس فى ابتهـــالٍ مـــدين
أســـلبتْى ضـــوءها عليـــه ثيابـــا

***

واختفـــى النـــور هاربـــا مـــن كَمِـــيٍّ[2]
أطلـــق الخيـــل فى ظـــلام عرابـــا
ويـــدا البـــدر فى الـــسماء كَعـــين
مـــن لجـــينٍ يَـــسيلُ منهـــا مُـــذابا
أصـــفر شـــفَّه الـــسُهاد طـــويلا
وحَمـــاهُ الكَـــرى الغـــرام فآبـــا
عاشـــق يـــذرُع الفـــضاء مـــن الوجـــ
ـــد ليُطفـــى مـــن الهيـــام التهابـــا
تحـــت ســـترٍ مـــن الحجـــاب خفيـــف
مستـــشف يحكـــى عليـــه سرابـــا
ونجـــوم الجـــوزاء كالـــدر يطفـــو
مـــلَّ فى بـــاطن العُبـــاب احتجابـــا
غابـــة الليـــل والحمائـــم فيهـــا
قـــد بـــرى نوحهـــا البكـــاء فـــذابا[3]

(١) حمرة الخجل

(٢) الكمي: الفارس لمسح

(٣) أي كان السماء والنجوم فيه غابة يرفرف فوقها سرب من الحمام.

ليلية[1]

صورة من المساء فى القرية

ولىَّ النهـــــارُ وأقبـــــل الغـــــسَقُ
والـــصمتُ يجـــثم خلفـــه الأفـــق
والـــروضُ ينـــشرُ فيـــه موكبـــه
هـــذا الـــضباب، ويلمـــح الـــشفقُ
والـــدوح مـــرتعش يخالـــسه
بـــين الـــسحائب كوكـــب خِفـــقُ

***

صـــه، فالمـــساء هنـــا كمُختـــشع
فى الـــدير جلـــلّ قلبـــه الفَـــرقُ
والـــروض رنـــقٌ للنعـــاس فـــلا
طـــير يـــرفُّ بـــه ولا ورقُ
أرخـــى الظـــلامُ عميـــقَ وحـــشَته
فـــوق الـــديارِ وأخلـــتْ الطُـــرقُ

***

هـــذاك راعٍ عـــابَ مُنحـــدراً
خلـــف الـــسياج ولفـــهُ الغـــسَقُ
مـــاذا بـــوادى الـــشرق؟ وكوكبـــةٌ
غـــيماءٌ فـــوق رُبـــاه تحـــترقُ؟
لا ... بـــل هنـــاك قـــد حَبَـــا قمـــرٌ
خلـــف الروابـــى الخُـــضر ينبثـــقُ

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد العاشر من السنة العاشرة ديسمبر سنة ١٩٣٨ –ص ٩٧٨.

عاصفة فى سكون الليل[1]

أشرقـــى كـــالفجرِ غـــرّاء الجبـــين
واتركـــى نـــورك يَهـــدى العـــالمين
واطلعـــى فى ليـــل حُزنـــى كوَكبـــا
تَعـــصمينى مـــن ضـــلال العاشـــقين
واطرحـــى فى قَفْـــر عمـــرى زهـــرةً
علّهـــا تنمـــو وتزكـــو بعـــد حـــين
وابـــسمى تبـــسمْ لنـــا بـــيضُ المُنـــى
واضـــحكى تـــضحكْ لنـــا غُـــرُّ الـــسنين

***

هـــا هـــو الليـــل كـــما كـــان بـــدا
يحمـــل الحـــزن لقلبـــى والحنـــين
هيكـــلُ الأحـــزانِ ... فى محرابـــه
قـــرّب العـــشاق قُربـــان العيـــون
عطـــرهُ أحـــزانُ أزهـــار الرُبـــا
ونَـــداهُ عَـــبرات البائـــسين
وسرى النـــسم فى احـــشائه
مُهـــجٌ ذابـــتْ وأرواحٌ فَنـــين
كـــل شـــئ هـــان فى شرعِ الهـــوى
يـــا ملاكـــى ... والهـــوى لـــيس يهـــون

***

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد الثانى من السنة الحادية عشرة، فبراير سنة ١٩٣٩ وهو أول عدد يصدر من المجلة بعد وفاة الشاعر، وكان قد أعدها للنشر قبل وفاته، وهذه هى الصورة الثانية للقصيدة نفسها، كما بينا من قبل.

لم يَـــرَ الليـــلُ ســـوى بنـــتِ هـــوى
قـــرأتْ مـــا ســـتعاني فى الجبـــين

لبـــستْ فى بدئـــه ثـــوبَ الهـــوى
وبـــأخراه ثيـــاب النـــادمين

***

وعميـــد بـــات مطـــويَّ الحَـــشا
فى ســـكون الليـــل مبحـــوح الأنـــين
قـــام فى الليـــل كطيـــفٍ غـــابرٍ
وكـــأن الليـــلَ محـــرابُ القـــرون

***

ومُغَـــنٍّ غلـــب الحـــزنُ عـــلى
وتـــر اللهـــو لديـــه والمجـــون
لـــيس يـــدرى فكـــرهُ مـــا لحنـــهُ
وهـــو رجْـــع الـــسحر مـــن مـــاضٍ شـــطون

***

أيهـــا الليـــل أتيـــا نـــشتكي
فاســـتمع شـــكوى الحزانـــى المتعبـــين
هـــدنا الحـــزنُ وأضـــنانا الأســـى
وبرانـــا الوجـــد فى دنيـــا الـــشجون
قـــد شـــكوناك وجئنـــا نشـــتكى
لـــك شـــيئا مـــن خيـــال الـــذاهلين

***

إننـــى يـــا ليـــلُ أحكـــى غنـــوةً
فنيـــت فيـــك عـــلى مـــر الـــسنين
واســـتحالت فى الـــبلى قُـــبّرةً

تتغنـــــى فى دُجـــــى وادى المنـــــون

***

إننـــى يـــا ليـــلُ أحكـــى حُزمـــة
مـــن شُـــعاعٍ فى ســـماء الحـــالمين
ضـــمّها نـــحوك فكـــرٌ هائـــل
أزعـــحَ الأربـــاب بـــين الثـــائرين
واســـتحالت زورقـــا تعـــبره
فزعـــات المـــوت لـــيلاً مـــن ســـنين

***

هـــذه أغنيتـــى رتلتهـــا
لـــك يـــا دنيـــاى فى ديـــر الـــسكون
لَحْنُهـــا أنـــتِ .. وحزْنـــى وَقْعُهـــا
ونـــذيرُ المـــوتِ بعـــض الـــسامعين
لا تلـــومى مـــا بهـــا مـــن حَـــزَنٍ
إنـــما الأحـــزان موســـيقى الحـــزين
أعـــذب الألحـــان لحـــن أفرغـــت

فيـــه أنـــات الأســـى طـــى الحنـــين
عـــانقينى فى الـــدجى .. إقتربـــى
إننـــى أفـــزع ممـــا تفـــزعين
قربـــى خـــدك . ضـــمينى إلى
صـــدرك الحـــانى .. الثمـــى هـــذا الجبـــين
إنـــما نـــحن كركـــب ضـــل فى
تيـــه صـــحراء .. يقـــوم تـــائهين
قـــد نـــسينا كـــل مـــا كـــان لنـــا
وتركنـــا فى غـــدٍ مـــا ســـيكون

obeikan.com

(٣)

قصائد مجهولة للهمشرى

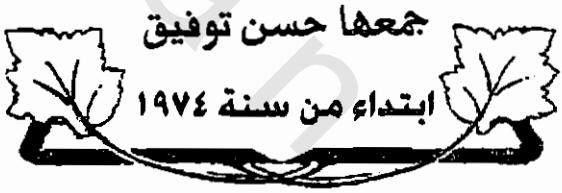

obeikan.com

obeikan.com

الربيع

شمس تفيض على أرض تباهيها ... جداولًا من عيون النور ترويها
يا حبذا شمس «أيلول» وبهجتها ... وطول أنفاسها والحب يوهيها[1]
ترفُّ أنوارها فوق الحقول كما ... رَفَّتْ على جبهة أحلى أمانيها[2]
كأنما النور موسيقى لها أذن ... بين القلوب تغنيها فتضحيها!!

***

هو الربيع إذا هبت شمائله ... هز البسيطةَ دانيها وقاصيها!
فصل جميل من الجنات مشرقه ... تبدى الطبيعة فيه كل ما فيها!!
كأن أيامه والحب يشملها ... أحلام حسناء طافت فى لياليها!
كأنما النور فوق العشب مسرحها! ... والزهر أسرابها رفت على فيها!![3]

***

زار الحقول وأحيا كلَّ ناميةٍ ... فتاهت الأرض فى أبهى غواليها
وصَبَّ فى الزهر أعطاراً تفوح بها ... ولقن الطير أنغاماً يغنيها!!
فالجو بحر من الألحان مصطفق ... غَشَّى الحدائق حتى كاد يطميها!
والريح هامسة تسرى مولهة ... تشكو هوى ظل طول الفصل يضنيها
كأنها فى ثنايا النور خافتة ... شكوى محب يكاد الشوق يبليها
وتحسب الزهر والأنداء تضحكه ... مداهناً سطعت فيها لآليها![4]
تسبيك حسناً فإن أهويت تقطفها ... مَدَّ الضياء لها أيديه يخفيها!
والبرتقال نواقيس مذهبة ... من فوقها نغمات الطير تدويها

---

(١) طول أنفاسها أى أشعتها التى لا تحجبها السحب والحب يوهيها أى أنها رقيقة.

(٢) ترف تلمع.

(٣) دفئى رفرفت.

(٤) مداهن جمع مدهن وهو وعاء الدهان.

تجيب شجو غدير ماؤه سلس ... جرى على لؤلؤ الحصباء يجليها[1]
في روضة صدحت أطيارها وصحت ... أزهارها حين جادتها غواديها[2]
توحى إلى العين من أنوارها صوراً ... شتى المناظر فوق الأرض نوحيها
طبعن فيها فلو أرست أشعتها ... على خلاء أرتها فتنة فيها!!

***

فقم بنا نجتلى نورَ الربيع على ... (السنبلوين) ونلهو في ضواحيها[3]
ونرسل الروح تسمو نحو فاتنها ... خلصانة خلعت عنها أمانيها![4]
فطالما عذبتها من تدللها ... وطالما أرهقتها من تجنيها!!
فتلك لو كنت تدرى خير مرحلة ... للأنجم الزهر تهدينا بزاهيها!

محمد عبد المعطى الهمشري

---

(١) يصقلها.

(٢) الفعل ضحا من الضحى.

(٣) السنبلوين المدينة المعروفة.

(٤) خلصانة خالصة.

الأنشودة الأخيرة

من والد يشيع ولده

خلِّياني ألقى الردى خلِّياني ... قبلما التقى بيومِ ثان!!

***

فى الكرى ما أزال أسمع رعداً ... من وميض الشمال فى آذاني
تتراءى لى النجوم على الأفـ ... ـق حِيارى تلج فى الخفقان

***

ما أرى؟! هذه الطبيعة لاحتْ ... تحت جنح من الدياجير داني
ويلتي!! إنها الحقيقة تبدو ... وأنا كنت قبل فى حسبان
مهرجان الحياة هذا أراه ... فى سواد الظلام رؤيا عيان
أنا ما زلت فى الحياة أقاسي ... أنا ما زلت فى عذابى أعاني
خلت أنى قَدْمِتُّ فى النوم حتى ... لا أرى منه ما ترى العينان

***

خليانى ألقى الردى خلياني ... قبلما ألتقى بيوم ثان

***

إن هذى النيران أطفأها الثـ ... ـلجُ فنامت فى راحة وأمان!
شيعتْ هذه الحياة ولما ... تشتكى من لواعج الأحزان
تركتنى على الثلوج وحيداً ... شارد اللب دامع الأجفان؟!
كنت قبلاً أهوى الحياة كثيراً ... حينما كنت فى حمى الخلّان!
حينما كنت لاهياً فى نعيم ... وارفِ الظِّلِ سابغِ الأفنان
يا زماناً أنفقته من سرور ... طالما جدتَ بالهنا يا زماني
قد سئمت المقام فى ظل عيش ... فوقه الخوف ضارب بِجِران
لست أخشى الردى ولو كنت وحدي ... سوف ألقى الردى قوى الجنان

***

خليانى ألقى الردى خلياني ... قبلما ألتقى بيوم ثان

***

كلما أذكر القبيلة لما ... غادرتنى وحدى بهذا المكان!!
أقرع السن نادماً لبقائي ... فى اغترابٍ قاصٍ عن الأوطان

ليتنـي كنـت قـد تمالكـت نفـسي ... وتَمَمْـتُ الـسرى مـع الركبـان!
يـوم فـارقتهم نـسيت وليـدي! ... مـن ذهـولي. وكـدت أن أنـساني!!
أي بنـي الـذى تربـى يتـيماً ... وبعيـداً عـن رحمـة وحنـان!!
لـست أنـسى.. وقـد مـددت ذراعـاً ... مـستغيثاً مـن ذلـك العـدوان
ثـم أبـديت صـورة شـمت منهـا ... نخـوة منـك.. أظهرتهـا اليـدان!
أهـمي مـدت لكـي تجـر بعـزم ... مركـبَ الـثلجِ عـن أبيـك الفـاني!!

«واقعة من القصص الغربي»

«م.ع. الهمشري» بالمنصورة

obeikan.com

بيتان من قصيدة هجاء

سبحان من خَلَقَ القرودَ وصوَّرَا ... وقضىَ علينا أن نراك وقَدَّرَا
ما كنتَ إلا خنفساء عُتقتْ ... أو عنكبوتاً فى الوجود مكبَّراَ

obeikan.com

مرثية

كتبت فى فناء كنيسة قرية

فى هذه الأبيات يريك الشاعر T. Gray صورة من فلسفة لحياة والموت الذى يرخى مناره على فلاحى القرية السذج البسطاء، ويرسم أمامك صورة طلية للدعة والهدوء الذى يكتنف مضيقهم المظلم:

لقد دق ناقوس الكنيسة مؤذناً ... بيوم فراق كان بالأمس خافيا
وسار القطيع يقطع الدرب خائراً ... يجاوب أجراس الكنيسة ثاغيا

***

ومن خلفه الراعى وهو متعب ... يغالبه خطو ضعيف التنقل
مضوا.. وأنا وحدى يؤانسنى الدجى ... وقد تركوا الأرض الفضاء له ولي

***

وقد رحل النور الكئيب مشيعاً ... زهور الربا والليل يزحف قادما
وقد شمل الجو الهدوء كأنه ... شجى تناسته الهموم فهوما

***

وداوية للبوم من تحت شرفة ... على عرشها اللبلاب مادت فروعه
تشاكت إلى البدر الحزين بمهجة ... تئن وطرف لا تكف دموعه

***

لذا أرسل البدر الضياء مسائلاً ... ليعرف ما هذا الجديد الذى حدث!!
فقالت له اليوم: ابن آدم راعني ... فمثواى فى الأطلال صار له جدث

***

هنا.. حيث أكداس الحشائش تبتني ... من العشب أكواماً يعابثها النسم
مقابر قوم كان بالأمس جدهم ... يضاهى النجوم بل ليكبره النجم

***

وهذا نسيم الصبح يختال ضاحكاً ... يدل بعطفيه على المرج ساريا
وقد أرسل «الخطاف»[1] فيه تحية ... إلى الصبح فى لحن ترقرق صافيا

***

(١) طائر.

وأذن هتـــاف[1] الـــصباح مـــرتلاً ... ليـوقظ مـن قـد ظـل فى النـوم رائحـا
صحا كل من فوق البسيطة.. غيرهم ... وراحـت تحييـه الطيـور صـوادحا!!

***

مواقـدهم.. يـا لهفتـى أيـن نارهـا ... لقـد خمـدت مـن بعـد طـول لهيبهـا
وزوجـاتهم هيهـات تبـصر وثبـة ... لواحـدة مـنهن نحـو حبيبهـا!!

***

وولـــدانهم.. أواه.. أيـــن مـــسرة ... وأيـن ابتـسامات تـضيء ثغـورهم
فكـم ظفـروا عنـد اللقـاء بقبلـة ... وكـم ملأوا بـاللهو والأنـس دورهـم

***

لكـم لان محـصول الـشتاء مطأطئـاً ... لهـم هامـة تحـت المناجـل طائعـا
وكـم هـوت الأشـجار مـن ضربـاتهم ... تطـامن خـداً للمعـاول أضرعـا[2]

***

وكـم بعثوا سرب النعـائم فى الـضحى ... إلى الحقـل فرحـى يـستحثون سـيرها
وكـم قـاوم المحـراث كـل يبيـسة ... لمـسلكه فيهـا فهـشم صـخرها

***

فيـا مـن يـرى فى العـيش كـل تـشوف ... إلى المجـد والأصـل المكـرم والمـال
رويـــدك لا تـــرميهم بـــتهكم ... إذا أنـت أصـغرت البـساطة فى الحـال

***

إن عتـــو المـــرء بالمجـــد والعـــلا ... وبالجـاه والإثـراء لابـد أن يمـضي
ألا كـــل حـــسن فى الحيـــاة وعـــزة ... مـــآلها يومـــاً إلى ظلمـــة الأرض

***

ولا تمـتهن هـذى القبـور إذا خلـت ... مـن الـذكر فالأيـام تعـدو عـلى الـذكر
فكـم رنمـت هـذى الكنيـسة مـدحهم ... وحـسبهم هـذى الترانـيم فى الفجـر!!

***

وهل تحسب الأنصاب ترفع والدمى ... تعيـذ حيـاة فى الـضريح إلى الميـت
فهيهـات تغنـى صيحة المجد فى البلى ... ولا الملـق المرثـى فى مـسمع المـوت

***

(١) الديك.
(٢) ذلة.

ففى هاته التيهاء[1] كم قر ماجد ... وكم قر جبار وكم قر غطريف
وكم قر فيها زاهد متعبد ... وكم قر قسيس وكم قر عريف

***

ويا رب قلب كان يسطع نوره ... من الملأ الأعلى على الكون.. من يدري؟
وأيد تهز الصولجان وتعتلي ... على نغم القيثار بالروح والفكر

***

ولكنه العلم الجحود أبى لهم ... بفض مغاليق الكهانة والفهم
فلم يبصروا أسلابه وثراءه ... وأسراره العظمى.. وماتوا على غم!!

***

وكم درة ألافة قد أكنها ... يجوف له، بحر إلى أبد الدهر
وكم زهرة فى بطن صحراء أينعت ... وأذوت ولم تطرأ على البال والفكر

***

وكم «همدن»[2] قد قام فى وجه ظالم ... أراد على غلات محصوله بغيا
وكم كان فيهم مثل «ملتن»[3] لم يدع ... من القول ذكرى فى المهات بها يحيا

***

وكم فيهم من كان مثل «كرمول»[4] ... قوى جنان لا يهاب الردى قط
أكنتهم هذى الصفائح تحتها ... وأرخت لهم جيداً لدى الترب لا يعطو[5]

***

لقد أبت الأقدار أن يتملكوا ... عنان المعالى فى ظلال المعارك
وألا يخوضوا فى الدماء إلى العلا ... لكيلا يكونوا فى عداد الفواتك

***

رفاتهم قرت بأطيب موضع ... ولم يمتهنها فى مضاجعها عبث
فرعياً لهم أنى استراحت قلوبهم ... وجاد ثراهم من صحاب السما غيث

***

(١) الصحراء.
(٢) بطل من أبطال التاريخ.
(٣) شاعر إنجليزى عظيم.
(٤) بطل إنجلترا الأعظم.
(٥) يثرثب

لقد قنعوا بالزهر فوق قبورهم ... وبالنضب الشوهاء والرسم والنقش
وأبيات شعر عاثرات تكفلت ... لهم بدموع من بجانبهم يمشي!!

***

وأسماؤهم قد رتلتها بشحوها ... إلهة موسيقى القريض بتحريف
وكم آية قد نورتها وسورة ... أحب لها لقيا الردى ساكنو الريف

***

ومن يرتضى أن يترك العيش قانعاً ... إلى حي يلقى فى ضريحته نسيا
ولا يرمق الآفاق يرتاد حسنها ... يشيع نوراً كان منه له محيا

***

تصيحُ من القبر الطبيعةَ تشتكي ... أحتّى من الأجداث تحيا المشاعر؟!
حسبت شكايات الحياة وبؤسها ... تبيد إذا ما غيبتها المقابر!

***

فيامن[1] ذكرت الخاملين مناجياً ... بشعرك قوماً منهم خامل الذكر
لعل فتى يوماً يناجيك شعره ... وأنت رفات لست تشعر فى القبر

***

وشيخ ضعيف أشعل الشيب رأسه ... ودب كلال فى حشاه من الوجد
يحدث عنك الذاكرين بآهة ... تسارق دمعاً بات يهمى على الخد

***

يقول: لكم شاهدته فى حياته!! ... يسير الهوينى وهو يخترق السهلا
يبكر فى الفجر المنور مسرعاً ... وينفض عن أقدامه العشب والطلا!!

***

وكم فى ظلالِ السنديان رأيته ... يريح من الجسم الضعيف كلاله
ويرهف أذناً للخرير وشجوه ... ويلحظ فى شط الغدير جماله

***

وكم كان تحت الأيك يمشى مغمغماً ... بأفكاره الشتى وينظمها شعرا
وإن هو أضناه المسير لضعفه ... تهالك فوق الرمل يستوسد الصخرا

***

وطوراً أراه باسماً متهللاً!! ... ضحوك المحيا يقطع الدرب فى وثب

---

(١) يناجي الشاعر نفسه.

وآنـاً أراه مطـرق الـرأس خاشـعا ... كـصب شـجته خيبـة الحـب فى الحـبِّ

***

وفى ذات يـوم.. فى الـصباح.. التمسته ... على السهل.. تحت السنديان.. وفى الأيكِ
فلـم أره فيهـا.. فرحـت مـيمماً ... إلى النهـر عـلّى قـد أراه عـلى الفلـك

***

ولكـن بـلا جـدوى طلبـت وجـوده ... فأعيـانى البحـث المـبرح والتعـب
ومـر نهـار ثـم آخـر إثـره ... ولمـا أقـصر عنـه فى البحـث والطلـب

***

وفى ثالـث الأيـام أبـصرت نعـشه ... يـسير وئيـداً فى خـشوع وفى صـمت
ومـن خلفـه القـسيس يطـرق رأسـه ... وينـشده فى الـسير أنـشودة المـوت

***

فقدم – رعـاك الله – خطـوك واقـترب ... لتـشدو بأبيـات كتـبن عـلى الحجـر
عـلى صـلدة لا تـستكن لمعـول ... يظللهـا فرعـاء مـن شـائك الـشجر

***

هنا[1] بين هـذا الـصخر فـوقَ نتوئـه ... ينـام فتـى مـا رام مـالاً ولا مجـدا
ثـوى بـين أطبـاق الـصفائح راضـياً ... وقـد تخـذ الأرض القـرار لـه مهـدا

***

لقـد فـك طلـسم المغـاليق عقلـه ... وذلـل للـشعر الكهانـة والعلـما
ولكنـه بـالرغم منهـا أصـابه ... من الدهر خطب مات من وقعه غما

***

لقـد كـان فى الـدنيا عيوفـاً مكرمـاً ... سـخياً وفيـاً طـاهر الـنفس والـذيل
وقـد كـان ذا أصـل كـريم بجـاره ... وقـد كـان ذا فـضل وقـد كـان ذا نبـل

***

فـلا تكـشفوا بعـد المـمات هناتـه ... ولا تطلبوا فى الترب عـن أصـل بلـواه
فكـل الـذى تبغـون لا تدركونـه ... دعـوه.. وقولـوا – مـات – يرحـمه الله

محمد عبد المعطى الهمشري
بمدرسة المنصورة الثانوية

(١) كتابة على القبر.

الشاعر المنتحر

ذكرى أحمد العاصي

أفزعه الشوق إلى وكره ... وحنَّ فى الليل إلى فجره[1]
وهب مذعوراً يزيح الكرى ... ليرفع الظنة من أمره
وراح فى الوهم يغنى على ... أيكته. والزهر فى نشره
وفاض بالساحر من سجعه ... فأسكر النوار من سحره

***

ما حسب الموت ولكنما ... أسلمه الموت إلى سكره!!
حتى إذا ما فاق من حلمه ... أسلمه الصحو إلى ذعره!!
فظل فى حزن يناغى الصبا ... ينشده الباكى من شعره
تحن ذى الروح لما تشتكي ... فيه، وقد تصبو إلى ضيره
فإنما آلامه راحة.. ... لو أبعد الأوهام من فكره!
وكيف بالشيب وهذا الصبا ... يسخط فى يأس على عمره!
وإنما الشيب عناء غدا.. ... للذنب عذر منه فى بطره
لكنما الدهر وأطواره ... قد حير الإنسان فى سره
قد يحملُ اليافع فى عمره ... ما يقصم الكتتى من ظهره
«وبلبل الأيك» ضعيف القوى ... برجه البارح من سمره
يشكو أليفاً طار عن روحه ... لكنه ما طار من ذكره!
كانت له الدنيا وما تشتهي ... من طفره فيها ومن بشره
فأوقف الحزن على عهده! ... وأوقف الشؤم على نذره!!
وساءل الأطيار عن شدوه! ... وساءل النمام عن نشره!!
لعل فيها من رأى طيفه! ... أو يعرف المجهول من خبره!!

(١) حساسية الشاعر هنا كحساسية بلبل مات أوهمه الفكر أنه على قيد الحياة فأراد أن يتحقق من ذلك الحلم.

لم يحـــزن الآس حتـــوف عـــرا ... دفاقـــــة الآس.. ولم يـــــبرد
كـــل لـــه هـــم حمـــاه الـــضنى ... أن يحمـــل الآلام عـــن غـــيره!!

***

يـــا أيهـــا القلـــب عـــزاءً فـــما ... يـــأمن ذا الممعـــن فى طـــيره
فـــإنما الطـــائر قى مـــأمن ... مـــا دام ذا الطـــائر فى وكـــره
والمـــوت حـــصاد هـــشيم عـــدا ... مـــن غـــير مـــا قـــصد عـــلى زهـــره!
وإمنـــا قلـــب الفتـــى طبلـــة ... تـــزف ذا العمـــر إلى قـــبره!!
يـــا عنـــدليباً[1] شـــاقه أيكـــه ... فحـــن فى المـــوت إلى بـــره
قـــد فَقَـــدَ الآمـــال فى نظـــرة! ... منـــه ولـــو تخطـــر فى فكـــره!
حَـــسَّنَ لليـــائس مـــن عيـــشه ... موتـــاً يتيـــه الحـــزن مـــن شره
فـــأرقص المـــرضى عـــلى بابـــه ... مـــن مدحـــه «الحـــدباء» فى شـــعره[2]

***

يـــا أحمـــدا.. يبكـــى عـــلى أحمـــد![3] ... أوقعـــه الطـــالع فى نـــيره!!
فـــذاق مـــا قـــدَّر مـــن حلـــوه ... وذاق مـــا قـــدَّر مـــن مُـــرِّه!
مـــا ورث الإنـــسان عـــن آدم ... إلا شـــقاءً دب فى أثـــره
الحمـــد لله عـــلى خـــيره! ... والحمـــد لله عـــلى شره!!
فكـــل مـــا نرجـــوه فى علمـــه! ... وكـــل مـــا نخـــشاه فى نكـــره!!
وكـــل مـــا يلقـــاه منـــه الفتـــى ... ينـــسبه جهـــلاً إلى دهـــره!!

***

وإن ســـألت الـــشعر عـــن حاجـــة ... مـــن ذلـــك «الكـــابوس»[4] أو أسره!

---

(١) العندليب: البلبل. بره: أى عطفه.

(٢) أى أن وصفه جمال الموت جعل المرضى اليائسين من الحياة يرقصون على باب الموت. الحدباء النعش وقد وصفها الشاعر المتحر أجمل وصف.

(٣) كان الشاعر يعتقد أن هناك شخصاً آخر اسمه أحمد العاصى أوجده القدر فى إهابه فقاسمه الحزن.

(٤) وصف للعالم كما كان يراه العاصي.

فالكون ما زال على عهده! والوفت ما زال على ذكره!
والشمس ما زالت تؤم الورى! والبدر ما زال على أمره!
ما زاد فى الكون سوى غنوة لقنها الأيك إلى طيره!
يقول أواه على أحمد! أواه.. أواه على ذكره!

محمد الهمشري
مدرسة المنصورة الثانوية

obeikan.com

الأغنية التائهة

أيها الليلُ أتينا نشتكى
فاستمعْ شكوى الحزانى المُتعبين
هدَّنا الحزنُ وأضنَانا الأسى
ويرانا الوجدُ فى دنيا الشجون
قد شكوناكَ وجئنا نشتكي
لك شيئا فى خيال الذاهلين

***

إننى يا ليلُ أحكى غنوةً
فَنيتْ فيكَ عى مرِ السنين
واستحالتْ فى السبلى قُبّرة
تتغنى فى دُجى وادى المنون

***

إننى يا ليلُ أحكى حزُمةً
من شعَاعٍ فى سماءِ الحالمين
ضمَّها نحوكَ فكرٌ هائلٌ
أزعجَ الأربابَ بين الثائرين
واستحالتْ عندها من غضبٍ
زهرةً فى عالمٍ غير مُبين
تنفح الموت .. وتُدلى عودها
نحو أشباح المنايا العابرين

***

إننى عاطفةٌ قد غالها
منك فكرٌ طيّه الموتُ دفين
حاولتْ تعرف أسرارَ الأسى
منك يا ليل وأسرار الأنين

فاستحالت جَدولاً تعبره
فزعاتُ الموت ليلاً فى سفين

***

هذه أغنيتى رتلتُها
لكِ يا دنيای فى دير السكون
لحَنَها أنتِ، وحُزنى وقعُها
ونذيرُ الموتِ بعضُ السامعين
لا تلومى ما بها من حزَنٍ
إنما الأحزانُ موسيقى الحزين
أعذبُ الألحان لحنٌ أفرغتْ
فيه أناتُ الأسى طى الحنين
عانقينى فى المدجى ... إقتربى
إننى أفزعُ مما تفزعين
قرّبى خَدكِ ... ضمّينى إلى
صدرك الحانى ... الثمى هذا الجبين
اتركينى فيكِ أفنى مثلما
فنيتْ فى الله روحُ الناسكين
إنما نحن كوكبٍ ضلّ لى
تيه صحراء بقومٍ تائهين
قد نسينا كلّ ما كان لنا
وتركنّا فى غدٍ ما سيكون

حلم السيراناد

«السيراناد أغنية يغنيها الشاعر العاشق فى ليلة قمرية على همسات القيثار تحت نافذة حبيبته»

أُقَـدِّى بقلبـى العليـل الـوفي ... حبيبـى الجميـلَ الـذى لا يفـي
إذا أنـت قبلـت عنِّـى النَّسيم ... فـإنى بتقبيلـه أكتفـي!!
لقـد متُّ شـوقاً لطيـف الخيـال ... فهـلا أراك بـه مسعفي؟

***

قتلـت فـؤادى وأنـت تغنـي ... بـصوت رخـيم.. ألم تعـرفِ؟
وعـذبتنى فى هـواك الأليـم ... وقلبـى ضـعيف.. ألا تكتفـي؟!
وأسـهرت عينـي.. وأبكيتهـا ... وحبـك فى مهجتـى مدنفي
يقولـون إن الـدموع شـفاء ... فـمالى بـدمعى لا أشـتفي!
سـل النجم ينبئـك أنـى سـهرت ... أراعيـك منـه بطـرف خفـي

***

أتـذكر ليلـةَ أمـسٍ وقـد ... أتيـتَ كبـدر السماء الـصفي
ففـاض عـلى الكـون منـك افتتـان ... تـسربَ مـن حـسنك الألطـفِ
وشـاع الـضياء بكـل مكـان ... ودب عـلى النيـل كالخـائف
فـصحت تسائل – مـاذا الـضياء؟ ... وهـذا «مـلاك الـدجى» مختفـي
فقلـت جبينـك يـا فتنتـي ... أضـاء السماء فى الـدجى المسدفِ!!

المرثية الحزينة

لم يبقَ من أثر الجمال عليكِ ... إلا جلال قد تنوَّر فيكِ!
رسم الخشوعُ على جبينك صورة ... فازددتِ حسناً عند من عشقوك
وكساك نور البدر منه صفرة ... فزكا هواهم عندما نظروك!
أثرى حياتك سحرها ونسيمها ... طارت إلى الأجرامِ عن عينيك

***

سلب البلى منك الحياةَ وطالما ... سلب الورى منك الذى سلبوك
شغفتك أموال الرجال فعضضتها ... بذخائر القبلات من شفتيك
عشقوا التمتع فيك حتى أنهم ... لما قضوا أغراضهم تركوك
يامارحمتِ قلوبهم فأغثتهم ... من نارِ حبهم فهل رحموك؟
لم تبكِ أعينهم عليكِ بدمعةٍ ... ولو انهم حفظوا الجميل بكوك

***

هذى الطيور، مع الخرير، مع الصبا ... وصدى السواقى كلها ترثيك!

نداء الفجر

النسيم العطرى نَدَّى جبيني ... والضياء الليلى حفَّ حفوفي!
وطيوف الأحلام تخفق حولي ... فى همود الكرى، ورف السكون
فتح الفجر فى الظلام مقاصير ... ر خيال للشاعر المفتون!
غلف السحر أفقها فتراءت ... كبقايا من عالم مسكون

***

فتعالى إليَّ.. ها أنذا وحـ ... ـدى أناجيك فى حفيف الغصون!!

***

أنت فجر يشع فى ظلماتي ... يكشف السحر فى مروج حياتي
فتغنى فيها ملائكةَ الرحـ ... ـمة أنشودةَ الخلود الآتي!
أنت سحر يبدو وراء خيالي ... أنت نور يرف فى مشكاتي
وعيون فجرية تتجلى ... لتنير الكئيبَ من ليلاتي!

***

فتعالى إليَّ.. ها أنذا وحـ ... ـدى أناجيك فى ذهول صلاتي!!

***

طفت فى المعبد المقدس فى الفجـ ... ـر، أناديك فى ضجيج الجموع!
فى يدى الشمعدان يخفق فى الصمـ ... ـت، ويخبو على ظلال الركوع!
وعلى مذبح الغرام تقربـ ... ـت بروحى فى ذلة وخشوع
غير أنى رأيت هذا قليلاً ... فتقربتِ بعدها بدموعي!

***

فتعالى إليَّ.. ها أنذا وحـ ... ـدى أناجيك فى رفيف الشموع!!

القرية المهجورة

قطعة مختارة من الأدب الإنجليزي

للشاعر أوليفر جولد سميث

ننشر فيما يلى ترجمة أبيات مختارة من قصيدة (القرية المهجورة) للشاعر الإنجليزى أوليفر جولد سميث وقد ترجمان اثنان من شعرائنا المعدودين وهما الأستاذ الدكتور أحمد زكى أبو شادى والأستاذ م.ع. الهمشري.

١- ترجمة الدكتور أبو شادي

ويـــل لأرض هـــوت ... فريـــسة للـــسقام
حيـث الغنـى قـد نـما ... حيـث الرجـال الحطـام
يـــا ريـــما يزدهـــي ... أو يمحـــق الأعيـــان
فنفخـــة خلقهـــم ... كخلقهـــم كـــل آن
لكـــنما الزارعـــون ... فخـــر الـــبلاد الجـــلاد
إن هـــدموا مـــرة ... فـــما لهـــم مـــن معـــاد

٢- ترجمة الأستاذ م. ع. الهمشري

واسـوأتاه لأرض أصـبحت غـنماً ... ترعـاه عاجلـة الأسـقام والنـوب
تـزداد ثروتهـا والقـوم نخـوتهم ... تهـوى فتوتهـا خـوارة العـصب
أهـل الإمـارة مـن صـيد غطارفـة ... أو من ذوى الجاه والألقاب والرتب
أحـوالهم أبـداً رهـن لمنقلـب ... تحـول مـن زاهـر يومـاً إلى عطـب
ونفخـة مـن ذوى الـسلطان تخلقهـم ... كنفخـة خلقـتهم قبـل فى الـنعم
لكـن أهـل القـرى الأبطـال كلهـم ... فخـر الـبلاد الـشداد العـزم والهمـم
إذا همـوا ذهبـوا وانثـل صرحهـم ... وغـالهم غائـل الأرزاء والـسقم
فـلا مـرد لهـم.. لا شيء يخلفهـم ... مـن بعـدهم كـل شيء بـات كالعـدم

أنشودة النيل

أبــو البحــار ومــا تحويــه مــن سـمك
يــا نهــرُ أنــتَ ومــن ينــشى الرياحينــا
والــدوح والطــير والأعطــار تخلقهــا
واللــون أخرجتــه يزهــو أفنانينــا

***

تُعطــى إلى الطــائر الــصداح مأكلــه
مــن الجــدب ومــا تحــى مــن الثمــرِ
لكــى يطــير إلى الآفــاق مُــستقلاً
ويــأمن المــوت جوعــا وهــو فى ســفَرِ

***

وأنــتَ تُعطــى ســماكَ البحــرِ عــن سَــعةٍ
مــا تــشتهيه مــن المــأكول دِيــدانا
تحــى لهــا العُــشب كــى ترعــاه فى دَعــةٍ
والــريح تنــشقه روحــا وريحانــا

***

نــشرتَ قــوس[1] إخــاء رمــز نهــضتنا
وكــم نــشرتَ لنــا يــا نهــر مــن سُــورِ
وكــم نــشرتَ خبــالاً، كــل جــوهرة
مركــب مــن مــزيجِ النــورِ والمطــرِ

***

(١) المعنى بقوس الاخاء هو قوس قزح، وهو نصف الدائرة المنشورية التى تحلل عليها الطيف إلى ألوانه السبعه عقب ركود ثورة الطبيعة.

وكـــوثرٌ أنـــتَ للبرســـيم ينهلـــهُ
عَـــذباً وفـــيضٌ عـــلى الأعـــشاب يحيهـــا
وللمراعـــى التـــى فاضـــت روائحهـــا
تمـــدها برحيـــق المـــاء تـــسقيها

***

ورب زَهـــر نـــمّا فى ظلـــه ورقٌ
مـــن رقـــةٍ كجنـــاح الطـــائرِ الـــشادى
ورب قَمـــحٍ وغـــابٍ مزهـــرٍ أبـــدًا
أحييتهـــا أنـــتَ يـــا نهـــرٌ عـــلى الـــوادى

***

وكـــم بَكـــرت إلى الغيطـــان تمنحهـــا
مـــن سَلـــسَلٍ راحَ يجـــرى فى البـــساتينِ

وكـــم بعثـــتَ إلى الجميـــز مـــن مَـــدَدٍ
مرقـــوقِ ســـار فى الـــشرايين
وأنـــت خـــصبٌ عـــلى الجـــوزاء نبـــصره
فى غيثهـــا وهـــو يهمـــى فى الخمـــيلاتِ
تعلـــو بخـــارا إلى آفاقهـــا صُـــعدا
وتـــستحيل مياهـــاً فى الـــسمواتِ

مصادر القصائد المجهولة

فيما يتعلق بهذه الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمد عبد المعطى الهمشرى فإنى أود هنا أن أشير إلى مصادرها المتنوعة، فضلا عن بعض ما أريد توضيحه من إشارات وتعليقات أرى أنها مهمة أو أن فيها فائدة للباحثين الجادين .

هناك قصائد جمعها محمد فهمى فى كتاب الروائع لشعراء الجيل سنة ١٩٤٥ وهى إحدى عشرة قصيدة، وقد اخترتها كلها لتبدأ بها هذه الأعمال الشعرية باستثناء قصيدة واحدة، لأنها غير مكتملة ، حيث يقول محمد فهمى عن هذه القصيدة إنها مقتطفات من الملحمة الفلسفية الخالدة شاطيء الأعراف.

القصائد التى جمعها محمد فهمى – وفقا لترتيبها فى الكتاب، وهو الترتيب الذى التزمت به هنا – هى عشر قصائد، وكلها ليست مؤرخة سواء بتواريخ كتابتها، وهى مهمة صعبة تماما، أو بتواريخ نشرها، وهى مهمة يسيرة :

١ – النارنجة الذابلة

٢ –إلى جنا الفاتنة فى مدينة الأحلام

٣– حدائق الشفق

٤– تأملات أو حياة شاعر

٥ – أغنية النخيل

٦– العودة

٧–اليمامة

٨– أمسية شتائية فى ضاحية

٩– إلى القمر

١٠– المغرد

وقد جمع محمد فهمى هذه القصائد من مصدر واحد، هو مجلة أبولو.

أما صالح جودت فقد اعتمد فى جمع قصائد الهمشرى على مراجعة أعداد مجلتين اثنتين لا أكثر هما أبولو والتعاون، ولم يرجع إلى سواهما من المجلات، وهذا ما أتاح لى أن أكمل مهمته غير المكتملة.

أما القصائد التى قمت بجمعها خلال انهماكى الطويل والممتع فى جمعها، فإن من بينها أول قصيدة ينشرها الهمشرى فى حياته، وذلك يوم الأربعاء ٣ أبريل سنة ١٩٢٩ وكان وقتها فى الحادية والعشرين من عمره، وهذا بيان بما قمت بجمعه من قصائد مجهولة للهمشري، وهى قصائد لم تنشر من قبل فى أى كتاب.

وقد قمت بترتيب قصائد هذا القسم وفقا لأسبقية نشرها فى الجرائد التى قامت بنشرها، وهى على النحو التالى :

١ - الربيع – منشورة فى جريدة البلاغ الأسبوعى - يوم الأربعاء ٣ أبريل سنة ١٩٢٩

٢ – الأنشودة الأخيرة – منشورة فى جريدة البلاغ الأسبوعي- يوم الأربعاء ١٢ فبراير ١٩٣٠

٣- بيتان من قصيدة هجاء – قيلت القصيدة سنة ١٩٣٠ والبيتان موجودان فى ثنايا كتاب صالح جودت عن الهمشرى ، لكنه لم يضمها لديوانه، وتكمن أهمية البيتين فى أنهما غريبان تماما على عالم الهمشري، وقد كتبهما فى هجاء أحد زملائه خلال المرحلة الثانوية بالمنصورة .

٤ - مرثية كتبت فى فناء كنيسة قرية – منشورة فى جريدة السياسة الأسبوعية -يوم السبت ٨ مارس سنة ١٩٣٠

٥ - الشاعر المنتحر – القصيدة فى رثاء الشاعر أحمد العاصي، وهى منشورة فى جريدة السياسة الأسبوعية - يوم السبت ٢٠ ديسمبر ١٩٣٠

٦ - الأغنية التائهة – منشورة فى مجلة الأسبوع - يوم ٣ يناير ١٩٣٤

٧- حلم السيراناد – منشورة فى مجلة الأسبوع - يوم ١٧ يناير سنة ١٩٣٤

٨ - المرثية الحزينة – منشورة فى مجلة الأسبوع - يوم ٤ أبريل سنة ١٩٣٤

٩- نداء الفجر – منشورة فى مجلة الأسبوع - يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٤.

١٠ - القرية المهجورة – منشورة فى مجلة التعاون – عدد مارس سنة ١٩٣٦ وهى واردة فى ديوان الهمشري، لكن صالح جودت يذكر أنه قد حصل على نسخة خطية منها، من بين مقتنيات الدكتور إبراهيم رشاد

١١ – أنشودة النيل – منشورة فى المجلة الجديدة – عدد ١١٤ الصادريوم ٢٦ أغسطس سنة١٩٣٦ أى خلال حياة الشاعر، وهذا النص هو الأسبق فى النشر بطبيعة الحال، وقد أجريت عليه تعديلات فيما بعد، وهى ما نجدها فى النص المنشور ضمن الديوان، نقلا عن مجلة التعاون – عدد يناير سنة ١٩٣٩

ومن المهم هنا أن نعرف أن الهمشرى كان ينشر قصائده فى عدة مجلات، ثم يعيد نشرها من جديد فى مجلات أخرى، بعد إجراء تعديلات على نصوصها، أو دون أية تعديلات .

ولا بد أن أذكر هنا أيضا أن ديوان الهمشرى الذى جمعه صالح جودت يضم اثنتى عشرة قصيدة قصيرة، وتبدو كل قصيدة منها مستقلة عن سواها، وهى تبدأ بقصيدة فجر الحسن وتنتهى بقصيدة أيها التائه، لكن الهمشرى كان قد نشرها - مجتمعة وليست متفرقة - تحت عنوان لمحات – راجع عدد مايو سنة ١٩٣٣ من مجلة أبولو .

(٤)

كتابات نثرية للهمشري

جمعها حسن توفيق

٢٠١٢

obeikan.com

obeikan.com

جمال الريف المصري

فى الريف المصرى جمال لا حدود له تلمسه حياة خافقة فى كل ما اهتز به وخطر فيه، ودب عليه. ولكن كثيراً ما يصم ضجيج المدن أذن الإنسان أن تسمع نداء الريف، وهتافه به، وتعشى أنوارها الوهاجة الكاذبة عينيه فلا يكاد يرى الفجر الصادق المنبثق من آفاق هذا العالم الريفى القديم الذى لم تطمس جماله فتن المدنية وخدعها.

فى هذا الريف تنتشر الحياة المقدسة الأولى التى برأها الله سبحانه وصورها، ويجد الجمال الحق، والحب الطاهر، والإيمان الصادق، والقناعة الراضية التى تعز من كل مشهد بسيط، وتكبر من كل صغير قليل.

هنا الطبيعة ملك عادل بين أهل الريف أجمعين – لا فرق عنده بين عظيم أ حقير، وغنى أو فقير.

فالظل مشاع للجميع يستظلون به!!

والشمس مجمرة الطبيعة العظيمة التى يجتمع حولها الريفيون أجمعون لينعموا بالدفء والحرارة وهم كلهم فى ذلك سواء!!

والطيور، وهى جوقة الطبيعة، و«أوركستراها» الفخم لا تفضل قوماً على آخرين وإنما تشنف بألحانها آذان الريفيين أجمعين.

وغصون اللبلاب الغضة تألف هذه المنازل والأكواخ الوضيعة فتتشبث بها وتعرش فوقها وهى التى لو شاءت لاستكبرت على قصور المدن استكباراً ولضنت بجمالها عليها.

والشمس الفتانة تنسج بأنوالها الذهبية الساحرة من الندى المنشور على هذه الأكواخ الفقيرة والعرائش المتضعة خيوطاً كنسيج من الأحلام الزاهية تفيض فيه الأصباغ والألوان فيبدو كأنه حلية وشح بها قوس قزح هذه المنازل القروية ليرفع من قدرها ويعز من شأنها.

هذا موجود كله فى الريف!

وهذا قليل من جمال الريف!

وهذا القليل والكثير بعض من جمال الريف!

ومن مهام التعاون الكشف عن هذا الجمال المختبئ وراء المدن وإظهاره للناس حتى ينعموا به، ويكحلوا بنوره عيونهم، ويغنيهم عما يتوهمونه فى المدن من جمال ينقص الريف.

من مهّام التعاون أن يدحض مزاعم الأعيان المتغيبين ويهتف بهم «هذا هو جمال الريف الذى تكذبون به. فهل يفتح الله بينكم وبينه بالحق فتهرعون إليه وتزيدون من جماله وتعمرونه؟!»

والشعر وهو أحد رسل التعاون، والزهرة الجميلة النامية على شجرته المتفرعة العظيمة – مهمته أن ينوب عنه فى الإشادة بجمال هذا الريف والتسبيح بحمده، والغناء بمدحه وقد رأينا أن نأتى هنا على مثالين من الشعر الريفى أحدهما عربى والآخر غربى بحيث يكون قصدهما واحداً، ويرمى إلى الغاية الكبرى التى نرجوها وهي:

تعمير الريف، وتحبيب أهله فى الحياة فيه بمختلف مظاهرها من إنسان وحيوان ونبات فيتضافر الأعيان، والأهالى فى القيام به والعمل على إنهاضه، وبهذا تتحقق المدنية الريفية التى هى غاية التعاون فى البلاد الزراعية.

الطائر «السماك»

قصة طائر

على غصن دان، من شجرة صفصاف تنحنى فويق جدول صغير، جلس الطائر السماك ساكناً لا يتحرك، كانت الشمس تفيض بشرقتها المسجورة خلل الأغصان، فتضيء ظهر الطائر الأخضر المزراق اللامع، وتخفق فوق صدره الكستنائى العميق اللون، لقد كان الطائر جميلاً رائع الجمال.

وكان الربيع يخفق فى كل ما حوله، وتنثر أعراسه غير المرئية النحف أفنانين وأطرافاً، ولكن الطائر المزراق كان غارقاً فى أغوار سحيقة من الفكر، ذاهلاً عن كل ما حوله، عن الريح الهازجة فى ثنايا أفنان الصفصافة فوقه، وعن النهر المتألق الهدار ينساب تحته.

وكانت ترانيم الأطيار وخرير الجدول، يفيضان فى تيار واحد متوافق النغمة، متناسق الجرس، غير منقطع الينبوع، ولكن الطائر الأزرق ظل عاكفاً، ساهماً، ساكناً، لا يفوه بنأمة، ولا يسكب نغمة، تنفخ القوة فى لازمة هذه الجوقة التى ترتفع رويداً رويداً.

ولقد يكون النعاس ضرب على أذنيه، فقد ظل ساكناً جامداً وإن كانت عيناه مفتوحتين محملقتين إلى الماء وإلى الأظلال الخفاقة الراقصة عليه وفجأة بدأ يتحرك ويقف فقد رأى جرذاً برياً يسكن أعشاب الضفة يقترب من جحر تخرج منه زقزقة خافتة كأنها هى لأفراخ صغيرة من الطيور. ولمعت عينا الجرذ وسرت فيهما نشوة جامحة ولكنه كان هرماً أثقلت عبئه السنون. ورغم أنه لم ير الطائر السماك الجاثم فويق الغصن فإنه كان يعتقد أن أم هذه الأفراخ لابد وأن تكون على مقربة منها ترعاها بشكتها وتحميها وأن مجهوده سوف لا يظفر بنصيب. لقد كان الجرذ البرى يعرف تماماً أن «للسماك» منقاراً ذرباً قوياً وأن صديقاً له «أى للجرذ» قد فقد بصره أن طعنه سماك حانق غاضب بمنقاره.

ولبث الجرذ غير بعيد يدنى من الجحر ويشم التراب، والسماك يصوب نحوه

نظرات قادحة بالشرر. ولكن الجرذ شاء، بعد لأى أن يلوى عما كان اعتزم وأن يبحث عن فريسة تكون أسهل منالاً فانطلق فى الماء وأخذ ريش «السماك» يهبط رويداً رويداً حتى عاد إلى طبيعته.

وعلى الأثر كان سرب من السمك يشق طريقه فى الماء وهذا ما كان الطائر يتلهف إليه وينتظره.

وفى أسرع من عقيق البرق رؤيت خطفة من النور الأزرق تنطلق كالسهم، فتغطس فى الماء، فتملأ أفقها المحدود رشاشاً يمتد سقاطه حتى الغصن الذى جلس عليه السماك فى مجثمه وفى عرض منقاره جسم صغير فضي، لم يستغرق هذا من الطائر غمضة عين حتى حمل الفريسة إلى فراخه زغب الحواصل.

وعاد ثانية وثالثة ورابعة يكر مفاجئاً السرب ثم ينطلق وفى عرض منقاره هذا الجسم الصغير الفضى يطعمه لفراخه.

وفى المرة الخامسة ابتلع فريسته فاختفت فى جوفه وسدت جوع حوبائه.

وكان مأوى طائرنا السماك فى شكل فقير متواضع كان فى بداءة عهده جحر جرذ برى ثم هجره وآوى إليه الطائر بعد أن كنفه بعظام السمك وأشلائه. أما فراخه فكانت تحتل غرفة صغيرة فى نهاية السرب الضيق أى على مبعدة قدمين من المدخل.

ومرت الأيام سراعاً، وكانت كلها أيام عمل وجد ومثابرة للطائر الذى كانت حالته لا تنبئ عن ذلك لفرط هدوئه واستقراره ووقار هيئته.

لقد كان الرائى إليه وهو جاثم على الغصين من شجرة الصفصاف الكهلة فى غيهب الشفق يظن أنه ساهم شارد النظر يديم نظراً حالماً فى خياله المنعكس فى الماء. ومن وقت إلى آخر يقوم بهزة يضطرب فيها رأسه ويمتد إلى الأمام ثم يعود إلى حالته من السكون.

وفى ذات مساء كان الطائر جاثماً كعادته فى مكانه من الدوحة، كان نور الشمس الغاربة يصب وهجاً فى الماء ريخمر الغاب والأشجار والأعشاب بملاءات ذهبية ساحرة هى من صنع السماء أشبه ما تكون!

وفى هذه اللحظة الهادئة الساكنة، التى لا تتنفس فيها نسمة، ولا تهمس نأمه ولا ترف نغمة، مزق الصمت صراخ حاد عميق سريع قادم من ناحية العش أذعر

الطائر الحالم وأثار الخوف فى صميم قلبه.

وأدار نظراً حائراً حوله يبحث عن مصدر الصوت وأخيراً رأى عينين براقتين تشعان فى دكنة المساء.

ترى ماذا يكون هذا العدو ذو الصراخ المرعب والعينين المشتعلتين؟

وخرج أخيراً ابن عرس من الأعشاب وتقدم من العش.

لقد كان شجاعاً.. شجاعاً قوياً. وقد وهبته الطبيعة الأسنان الحادة والمخالف المسنونة، والجسم اللدن السريع.

ولم يكن يعرف الخوف أو يعرف الخوف نفسه إليه السبيل ولهذا تقدم من باب السرب الضيق يشم بأنفه ولكنه لم يلبث أن أحس رؤاحة من الهواء فوق وجهه، وصرخة داوية فى أذنه الحساسة، ومنقاراً صلباً رفيعاً يلتمس عينيه.

لم يتريث الطائر فى مهاجمة هذا العدو المخيف، ولم يقف مفكراً مقدراً الفرق بين قوته المحدودة وضآلة جسمه وبين قوة هذا العدو وكبر حجمه، وأخذ يكر مهاجماً ابن عرس وارتفع صراخه فى الجو فأقبلت أسراب الطير تخف لنجدته سراعاً فلم يجد ابن عرس إلا الفرار من هذا الطائر الغريب الذى لا يقوى على التغلب عليه.

ولم يعد الطائر إلى عشه إلا بعد أن أرخى الظلام ضفائره على عيون النهار، وانبثق القمر، وطلعت النجوم.

وكان صباحاً سعيداً فى اليوم الثانى حين خرج الطائر المزراق تتبعه فراخه على شجرة الصفصاف. وقد سرت فى الهواء روح عطرية ورفعت أزهار الشط هامها إلى السماء الزرقاء كأنها مجامر خيالية.

وأدارت الفراخ نظراتها حولها حين رأت العالم الغريب لها لأول مرة ولم تلبث هذه الحيرة أن تلاشت إذ أحست بالطوى يمزق أمعاءها فراحت تزقزق.

وفهم الطائر الكبير حاجة أولاده إلى الطعام فراح يصوب إلى الماء نظره ولم يلبث أن خف كالبرق إلى الجدول وغطس فى الماء وأعمل منقاره فى سمكة كبيرة فنفذ المنقار خطأ بين عينيها.

وحاول الطائر الصعود بالسمكة فلم يقدر. وظل منقاره معلقاً بها، وزاد ثقله ولم يلبث أن غار مع السمكة إلى القاع.

وكان آخر ما سمعه زقزقة صغاره تنشده لحن الموت!!

ملاحظات فى المرور

موظفو التعاون والمجتمعات :

موظف التعاون هو أكثر موظفى الحكومة اتصالاً بالأهالى اتصالاً مباشراً وأكثرهم معرفة بحاجاتهم ومعاطفة على شئونهم ولذلك وجب عليه أن يكون على صلة دائمة بالهيئة الحاكمة فى المركز أو فى المدينة التى يقيم فيها ويتعرف على الكثيرين ممن تربطهم والريف شئون وأشغال وأنا أعتقد أن السبيل الوحيد إلى ذلك هو بالاشتراك فى الأندية الاجتماعية والرياضية التى تنشأ فى المركز أو فى المدينة والتى يؤمها كثيرون من الموظفين وغير الموظفين من الأهالى والأعيان.

فى هذه الأندية يقع التعارف بين حضرة موظف التعاون وبين رجال الحكومة الآخرين المقيمين فى المدينة أو المركز ويستطيع بواسطة هذه الصداقة أن يقضى كثيراً من مطالب الريفيين الذين هم أعضاء فى الجمعيات التى يشرف عليها ويرعاها من غير أن يلقى صعوبة ما، ولما كان التعاون نظاماً اجتماعياً قبل كل شيء فوجب علينا نحن التعاونيين أن نتعرف الوسط الذى نعيش فيه ونختلط بالأقوام الذين تربطنا وإياهم شواغل اختلاطاً غير يسير.

أما فى الأندية الرياضية فإننى أجد لزاماً على موظفى التعاون أن يشتركوا فيها لأن فيها ترويحاً لنفوسهم من عناء العمل، وتقوية لأجسادهم وأعصابهم ومجالدة لصبرهم وهذه كلها خلال يجب أن تتوفر فى موظفى التعاون.

ويسرنى أن أقول إننى قد شاهدت فى مديرية الشرقية هذه الروح الطيبة وهى روح الاشتراك فى الأندية – وقد سَرَتْ فى نفوس موظفى التعاون وأثمرت ثمرات طيبة وإنى لأرجو أن يقتدى موظفو التفاتيش الأخرى وينهجوا نهج موظفى التعاون بالشرقية.

حلاق .. طبيب!

كثيراً ما يمارس مهنة الطب فى أريافنا المصرية قوم جهلاء هم أبعد ما يكون عن الطب والتطبيب. وكثيراً ما تذهب أرواح الفلاحين ضحايا جهل هؤلاء الحلاقين

المطبيين.

ولقد حدث أن زرت فى زورتى الأخيرة جمعية تعاونية ولما اكتمل عدد أعضائها تذكرت أحد الأعضاء وكنت قد تعرفت إليه فى زيارة قبل هذه فسألت عنه فقيل لى إنه مريض وإنه قعيد المنزل فلما سألت عن سر مرضه لم أظفر بجواب شاف ولهذا اعتزمت أن أزور الرجل فى منزله. وأدليت برغبتى هذه إلى أحد الحاضرين فقادنى إلى حيث يقيم المريض ولما دخلت عليه غرفته المظلمة العميقة الحلوكة فى رابعة النهار أحسست بقشعريرة تسرى فى جسدى ولم أستطع أن أفلت من فمى تنهدة عميقة.

ودخلت هذا الغار أو إن شئت فسمه الجب الذى هو غرفة والتى يقدر أن يرقد فيها مريض هو أحوج ما يكون إلى حرارة شمس وإلى هواء نقى وإلى مناظر طبيعية بهجة تفيض حيوية وتنسيه وحشة الظلام والوحدة الموت!

وبعد جهد جاهد تعودت عينى هذا الظلام واختلط نورها بجو الغرفة واستطعت أن أرى السرير وأن أرى هيكلاً لم أستطع أن أتبينه لولا حركة لمحتها فوق السرير ولولا صوتاً خافتاً مبحوحاً صادراً من هذه الناحية.

تقدمت نحو الرجل وأنا ساهم البال مذهول اللب. أهكذا يتحول هذا الجسم القوى العضلات، الممتلئ بالحياة والشخصية القوية الجبارة إلى بقايا عظام وإلى آهة خافتة؟

وسألت الرجل عن مرضه فأخبرنى أن ذلك يرجع إلى عام فائت فقد ذهب إلى حلاق القرية وسأله أن يفتح دملاً له فى فخذه فما كان من هذا الحلاق إلا أن أعمل فى جسم هذا الفلاح مبضعه – وما كان هذا المبضع غير مقص – فتسمم الجرح وكاد يودى بصاحبه لولا عناية الرحمن.

ولكن ترى هل شفى الرجل؟ كلا. لقد أصيب بداء ملح يشف روحه ويضنى جسده.

فهل توقف الحكومة أمثال هؤلاء السفلة المجرمين – وأقصد بهم هؤلاء الحلاقين الذين يمارسون مهنة الطب – أقول، هل توقفهم الحكومة عند حد حتى ينجو الريف المصرى من أذاهم ومن أخطارهم؟

المعابر القروية ووجوب إصلاحها :

وأقصد بالمعابر القروية هذه الطرق الطويلة الضيقة، المستقيمة الملتوية، المرتفعة المنخفضة، التى تتخلل الحقول إلى القرى المصرية المتناثرة فى أنحاء الوادي.

تعتبر هذه المعابر الطرق الوحيدة التى تركبها قوافل المدينة من المركز أو المدينة إلى القرية وإننا لنتساءل هنا ترى هل تصلح هذه المعابر لسير هذه القوافل فيها؟

الجواب على ذلك مفهوم هو لا.

إن كثيراً من هذه المعابر – إن لم يكن معظمها – لا يصلح مطلقاً لسير المركبات فيها ناهيك عن سير السيارات ولذلك يجد كثير من الملاك والأعيان وكبار الموظفين صعوبة كبيرة فى زيارة هذه القرى.

فمن المسئول عن إصلاح هذه الطرق؟ أهى الحكومة أم هم الريفيون أنفسهم؟

إن على الحكومة واجباً وعلى الريفيين أيضاً واجب، على الحكومة أن تسعى إلى إصلاح هذه الطرق بكل الوسائل وعلى الريفيين أن يحافظوا على هذه الطرق بعد إصلاحها فلا يجورون على ترابها – كما هى العادة المتبعة فى الريف – ولا يتركون ماء الرى يغطى عليها فتتحول إلى منزلق وإنما يجب عليهم أن يساعدوا الحكومة مساعدة جدية فى إصلاح هذه الطرق والمحافظة عليها.

الأدب الديمقراطى والتعاون يتخلصان من الرأسمالية

للأستاذ الهمشري. المحرر بمجلة التعاون

الأدب والحياة :

ما هو الشيء الذى يجعل شعباً من الشعوب أو أمة من الأمم خالدة الأثر، عريقة المجد بين الأمم الأخرى أو ما هى الأشياء التى تفخر بها أمة وتتيه على أترابها؟

يجيب بعض الناس على هذا فيقولون إنه اتساع المملكة أو ثروتها هما اللذان يجعلانها عظيمة ولكن هذا محض الخطأ.

ويجيب بعض أناس آخرين على هذا قائلين إن مركز الأمة بالنسبة لغيرها أو كثرة الموانئ والمرافئ هو سر نجاحها. ولكن رأى هؤلاء أيضاً لا يدخل فى دائرة الصواب. ليكن لأمة كل هذه المزايا ولكن إن لم يكن لديها رجال يفهمون هذه المزايا ويستخدمونها فى الطريق السوى وفى الغرض الأسمى فإنها لن تكون عظيمة العظمة الحقيقية. إذن يمكننا أن نجيب على سؤالنا الأول بما يأتي:

إن الأمة تعتمد فى عظمتها أو فخامتها على الرجال والنساء الذين ينسبون إليها وأن الأشياء التى ينشئها هؤلاء الناس والطريق الذى يتخذونه لإنجاز هذه الأشياء والآثار التى تجعلها بين أحدوثة جليلة بين الأمم. فكثير من هؤلاء الناس يقومون بأعمال خالدة كبناء الطرق والكبارى والمساجد والكنائس الجميلة والمعابد إلى غير ذلك وقد تبدوا هذه الأشياء فى نظر بعض الناس أقل من المظاهر الطبيعية الأولى التى ذكرتها. ولكن هذه الأشياء تعلم الناس كيف يفكرون وكيف يقولون الحق. وحينما تمتلك أمة من الأمم أياً من هذه المفاخر التى ترثها عن أبنائها السابقين فإنها ستعتز بهذا التراث العريق الخالد وتحافظ عليه جهد طاقتها لسببين:

١) لأن هذه الآثار جميلة فى ذاتها.

٢) لأنها أنشئت بتكريس الجهود لها وبنشاط أبنائها العظيم وسعيها المتواصل إلى إنجازها. ولهذا فهى ذكريات خالدة لأرواحهم الخالدة التى تحرص على ألا تدع

النسيان والموت يمتدان إليها بعد أن يموت أولئك الأبطال بنوها.

فإذا ما زار أحد الأجانب اليوم مصر مثلاً فإنه لن تروعه هذه الصخور والموانئ الممتدة على ساحل البحر الأبيض. لن تروعه الإسكندرية أو القاهرة بقدر ما تروعه الأهرامات الجميلة والمعابد الهائلة، إنه سيقف حيالها قائلاً ومحدثاً نفسه:

ما أعظم الفن فى هذا البناء..

وما أجمل أجمل التصميم..

وإذا ما دخلها ورأى النقوش والتماثيل قال وقد زاد ابنهاراً:

لله در هؤلاء الفنانين ما أنضج فكرهم وأوسع أفق حياتهم أى فرح روحى كان يشيع فى نفوس هؤلاء المثالين الذين أتقنوا هذه التماثيل والصور والنقوش؟ أى شعر وأى فلسفة وأى نشاط؟ أى لطف وسمو نفسي.

إن هذا الأجنبى يمتدح العامل حينما يعجب بعمله وعند امتداح هذا العامل يمتدح الشعب الذى نشأ عنه هذا الذهن العبقري.

ولكن إذا فرض وكان الشعب مهملاً مستهتراً كثيراً بما خلفه السلف له من تراث فإن هذا الشعب لا يحفظ هذه الآثار وإنما يتركها للعم فإذا ما أتى جيل جديد رأى أنه قد سرق منه إرثاً كان يعتبره إرثاً مجيداً خلفه له أجداده الأقدمون والكثير منهم يقضون سراة حياتهم يبحثون عن هذا التراث المجيد عن قصد الجمال التى لم يقصدها الفناء والتى فازت بالبقاء.

فإذا ما ظهر بها راعهم الجمال المدفون تحت التراب والخلود الذى نسج عليه الإهمال نسيجاً كثيفاً ورأوا أرواح أجدادهم القدامى تطل عليهم وتحدثهم حديث القرون.

الأدب والحياة :

وبعض هؤلاء الأجداد الأجلاء يتركون رسالتهم فى ألفاظ تشيع فيها الأنوار والظلال والحركات والسكنات والآمال والآلام وكل ما كان يكتنيهم أثناء حياتهم وهذه الرسالة إنما تحدث هؤلاء الأبناء حديثاً قوياً خالداً لا ينقطع.

هذه الرسالة هى الأدب، وقد تكون شعرية أو نثرية وهى مهمة شاقة لا يقوم بأدائها إلا أفراد قلائل ممن أوتوا الإلهام وهبط عليهم وحى خاص.

وإنك لتقرأ هذا الحديث الخالد هذا الحديث الذى ترويه القرون وكان كل لفظ فيه مخزن الكنوز، أو قارورة العجائب ففى مخزن الكنوز قد يجد الإنسان كثيراً من اللآلئ النفيسة الجذابة الجميلة. يجد عقوداً من الفريد وعناقيد من الجوهر وحبات من الزمرد والعقيق وتهاويل من الحلى والصور إلى غير ذلك. وفى «قارورة العجائب» تبهر العين لون الطيف السحرية والآفاق الخالية والأقواس القزحة التى تفسح أمام الخيال دنيا يضل فيها الخيال.

لكن كل هذه الكنوز والعجائب تعيش متفرقة متباينة، فاللآلئ تتباعد عن حبات الزمرد والألوان لا تكاد تنسجم مع بعضها لأنه لا يوجد بينها صلة أو آصرة ترعاها جميعاً. وإنك حين تقرأ تاريخ هذه العجائب لا تجد ما يفيدك عن الرجل الذى جمعها أو ضمها جميعاً لأول مرة ولا تجد ما يدلك على منشئها.

ولكن الأدب على العكس من ذلك فهو صورة من نفس صاحبه أوليس الأسلوب هو الرجل؟ إن الفكر كالبحر والحياة هى الشاطئ الذى يلقى إليه من لآلئ وأصداف وأشلاء وأحياء وما تحويه جعبته العظيمة من عجائب.

وهذه مهمة شاقة تكفل بها هؤلاء الآباء فلقد نقلوا إليها حضارات الماضى كله وترجموا لنا حياتهم ولم يقتصر بعض منهم على أن يكون الإرث الذى يخلفه للأبناء إرثاً قديماً وإنما سعى إلى المستقبل ففتح معالم تشق على الطيف وراد أقطاراً تفضى الجبال أن يتقصاها.

الإنسانية والأدب :

فالأديب هو نبى يترجم عن آمالها وآلامها، عن حقائقها وعن أحلامها وهو الذى يكشف الجمال أمام أعينها إذا عز الجمال، ويخلق من البلقع الجدب جنة فيحاء.

هو الذى يسعى إلى تحقيق المثل الأعلى فى الحياة بعد هدم الفاسد من النظم والأوضاع وإدماج الطبقات بعضها ببعض إدماجاً تاماً حتى تتحقق مبادئ الحرية والعدل والمساواة بينها.

الأدب الديمقراطى :

وعلى ذلك فمهمة الأديب أن يؤلف من أدبه وحدة اجتماعية بارزة، وهذا لا يتم إلا إذا كان أدبه أدباً ديمقراطياً بكل ما فى هذه الكلمة من معنى. يجب ألا يعيش الأديب أرستقراطياً منعزلاً وإلا اقتصرت رسالته على ناحية واحدة من الحياة هى أبعد

ما تكون عنها. اقتصرت رسالته على سكان هامش الإنسانية وعلى الطوائف المتطرفة منها وعلى الملوك والنبلاء وأذواقهم وشهواتهم الطبقات الأخرى التى هى قلب الإنسانية ووجدانها الصادق. إن العنصر الأول الذى يكون فى الحياة هو الألم وإن أشهى الأغانى التى تعمل أفاعليها فى نفوسنا هى كما يقول الشاعر (شيلي) ما سألت وهى مكتئبة حزينة. وما السرور إلا عارض فى هذه الحياة ولهذا لن يعيش أدب هؤلاء الأرستقراطيين الملكيين أمثال كيلينج وماسفيلد فى الأدب الإنجليزى أو الأديب البرجوازى بول بورجيه فى الأدب الفرنسى أو شوقى شاعر الأمراء فى الأدب المصري. إن المدينة القادمة هى مدينة ديمقراطية وسوف يعيش هؤلاء الأرستقراطيون فيها لأنفسهم ولا عاش من ولد لنفسه فقط. إن الأديب الذى يعيش لنفسه هو كالرجل الرأسمالى الذى ينسى حقوق الناس ويفنيها فى شهواته.

الأرستقراطية فى الأدب معناها الأنانية والإثرة وتتحول أغراض الثقافة من خدمة عامة إلى مصلحة خاصة تنشد المنصب والثروة ولو على أنقاض البلاد.

ليحدثنا هؤلاء الأدباء العظماء عن حياة الفلاحين المساكين وعن العمال البائسين الذين يتعذبون دون أن يجدوا أدناً مصغية ترحم شكواهم.

ليحدثنا هؤلاء الأدباء العباقرة عن طرق الإصلاح متى قد فكروا فيها لإنقاذ هذه الطبقات مما تكابده من الألم.

ويل لهم لقد فتنتهم المدينة أيما فتنة فتاجروا بأدبهم وبعلمهم لكى يضمنوا لهم ثراء ومجداً يعيشون بهما فى رغد عيش وقبعوا فى بيوتهم لا يجاهرون بآرائهم أو يدلون بعقائدهم.

وإن الترفع والكبرياء وسائر غرائز الإثرة الشائعة فى الروح البيروقراطية العتيقة هى التى تحفر الهوة السحيقة بين هؤلاء الأدباء المتعجرفين وبين صغارهم المتواضعين الذين يمثلون الشعب وهى التى تؤخر حركات الإصلاح فى الريف بالنسبة للفلاح وفى المدن بالنسبة للعامل.

ولقد كان من جراء هذه الأرستقراطية الفكرية أن هاجر كثير من الأعيان إلى لندن ليكونوا على اتصال تام بهذه المظاهر الفاتنة ومن هنا نشأ كره الريف وبغض الحياة فيه فعطلت مصالحه وأهملت مزارعه وقلت محصولاته وضعف مستواه الفكري.

ولما كان التعاون يعمل على إرجاع هؤلاء الأعيان المتغيبين إلى قراهم حتى ينظموا الحياة فيها وحتى يرفعوا من حالتها الاجتماعية لتكون فى مستوى يتفق ومعيشتهم فيها وبذلك تنشأ المدنية الريفية التى هى غاية التعاون فى البلاد الزراعية.

ولما كان هذا لا يتم له إلا بعد التخلص من الرأسمالية شيئاً فشيئاً حتى تتوازن الطبقات وتتقارب من بعضها. رأيناه يشترك مع الفكر الديمقراطى فى ذلك لأن الأخير أيضاً يعمل على التخلص من الرأسمالية فى الفكر ويعمل على تقريب الطبقات بعضها من بعض.

إن شجرة الإنسانية العظيمة التى خرج منها فرع التعاون هى نفس الشجرة خرج منها فرع الأدب الديمقراطي.

وبهذه المناسبة نسوق هذه القصة الطريفة التى حدثت بين أديبين أحدهما أديب أيرلندى عالمى اشتراكى النزعة يعمل على التخلص من الرأسمالية ويندد بالأرستقراطية وهو يعد أرستقراطى يبدو الكبرياء فى كثير من تصرفاته وتبدو الرأسمالية فى كثير من أفكاره وبين أديب مصرى ديمقراطى النزعة فى أقواله وأعماله.

الأديب الأول هو الكاتب الأيرلندى الشهير جورج برنارد شو، أما الأديب المصرى فإننا نحرص عن ذكر اسمه. عندما زار الكاتب برنارد شو مصر رأت فئة من الأدباء أن تدعوه إلى حفل يتم فيه التعارف بين أديب أيرلندا العظيم وبين أدباء مصر. وألفوا من بينهم وفداً ذهب إليه فى المنزل الذى يقيم به. ولما طلبوا مقابلته رفض استكباراً قائلاً: إن برنارد شو قد توفى فرجعوا من عنده وقد تولتهم الخيبة. وقد دفع هذا العمل الأحمق المتعسف أديباً فاضلاً أن يثأر لكرامته من هذا الأديب الذى يخفى شيطان أرستقراطيته فى مسوح هى أشبه بحلة المهرج فى الكرنفال.

ولقد نجح أديبنا العظيم المتواضع أن أرسل سهاماً رائشة فى إكليل من الأزهار والرياحين إلى أديب أيرلندا العظيم:

وها نحن نسوق كتابه إلى القراء فيه تذكرة.

إلى أديب عصره:

لما هبطتم أرض مصر رأى جماعة من أدبائها المفتونين بكم أن ينتهزوا فرصة للإعراب عما يكنون من إعجاب وإجلال لزعيم أدباء العصر فى حفلة يتشرفون فيها بحضوره فذهب إليكم رسولهم فى تواضع وإكبار يستجدى الحظوة بقبولكم الدعوة

ويلتمس الشرف بتنازلكم للحضور فكان جوابهم على هذا الرجاء الصادر عن أكرم العواطف وأنبلها رفضاً مفرغاً فى قالب من الجفاء يكاد يكون انتهاراً.

مضت هذه الحادثة التى ألمت نفوساً توجهت إليك نزيهة من كل غرض إلا التمسح بعزيز لديهم ثم جلستم بعد ذلك فى الفندق تتحدثون إلى جليس وتفضون إليه بالشكوى من لؤم الطبيعة الآدمية واستعصائها عن كل علاج حاولتم به إصلاحها بالرغم مما بذلتموه فى هذه السبيل من مجهودات شتى ولقد أشرتم فى عرض الحديث – تأييداً لنظريتكم – إلى المترفين الذين جلسوا فى شرفة الفندق يبعثرون المال فى جمحات هواهم ذات اليمين وذات اليسار بينما يجيئهم سائل يستجديهم فينتهرونه.

لست ألتمس المعاذير لأولئك المترفين ولا أنا بالذى يجرؤ على توجيه اللوم إلى برنارد شو تلك الشخصية العظيمة التى أقف بين يديها منكس الرأس خشوعاً وإجلالاً ولكن ألا يوافقنى سيدى وهو صاحب النظرات الدقيقة التى لا تفوتها أوجه الشبه – مهما خفيت – بين الأشياء أن هناك وجهاً للشبه بين موقف ذلك المترف ينتهر فى صلفه وكبريائه ذلك السائل المسكين وقد جاء فى ذله واستخذائه يستجديه شيئاً من ماله وبين موقف الأديب الكبير ينتهر فى خشونة وجفاء جماعة من الأدباء المتواضعين وقد جاءوا يستجدونه لحظة يشرق فيها عليهم بمجده وصيته وجاهه.

إنى أرى وجه الشبه دقيقاً بين إسراف ذلك المترف فى تبذير ثروته متابعة لأهوائه اعتماداً على أنه يغترف من معين لا ينضب وبين إسراف ذلك الأديب فيما يجرح سمعته مطلوعة لكبريائه اعتماداً على شهرة تسامى الشمس رفعة وتضاهى أشعتها اتساعاً.

هذه ملاطفة عنت لى أضعها بكل احترام تحت عين سيدى راجياً أن يغتفر لى جرأتى ويعذرنى إذا لم تذهب بى الشجاعة إلى البوح باسمي.

(٥)

كتابات ودراسات عن الهمشري

obeikan.com

obeikan.com

الشاعر الهمشرى كما عرفته

ذكرى وبحث وتحليل

بقلم الدكتور محمد أبو طائلة
رئيس تحرير مجلة التعاون

كان أول عهدى بشعر «الهمشري» حين كنت محرراً للبلاغ الأسبوعى فى سنة ١٩٢٦، وكان من أبواب هذه الجريدة باب عنوانه «ديوان الأسبوع» أنشر به مختارات مما يبعث به الشعراء. ففى أحد الأيام جاءتنى قصيدة قليلة الأبيات عنوانها «العين الزرقاء» وموقعة بإمضاء (م. ع. الهمشري) ولم يكن معها خطاب ولا إيضاح وإنما دلنى ختم البريد على أنها مرسلة من المنصورة.

أعجبنى من ذلك الشعر رقته وحلاوته، فنشرته فى أول «ديوان الأسبوع» وقدمته على قصائد شعراء آخرين معروفين، وقد كتبت تحت عنوان القصيدة أنها «للأستاذ م. ع. الهمشري»، ولم أكن أعلم فى ذلك الحين أن هذا «الأستاذ» ليس إلا فتى يافعاً وتلميذاً بمدرسة المنصورة الثانوية.

وهكذا قال الهمشرى الشعر، ونشرت له أولى قصائده، وهو لم يكد يتخطى دور الطفولة، فكان الشاعر الموهوب منذ حداثته، وكأنما أحس قصر العمر فتجعل الإنتاج الأدبى واستحث النبوغ والعبقرية، فما أن بلغ الثلاثين حتى كان قد صعد الذروة وأدى الرسالة.

أما آخر عهدى بشعره — ويا للأسف — فقصيدة عنوانها «عاصفة فى سكون الليل» أعدها للنشر فى مجلة التعاون، فأبى القدر إلا أن تنشر بعد وفاته. ويراها القارئ فى ختام هذا المقال.

نشأته وبيئته :

المعروف عن «الهمشري» أنه ولد بمدينة السنبلاوين، لأنها موطن أهله وعشيرته، ولكن الحقيقة كما عرفتها منه أنه ولد «برأس البر» أثناء اصطياف أسرته على

عادتها كل عام. وكان والده المرحوم عثمان بك الهمشري، شغوفاً بالموسيقى والغناء، لا يفتأ يقيم حفلات موسيقية خاصة ويدعو إليها أصحابه من الأعيان، ويعزف فيها على «القانون» الذى كان يجيد العزف عليه، فيشق سكون الليل أعذب ألحانه.

وفى هذا الجو الموسيقي، وتلك البيئة الفنية، وفى سكون الريف ورفاهية أعيانه، نما شاعرنا وترعرع، وجمع بين شاعرية متمكنة من نفسه، وبين تأثير ذلك الوسط الشعرى الجميل، فكان كالبذرة الصالحة تغرس فى تربتها الملائمة، فتنمو وتورث وتؤتى أكلها بعد حين.

وما أن شب عن الطوق ودخل مدرسة المنصورة الثانوية حتى فاضت نفسه بشعرها الكامن، يقوله على السليقة من دون كلفة، فكان شاعر المدرسة الذى لا يبارى.

ومن عجب أنه وهو طالب صغير بتلك المدرسة قد أكثر من الاطلاع على الأدب العربى القديم حتى جنى من اللغة العربية وكلماتها محصولاً وافراً استغله فى شعره فى ذلك الحين وفى السنوات التاليات.

ولما تخرج فى مدرسة المنصورة الثنوية دخل كلية الآداب بالجامعة المصرية إذ وجدها أقرب من غيرها إلى ميله ونزعته. غير أنه كان فيها يتبع وحى هواه فى الاطلاع ولا يرضى أن يقيد نفسه ببرنامج للدراسة. وانتهى الآمر به إلى أن خرج منها بعد سنتين، وراح يستزيد من الاطلاع وقد تفتحت أمامه أبواب الأدب الإنجليزى فأخذ يلجها ويجنى من هذا الأدب محصولاً يضيفه إلى ثروته من الأدب العربي.

وفى عام ١٩٣٤ عين محرراً لمجلة التعاون ومكث يديج المقالات والقصائد لها حتى اغتالته المنية صباح يوم ١٤ ديسمبر الماضى (المقصود سنة ١٩٣٨) على أثر عملية جراحية.

مزايا شعره :

كان طبيعياً وقد نشأ (الهمشري) فى تلك البيئة الريفية أن يحب الريف ويعشق الطبيعة، ومن ثم امتاز شعره أول كل شيء بوصف الطبيعة والإشادة بالريف. وبينا غيره من شباب الشعراء يتغزل بفتاة حسناء، كان هو رحمه الله ينظم قصيدة طويلة فى وصف زهرة أو شجرة، أو طائر، أو التغنى بطلوع الفجر أو ظهور الشفق، أو الترنم بخرير الماء أو صياح الديك، أو مثل ذلك من مظاهر الريف ومحاسن الطبيعة.

وقد خلق فى «مجلة التعاون» باب «الأدب الريفي» و«الأدب التعاوني» وفيهما كان بحق رسول الريف إلى الحضر، الذى لا يفتأ يبدى جمال الحقول، ويندد بمن لا يرون آياته فيفرون إلى المدن الصاخبة.

ومن الشعر ما تقرأه فتحس أن صاحبه نحته نحتاً، وتشعر فى قراءته بمثل ما عانى الناظم فى «نظمه». أما شعر الهمشرى فكالماء الزلال انسياباً، لا جهد فيه ولا عناء، بل سليقة مطردة، ووصف متماسك، يجذب أوله آخره. وقد حقق فى شعره «وحدة القصيدة» التى كانت مطلباً قديماً عجز دونه أكثر الشعراء. فإذا قرأت قصيدة له خيل إليك لتماسكها ودقة وصفها أنها «صورة» رائعة لمنظر بديع، وحسبت أن الشاعر إنما هو «رسام» أبدعت ريشته تلك الصورة. غير أنه رسام لا يلهيه الكل عن الجزء، فهو يعنى بكل دقيقة ويبرزها كما يعنى بالمجموع كله.

ومما يتصل بذلك وصفه «للألوان» فى قصائده وصفاً ما أحسب شاعراً سبقه إليه، حتى ليصح أن يدعى «شاعر الألوان» كما أنه شاعر الريف والطبيعة. وقد كان رحمه الله فى حياته الخاصة يحب الألوان ويلتفت إلى كل زاه غريب منها، ويبدو ذلك فى اختياره «أربطة الرقبة» على الخصوص، فقد كان كل حين يفاجئنى برباط جديد منها يلبسه، وما كاد أعجب من ألوانه حتى أراها جميلة غير متنافرة.

أما حسن السبك واختيار اللفظ وموسيقية الشعر، فكلها ماثلة فى قصائده الممتعة. حدثنى حضرة صاحب العزة الدكتور إبراهيم رشاد بك مدير التعاون قال:

«كان الهمشرى رحمه الله يعلم أولادى الصغار فى بعض الأحايين ففى أحد الأيام كان عليهم أن يحفظوا قصيدة إنجليزية عنوانها Snow Drop وما يقابلها من شعر عربى ترجمها إليه شاعر لا أذكره. وقد جهد الأولاد حتى حفظوا القصيدة الإنجليزية ولكنهم عجزوا عن حفظ الأشعار العربية التى ترجمت إليها، حتى اعتذروا لى بصعوبة ألفاظها، فما كان من الهمشرى إلا أن ترجم تلك القصيدة ذاتها إلى شعر عربى سلس، وسرعان ما حفظها الأولاد عن ظهر قلب».

وقليل مثله من الشعراء، لم يتجر بشعره، ولم يتقرب به إلى كبير، ولم يلتمس منه مصلحة شخصية، ولم يتخذه أداة للانتقام والأذى.

ديوانه :

كان أول قصيدة نشرت للهمشرى هى قصيدة «العين الزرقاء» التى أشرت

إليها فيما سلف. وقد ظهرت بعدها عدة قصائد له فى جريدة «السياسة الأسبوعية» وقدمه وقتئذ إلى قرائها حضرنا الدكتور هيكل بك (باشا) والدكتور طه حسين بك بثناء وافر، ثم أخذ ينشر قصائده فى مجلة «أبوللو» التى كان يصدرها حضرة الدكتور أحمد زكى أبو شادي.

وعلى ذكر هذه المجلة أقول أنها أصدرت عدداً خاصاً به ملحمة طويلة من نظم الهمشرى عنوانها «شاطئ الأعراف» وقد أوغل فيها فى فيافى الخيال على طريقة «الفريد دى موسيه» فى «لياليه» ولكن دون معانيه، فقد كان الهمشرى رحمه الله لا يكتب إلا وحى نفسه ولا يرضى أن يستمد معنى من أحد. والحق أنه بتلك الملحمة قد كون مجده فلم يعد بحاجة إلى مزيد، ولو لم يكن له سواها لكفت لأن تسلكه فى عداد كبار الشعراء المجددين.

ثم نشر رحمه الله قصائد عديدة فى مجلة «المقتطف» ومجلة «الرسالة»، على أن أكثر شعره الذى نظمه فى السنوات الثلاث الأخيرة قد خص به مجلة التعاون، وعليها أعتمد فى كتابة هذه العجالة.

هذا وقد عزم حضرة صاحب العزة الدكتور إبراهيم رشاد بك على جمع شتات شعر الفقيد فى ديوان يصدره قريباً، تقديراً له ووفاء لذكراه.

أخلاقه :

كان الهمشرى شاعراً فى حياته الخاصة لا فى شعره وحده، فكان قليل النظام، لا يحب أن يقيد نفسه بأى برنامج فى عمله ورياضته، وفى مأكله ومشربه. وإنما كان يتبع وحى هواه ومزاجه، وقد يترك نظم الشعر وكتابة المقالات وترجمة الموضوعات، أياماً متوالية، وإذا به فى يوم أو يومين يعوض كل ما فاته فينظم بضع قصائد ويحرر عدة مقالات. ومتى وافاه هواه صمد للعمل وأبدى فيه جلداً لم أره لغيره، وكان يعاونه عليه شبابه وقوته وبعده عن كل مرض.

وعلى الرغم من صحته وشبابه، لم يكن بالشاب الطائش الذى ينغمس فى اللهو والمتعة، بل كان أقرب إلى الجد والرزانة، كثير الحزن إذا خلا إلى نفسه، حتى إذا صار فى مجلس لم يلبث أن يصبح منبع أنسه ومصدر بهجته.

وكان سريع الغضب، سريع الرضا، له قلب كقلوب الأطفال صفاء ونقاوة، لا يعرف الحقد ولا الرياء ولا المواربة، بل جبل على الصراحة التى تؤلم من كان لا

يعرف طباعه.

وكان شديد الأنفة من دون كبر، معتزاً بكرامته لا يفرط فى ذرة منها لكبير أو صغير، كثير الاعتداد بالنفس من دون غرور، يرحب بالنقد ويستمع إلى النصح، يحترم من هو أكبر منه سناً، ولا يبدأ أحداً بعدوان.

وكان قليل الكلام عن نفسه وشعره، لا يطالعك بقصائده إلا إذا طلبت إليه، فيلقيها إلقاء يزيد فى جمالها.

وكان وفياً لأصدقائه يؤثرهم على نفسه، فلا عجب أن عظمت فجيعتهم فيه وبكوه كما يبكى الأخ الشقيق أو أشد.

رسول الأدب الإنجليزى :

كان الفقيد عضواً «بالاتحاد المصرى الإنجليزي» ولم يكن ذلك عبثاً ولا وليد المصادفة، فقد عرفه الإنجليز من أعضاء ذلك الاتحاد رسولاً للأدب الإنجليزى إلى قراء اللغة العربية، وكانوا يعجبون بوفرة اطلاعه على أدبهم وتعمقه فى دراسة شعرائهم، وخصوصاً «شيلي» الذى كان دائم الإشادة بحلاوة شعره.

ولم يقف جهده فى هذا الميدان عند حد الدراسة، بل ترجم كثيراً من القصائد الإنجليزية الرائعة إلى شعر عربى رصين، لا يحسب قرائه أنه (مترجم) لولا أنه منسوب إلى أصله، وأذكر من ذلك قصيدة I F «إذا» لشاعر الإمبراطورية البريطانية رديارد كبنج التى ضمنها نصائح غالية للنشء البريطاني، وقصيدة «القرية المهجورة» لأوليفر جولد سميث، وقصيدة «إلى القمر» لشيلى الخ.

وإليك بعض أبيات مترجمة من القصيدة الأولى:

إذا أنت قد صدقت نفسك بينما ... ظنون الورى ترتاب فى ذلك الصدق
وبالرغم من هذى الشكوك عذرتهم ... وقابلت هذا الشك باللين والرفق
إذا استطعت أن تقصى عدوك عن أذى ... وتأمن حتى صاحباً لك وافيا
إذا أنت قدرت الرجال جميعهم ... ولم تك فى هذا الحساب مغاليا

ومن قصيدة «القرية المهجورة»:

واسوأتاه لأرض أصبحت غنماً ... ترعاه عاجلة الأقسام والنوب
تزداد ثروتها والقوم نخوتهم ... تهوى فتؤتها خوارة العصب

أهـل الإمـارة مـن صـيد غطارفـة ... أو من ذوى الجاه والألقاب والرتب

ومن قصيدة (شيلي) بعنوان «إلى القمر»:

أشـاحب أنـت مـن هـم وتفكـير ... وسـاهم أنـت مـن ضـنك وتكـدير
تـسير بـين نجـوم لـيس يوثقهـا ... عمـد ومـسراك فى هـذه الـدياجير

شاعر الطبيعة :

من قصيدة للهمشرى فى وصف الربيع:

هـو الربيـع إذا هبـت شـمائله ... هـز البـسيطة دانيهـا وقاصـيها!
فـصل جميـل مـن الجنـات مـشرقه ... تبـدى الطبيعـة فيـه كـل مـا فيهـا!!
كـأن أيامـه والحـب يـشملها ... أحـلام حـسناء طافـت فى لياليهـا!
كـأنما النـور فـوق العـشب مسرحها! ... والزهر أسرابها دفت على فيها!! (١)

ومن قصيدة عنوانها «طلوع الفجر»:

فى سـكون الليـل والفجـر غريـق ... نبـه الإنـسان صـيداح الـسحر
مـا لهـذا الـشرق يبـدو فى حريـق ... أذعـر الأنجـم منـه والقمـر
أيهـا النعـسان فى دنيـا الـسما ... تتمطـى فى سريـر الـشفق
النـدى حولـك يهمـى موهنـاً ... والأزاهـير حيـارى الحـدق
هتـف الكـروان فى الأفـق البعيـد ... كالمـصلى تحـت محـراب القمـر
ناسـك فى الليـل يـدعو ويعيـد ... هـام وجـداً بالـذى صـاغ الـسحر

شاعر الريف :

من قصيدة له بعنوان «مسارح الشفق»:

شـأن نفـسى وذاك فى غـرام ... أن تحـب النبـات والأعـشابا
وتلـذ الجلـوس فى ظـل أيـك ... رفـرف الطـير فوقـه أسرابـا
وانحنـت تحتـه الغـصون سكارى ... مـائلات أعطافهـا إعجابـا
يتغنـى بـين الـثمار بلحـن ... هـل سـمعت القيـان غنـت طرابـا

---

(١) دفت رفرفت.

من وحيدين يسجعان سرورا ... وفريدين يشدوان انتحابا
وجرى الماء فى الغدير رحيقاً ... وجرت فوقه الزهو رحبابا
وكأن النوار فيه نجوم ... ركبت تحتها المياه سحابا
وحكى السرو فى الربى مستهاماً ... وحكى بينه الغدير كعابا

ومن قصيدة له عنوانها «الأغنية المسائية أو عودة الراعي»:

ها هو الليل مقبل يتهادى ... فارساً يمتطى ظهور التلال
ونسيم المساء يسرق عطراً ... من رياض سحيقة فى الخيال

ومنها قوله:

كم مشينا بين الحقول طويلاً ... نشتكى الشوق والهوى والغراما
وإذا ما تعبت نجلس حيناً ... فوق شط الغدير نشكو السقاما
تحت تعريشة الكرم نرعى ... قمر الليل فى جلال السكون
وخرير المياه فاض غنى ... مثل قلبى يهدى إليك حنيني
والنسيم العليل يعبق عطراً ... يتهادى فى غيرة من دلالك
ونجوم السما تحنو علينا ... بشعاع يحكى شعاع جمالك

الشاعر الرسام :

من قصيدة للفقيد عنوانها «حدائق الشفق»:

بين الدجى واحمرار شعه الشفق ... النور يرقص فى عينى ويأتلق
لا هدأة تسعد الحيران لا سنة ... تقر عينى بها قد شفها الأرق
فلا أرى غير أحلام مكوكبة ... وغير رسم سماء بات يحترق
هذا النهار خلال السحب يظهر لي ... لقد لمحت على الوادى بشائره
تلوح شاحبة فى الشرق حالمة ... توشع السحب الدنا ضفائره
وأنت.. نافورة الحسن التى خفيت ... أيان ألقاك.. أو ألقى مصادره؟

ثم قوله :

وكانت السحب الغيماء سارية ... على المحيط خفاف الركب فى سرب
قد أبدعت صبغ وشى من مطارفها ... فى حمرة عجب، فى فتنة ذهب
وترقص الأنجم الزهراء رقصتها ... فى مطلق من أثير الجو ملتهب!

ثم قوله :

أمـا الـذى وشـع الأمـواه بـالنور ... فـزورق ناصـع الألـوان بللـوري
بينـاه فى ثـائر الأمـواج مـضطرب ... يختـال مـا بـين تـصعيد وتغـوير
بـدا الـدليل لـه فى الليـل منبهـراً ... فى لؤلـؤى مـن الأنـوار مـسحور
لم يـشهد الكـون فى آزالـه أبـداً ... هـذا الجلال الـذى يـسرى على الماء
قد ظل نجـم الـدجى سهمان يقذفه ... بأسـهم تتهـاوى منـه وضـاء
صيغت من الليلك الغـافى أشعتها ... فأصـبحت بـين بيـضاء وزرقـاء..

شاعر يرثى نفسه :

كأنما كـان يحس الهمشرى دنـو أحلـه وهـو فى ميعـة الـصبا، وكـان يـردد هـذا الشعور فى قصائده وإن لم يتحدث به قط إلى أصحابه، ولعـل أصرح نبوءة لـه قولـه فى نهاية قصيدة «العودة»:

لقد خف نسيم الصبح يهمس ناعباً ... إلى الـسهل أن فـارق الكـون شـاعر
لذا نقس النحـل الزهـور فجلجلت ... ونابت عن الأجـراس هـذى الأزاهـر

وكأنما كانت روحه تطل على الأبدية وهو لا يـزال فى هـذا العـالم الفـاني، يـدل على ذلك قوله فى القصيدة عينها:

لقـد فرغـت فى عـالم الحـزن جـولتي ... ومـا فرغـت منـى الليـالى الـدوائر
فيـا أفـق الـدنيا ويـا فجـر ليلهـا ... ومـن خفقـت فيـه المنـى والخـواطر
ومـن تـسبح الأحـلام فى ملكوتـه ... حيـارى وتغنـى فى هـواه المـشاعر
أيـا شـفقاً فى عـالم جـو أرضـه ... خيـال عـلى الـوادى المهـوم سـاحر
تحـف بهـا فى الـصمت أشـجار جنـة ... يفـاوحنى منهـا عـلى الـوهم عـاطر
واسـمع موسـيقى بهـا ذهبيـة ... تفـيض بهـا فـوق المـروج قيـاثر
واتـرك عينـى فى الخيـال تـشقه ... فـألمح أشـباحاً هنـاك تـسامر

وقوله فى قصيدة «حدائق الشفق»:

ذهلت فى حلـم غـاف... وخيـل إلي ... أنـى عـبرت طريقـاً كلهـا ظلـم
لم يغـشها من بنـى الإنـسان مقتحم ... قـبلى ومـا وطئـت أرضـاً بهـا قـدم
يحـف دغـلاً تثـير الـنفس وحـشته ... الـصمت أيكـه والليـل والأجـم

وقوله فى القصيدة عينها:

أحسست بالقلب ناراً طاف طائفها ... كما رأيت نمير البحر قد سطعا
وقفت منذهلاً، أرعاه، مفتعلاً ... كأن نور إله فوقه طلعا
أحنيت رأسى إجلالاً وتكرمة ... له وظلت من التقديس مختشعا

الهمشرى التعاونى :

لم يكن من محض المصادفة أن يعمل الهمشرى فى قسم التعاون خمس سنوات متواليات، فقد كان فى إمكانه إذا شاء أن ينال «وظيفة» أحسن من وظيفته و«درجة» أعلا من درجته، فى ديوان آخر من دواوين الحكومة. ولكنه مال إلى التعاون بكل قلبه، لأنه ألفاه يتصل بالريف اتصالاً وثيقاً، ويخدم الريفيين الذين نشأ بينهم وأحبهم حباً صادقاً.

ومن ثم لم يكن عمله فى مجلة التعاون عمل «الموظف» الذى يؤدى «واجبات وظيفته» بل كان يشعر دائماً أنه يعمل فى حركة إصلاحية عظيمة الأثر وأنه يساهم فيها بنصيبه. فلا ينى يكتب المقالات ينادى فيها بإصلاح أحوال الريف ويقترح إيجاد أعياد زراعية. وكان لا يفتأ يتنقل فى قرى الصعيد والوجه البحرى ليزور الجمعيات التعاونية القائمة فيها ويكتب عنها فى مجلة التعاون، منوهاً بتقدمها أو مرشداً إلى عيوبها. ومن لطائفه أن شاعريته كانت تغلب عليه عند الكتابة عن تلك الجمعيات فيفيض فى وصف القرى وما حولها، ويقف بقلمه مثلاً وقفة طويلة عند شجرة جميز صادفته فى إحدى جولاته.. فتخرج مقالته قطعة من الأدب أو قصيدة من الشعر المنثور.

ولعل أقوى برهان على إيمانه بالتعاون أنه فى آخر مرة زاره فيها حضرة صاحب العزة الدكتور إبراهيم رشاد بك مدير التعاون بالمستشفى، أوصاه الفقيد، وهو لا يكاد يقدر على النطق، بأن ينشيء جمعية تعاونية فى بلدته (السنبلاوين) قائلاً إنها لا يليق أن تبقى عاطلة من التعاون وقد أفنى ابنها زهرة شبابه فى خدمته.

وكان قبل أيام قليلة من وفاته المفاجئة يزور بنادر (المنيا) وقراها ويبحث أحوال الحركة التعاونية فيها.

وقبل بضعة أشهر بدأ يدرس التعاون بالمراسلة مع كلية التعاون بمانشستر ليحوز دبلومها بعد ثلاث سنوات لولا أن دهمه الموت.

الهمشرى الصحفى :

كان وقت الفقيد مقسماً بين الشعر والصحافة، ونفس عمله بالحكومة لم يكن سوى عمل صحافى لأنه لم يمارس طول «توظفه» غير التحرير فى مجلة التعاون، وكان رحمه الله فضلاً عن ملء باب «الأدب الريفي» أو «الأدب التعاوني» بشعره الجزل، يكتب أبواباً أخرى ويحرر موضوعات عديدة بالمجلة، ويترجم مختارات من المجلات التعاونية الإنجليزية، ويرتب أعداد المجلة ترتيب صحفى قدير.

على أنه إلى جانب ذلك اشتغل بالصحافة اليومية زمناً طويلاً فقد مكث زهاء العام وهو يترجم كل يوم تقريباً قصة قصيرة لجريدة (المصري) وكذا روايات طويلة متسلسلة، ثم جعل ينشر رواياته فى جريدة (الدستور). وكتب كذلك عدة قصص لجريدة (الصباح) وترجم كثيراً من (روايات الجيب) وكتب بعض موضوعات لجريدة (المصور)، كل ذلك وهو بعيد عن السياسة لا يرضى أن يخوض بقلمه فى بحار (الحزبية) بأى حال.

النجم الآفل

الشاعر م. ع. الهمشري

للأستاذ صالح جودت

كان أول شاعر عرفته، وكنت أول شاعر عرفه. وفى الحق أن أحداً من أهل الأدب لم يكن يعرفنا آنذاك، إذ كنا نترجح فى بكور العمر بين العقدين الأول والثانى من العمر.

كان هذا منذ أكثر من ثلاثة عشر عاماً.

وهمس الشيطان فى آذان أصحاب الصحف أننا دون العشرين، فلم يأبهوا لشعرنا، فاتخذ طريقه إلى السلال، فاتفقنا عندئذ، أو قل حدث بغير ما اتفاق، أن أكون قارئه الوحيد، على أن يكون قارئى الوحيد.

كان هذا فى ظلال المدرسة بالمنصورة. والمنصورة أرض طيبة تنبت الشعر كما تنبت الجمال، ومنها خرج هيكل، وأحمد أمين، وعبد الله عنان، والزيات، ومحمد عوض محمد، وخلدون، وإبراهيم رمزي، وإبراهيم ناجي، وعلى محمود طه، وإسماعيل مظهر، ومنصور فهمي، والأسمر وغيرهم وغيرهم، حتى لقد ارتأينا مرة أن نؤسس ندوة تجمع شمل أدباء المنصورة، فما كدنا نجد فى مصر أديباً إلا منها، أو يمت إليها بعاطفة!

هناك، فى بكور اليفاعة، عرفت «محمد عثمان الهمشري» كما نعاه النعاة، أو «محمد عبد المعطى الهمشري» مكا تسجل الحقيقة، أو «م. ع. الهمشري» كما عرفه قراؤه.

وللتسمية الأخيرة قصة، فقد كان الهمشرى منذ فجر صباه مجنون الولع بقراءة الأدب الإنجليزي، ولاسيما ما كان منه لشعراء الشباب، الذين ماتوا فى ميعة شبابهم، مثل شلى وكيتس وبيرون، فتأمل عجائب القضاء!

هؤلاء كانوا أساتذته الذين أحبهم وتتلمذ عليهم، وتأثر بهم وترجم لهم، واتخذهم قدوة فى الحياة، ثم اتخذهم قدوة فى الموت!

وجاءنى يوماً يقول: ما رأيك فى اسمى الأوسط، أعنى عبد المعطي؟ قلت: لا

بأس به. قال: بل أود أن أستبدله أو أمحوه. قلت: ولم؟ قال: لأن من اسمه عبد المعطى لا يكون شاعراً!

ضحكت يومئذ من هذه الفكرة الغريبة، ولكنى رأيته على صواب، ولاسيما إذ عرفته وعرفت من أمره أنه لا يضع الكلمة فى شعره إلا إذا أحس لها جرساً موسيقياً عميقاً فى نفسه.

وكان يوم، وجاء يطلعنى على قصيدة ترجمها عن توماى جراي، هى المرثية الخالدة لمقبرة القرية، فوجدتها ممهورة بتوقيع «م. ع. الهمشري». وقال: بمثل هذا كان يوقع أستاذى P. B. Shelley وأصحابه الآخرون.

ومنذ يومئذ لم يعرف القراء صاحبى بغير اسمه الجديد.

وكنا – الهمشرى وأنا – لا نكاد نفترق إلا مقدار ما تغمض الجفون، وبقينا على هذا العهد حتى أغمض جفنيه إغماضة لا صحوة منها، فافترقنا مكرهين.

جاء ناعيه ينعاه إلى فى صباح يوم حزين. وإذا فوجئ المرء بصدمة بكى، ولكنه إذا جن فى صدمة ابتسم، وهكذا ابتسمت، وقضيت سحابة النهار لا أبرح مكاني، قضيتها أبتسم وأجيل عينى فى صور الماضى من يفاعة وصبا وشباب، أستعرضها كأنها لم تزل بعد حية، وكأنما نحن يومئذ قيد هنيهات من عهد خطر عليه أكثر من عشر سنوات.

ذكرت المدرسة وملاعبها ومغانيها، وكيف كنا إذا اختصمنا، الهمشرى وأنا – وكثيراً ما كنا نختصم فى عاطفة كانت شركة بيننا – جعلنا من المدرسة حلقتين تسيران بشعره وبشعري، حتى خلقنا فى شباب المنصورة آنذاك جيلاً يحسن تذوق الأدب ويستمرئ الطيب منه.

وكبرت الأيام عامين، فكبرنا معها، وكان هذا منذ عشر سنوات تقريباً. وعندئذ حدث حدث أعاد إلى الذاكرة ما كتبه عن الهمشرى إثر وفاته، الأديب الوفى الأستاذ محمد لطفى جمعة.

فى ذلك العهد، أنشأ الأستاذ محمد لطفى جمعة فصولاً حزينة عن شاعر انتحر فى باكورة شبابه، هو المرحوم أحمد العاصي، وترجم له، وتحدث عنه، وروى من شعره، فأقبلنا – الهمشرى وأنا – نقرأ هذه الفصول فى صحيفة «البلاغ» على ما أذكر، ونبكى هذا الشاعر الذى لم نعرفه بدموع محرقة متلفة، وحفظنا يومئذ ما وصلنا من

شعره.

ثم قال صاحبي: ألا قل لي، ألو متنا كما مات هذا الشاعر أفنجد من ينعانا ويرثينا فى الناس؟ قلت: وهل يعرفنا أحد من أهل الأدب حتى ينعانا أو يرثينا؟ فأطرق وقال فى كآبة: صدقت. إذاً فلنرث نفسينا، أنت ترثينى وأنا أرثيك.

وافترقنا يومئذ، وعدت إلى البيت، ولبثت أحاول أن أرثيه، فرسمت صورته فى ذهني، وتأملتها، تأملت ذلك الوجه الذى يتدفق فيه احمرار الحياة، وذلك الصدر المرتفع والجسد الطويل العريض الهاتف بقوة الشباب، يسير فى وسط الطريق لا على إفريزيه، وعلى صدره وردة حمرا لا تريم.

يطأ اليأس باعتداد الأماني ... ويذل الزمان بالكبرياء

فضحكت مما أحاول، وقلت: ما أحاول إلا سخافة، أهذا يمكن أن يموت؟

والتقينا فى صبيحة اليوم التالي، فقال: أين مرثيتك؟ فقلت له ضاحكاً: يا محمد، إنك آخر من يخطر ببال الموت.

ولكن الأيام كذبت حدسي، فكان هو أول من خطر ببال الموت!

قال: أما أنا، فقد رثيتك فإليك.

وأذكر يومئذ أنه أرسل هذه القصيدة إلى إحدى الصحف، مع مقدمة يقول فيها: «كان فلان شاعراً فى مقتبل صباه، وهب قلبه لفتاة، ثم مات، وأوصانى قبيل موته أن أنقش هذه الأبيات على حجر قبره، لعل ليلاه تمر لتذرف عليه دمعة عند الغروب فتقرؤها...».

على أن القصيدة لحقت بأخوات لها من قبل فلم تنشر، ولا زلت أذكر منها ما يغلب على الذاكرة أن يكون:

أيها الساري، تمهل فى خطاك ... إن فى القبر فؤاداً ما سلاك
ودع الأحلام فى رقدته ... والأماني، ولم يذكر سواك
وإذا ناديته فى قبره ... هب فى القبر مجيباً لنداك
ليس يبغى أن يرى الجنة في ... نفخة الصور، ولكن أن يراك
وضريحى بين أشجار الأراك ... فتعال، واسقه على أراك
إن اتخذت اليوم غيرى فى الهوى ... فأنا للآن لم أعشق سواك
هاتف فى الموت يدعونى كما ... كان فى الدنيا، إلى وكر هواك

وأعود الآن إلى حديث فصول الأديب الوفي، الأستاذ محمد لطفى جمعة، عن الشاعر المنتحر، أحمد العاصي.

تأثرنا لما كتب، وكان ما كان من أمر رثاء صاحبى لي، وبقى شبح العاصى يطاردنا ويلاحقنا فى كل لحظة وكل بقعة. وإذا بالهمشرى يستخفى علي، وإذا بى أستخفى عليه، وإذا بكل منا يعود إلى صاحبه بعد يومين فيطالعه بقصيدة فى رثاء العاصي، من نفس البحر ونفس القافية، ولعل مبعث هذا التوافق قصيدة للعاصى من الشاكلة عينها.

قلت:

يـا أيهـا اليـائس مـن دهـره ... خطـم الآمـال فى فجـره
يـا من صبا للموت رغم الصبى ... أواه للشاعر من سحره
يـا مـن رأى فى الدهر مـا ضـاره ... ويـل لـنفس الحـر مـن ضـيره
قـل للـذى يرتـاب فى لؤمـه ... لقـد تـدعى الشك فى أمـره

وقال الهمشرى قصيدة لا يحضرنى إلا بعض مطلعها وهو وحده زعيم بإقناع القارئ أن الهمشرى تفوق وأجاد، وجنح إلى نزعة فلسفية سايرت شعره إلى النهاية.

قال:

أفزعـه الشوق إلى وكـره ... وحـن فى الليـل إلى فجـره
وهـب مـذعوراً يناجي الـردى ... وينـشد المخبـوء مـن سره

ولست أدرى أية نفثة من السحر كانت فى هاتين القصيدتين، فقد بعثنا بهما إلى الصحف، فتفتحت لنا أبواب السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعى مرة واحدة ومنذ يومئذ بدأنا نعرف الأدباء ويعرفوننا، وكان أول من عرفنا منهم، هما الشاعران على محمود طه وإبراهيم ناجي، وقد كانا عهدئذ فى عنفوان الشباب بالمنصورة، وكانا مثلاً لنا، لا يفترقان إلا غمض الليل.

هنا بدأنا نشق طريقنا فى الأدب المنشور، وبدأت شاعرية الهمشرى تتألق، وتخرج ملحمته «شاطئ الأعراف» وقصائده الرائعة وعلى رأسها «النارنجة الذابلة» و«إلى جنا الفاتنة فى مدينة الأحلام» و«مشعلة النوتي» وغيرها.

وهنا يجب أن يسكت الصديق، الذى هو أنا، ليتكلم نقاد الأدب ومؤرخوه المنصفون، وما أنا من هؤلاء ولا من أولئك.

الشاعر محمد الهمشرى تحت المصباح

روح ذاهل عن مادية الحياة، كثير الانشغال بعوالم الخيال السحيقة العذبة الطاهرة الجمال. وشاعرية متوقدة ناضجة تؤدى رسالتها القويمة فى غير ما جلبة أو ضوضاء، كأنما تعتقد أن الإعلان عن فضلها عار ومنقصة فى وقت يتهافت فيه كل دعى على الإعلان عن ذاته..! عرفت محمد الهمشرى لسنين خلت طالباً بمدرسة المنصورة الثانوية، وشاعراً مبدعاً على حداثة سنه حينذاك، وقرأت له قصيدته، بل ملحمته الرائعة، «شاطئ الأعراف» التى تعتبر بحق عملاً يستأهل الخلود! ويوقفنا على مدى هذه الشاعرية الخالقة الجبارة التى تملكت روح هذا الشاب النابغة.

ومحمد الهمشرى لا يزال فى أول شبابه، والذى قرأ له «شاطئ الأعراف» و«مشعلة النوتي» و«أحلام النارنجة الذابلة» لا يتردد فى اعتقاد أنه بإذن الله سينفح الشعر العربى بروائع أخرى كثيرة تهز الدوائر الأدبية فى العالم العربي، بل فى العالم بأسره..!

وهو شاب واسع الاطلاع على الأدب العربي، كما أنه يوالى بانتظام دراسة الشعر الإنجليزى والفرنسي، ولقد قرأ فيهما الكثير من روائع الآثار.. وهو يقدس الأدب تقديساً ولا يهمل شأن عمله الفنى على الإطلاق، لذلك لا تراه حينما ينظم قصيدة، ينظمها تزجية لفراغ أو تسلية، وإنما هو يسكب روحه سكباً،ويريق دماء قلبه فى قصيدته، وينطوى على نفسه أياماً عديدة يعالج نظمها حتى يخرج بها نقية لامعة ناضجة، وعندئذ تؤدى رسالتها بإيمان وقوة وتنفذ إلى صميم الأفئدة من غير مجهود أو إرهاق ذهني.

ويكاد ينفرد محمد الهمشرى بشخصية خاصة ذات ميسم خاص فى شعره القوى الرائع. ثم هو يمثل فى شعره المبدأ الرمزى أصدق تمثيل، وهو يدعو لهذا المذهب مخلصاً لا ينى ولا يفتر، ولقد كسب كثيراً من المعجبين والمحبين لشعره ومذهبه الذى يروج له.

وقد يعجب المرء حينما يسمع أن محمد الهمشرى يقرأ، خلا الشعر والقصة، آراء جليلة فى الاقتصاد والتعاون، ويكتب فى هذين الموضوعين كتابة قيمة متينة،

ولكن هذا العجب يزول حينما يعلم المرء أن العبقرية لابد أن تكون واسعة المناحى شاملة لكل شيء. وهذا (جوتة) شاعر ألمانيا الخالد كان شاعراً وقصصياً وكيميائياً.. وطبيباً..

ويميل محمد الهمشرى فى شعره إلى الناحية الحزينة القاتمة. ولعل ذلك راجع إلى الآلام النفسية التى اعتورت حياة شاعرنا، وأحسب أنه يكاد ينفرد بإجادة اللون القاتم فى الشعر العصري.

ونفس محمد الهمشرى نفس خيرة محبة للناس والأشياء بالرغم من نظرة التشاؤم التى تطغى عليها.. وخلاصة القول أن محمداً الهمشرى يمثل شخصية الفنان الأصيل تمام التمثيل..!! وهو فى حياته الخاصة يميل إلى العزلة وينفر من الاختلاط بالناس والانغماس فى المجتمعات. ولكنه لو حدث وهبط مجتمعاً من المجتمعات، لا يتخلف عن مجاراة المجتمعين فى لهوهم.

وبعد، فهذا أحد زعماء الأدب فى شباب مصر هذه الأيام، لا أتردد لحظة فى أن أقول وأنا أقدمه إلى القراء هذا التقديم الذى أعده فضولاً مني، أنه سيكون له شأن أى شأن فى القريب العاجل، فى بناء صرح الأدب المصرى الجديد، الذى يمكنه أن يقف أمام الأدب الأوروبى الجبار وقفة الرئبال الهصور.

وليست ببعيدة على صاحب «شاطئ الأعراف» هذه الوقفة المشرفة..!!

«ألف لام»

عن الهمشرى وشعرنا العربي

بقلم الدكتور محمد مندور

كان الشعر العربى القديم فى الجاهلية والعصر العباسى يستمد مادته من الحياة مباشرة، ولذلك نعتقد أنه خير ما خلف العرب من شعر، ولكن التقليد لم يلبث أن طغى على الشعر فى العصر العباسى وأصبح الشعراء يستقون مادتهم لا من الحياة كما كان القدماء يفعلون بل يستمدونها من ذاكرتهم ومحفوظاتهم، حتى تحجرت فنون الشعر ومعانيه، وأصبح لكل فن شعرى معانيه التقليدية المتحجرة. وسجلت كتب الأدب تلك المعانى فنراها تذكر أن فن المدح مثلا يكون بكذا وكذا مثل الشجاعة والكرم وشرف النسب، والغزل يكون بكذا وكذا من مثل ضمور الخصر عبالة الساقين وثقل الأرداف وما إليها، والشعراء إنما كانوا يتفاوتون بالمهارة فى التعبير عن كل من هذه المعاني. هذا الشاعر يبز الآخرين بالتعبير عن الكرم لأنه قال إن الممدوح يتهلل عند لقاء السائل وكأنه سينال منه شيئا مع أنه هو الذى سيعطيه، أو لأنه وصل بالكرم إلى حد الجود بالنفس إذا ضن البخيل بها، وأمثال ذلك كثير، حتى رأينا أكبر ناقد عند العرب وهو الآمدى يكتب كتاباً فى الموازنة بين الطائيين، أى بين البحترى وأبى تمام ويقيم هذه الموازنة على أساس المفاضلة بين تعبير الشاعرين عن المعانى الخاصة لكل فن من فنون الشعر أو بكاء الديار والنسبى والوصف والمدح وما إليها.

تلك كانت الحالة الغالبة على الشعر العربى منذ العصر العباسي، فنحن قلما نستطيع أن نستخلص من شعر شاعر شخصيته ووجدانه الخاص، ذلك لأنهم يتناولون فى شعرهم المعانى التقليدية التى وصفها النقاد القدماء أنفسهم بأنها كانت كالأعراض الملقاة فى الطرقات وأنها لا تتميز عند شاعر عن آخر إلا بالثوب الذى يسبغه عليها، فلا علاقة بين الشعر وقائله ولا أصداء لحياته فى شعره، باستثناء نفر قليل من أولئك الشعراء شذوا عما كان يسمى عمود الشعر وطغت شخصياتهم حتى برزت من خلال شعرهم، وهؤلاء هم الذين لفتوا بنوع خاص أنظار الجيل السابق من نقادنا المثقفين ثقافة غربية فرأيناهم يؤثرونهم بالدراسة والنقد. ومن هؤلاء الشعراء ابن الرومى الذى تناوله الأستاذان العقاد والمازنى بدراسات مفصلة على ضوء النقد

الحديث، ثم أبو العلاء المعرى والمتنبى اللذان درسهما وكتب عنهما الكتب الدكتور طه حسين، فضلاً عن مقالات زملائه عنهما. و لواقع أن ابن الرومى والمتنبى وأبا العلاء من أبرز الشعراء القدماء الذين تظهر شخصياتهم فى شعرهم ويبرز وجدانهم الخاص.ولكل منهم فلسفة واضحة فى الحيا أو على الأقل وجهة نظر متميزة إلى الحياة والأحياء، بل إننا لنلاحظ بعض ما لاحظه بعض القدماء مثل الثعالبى فى يتيمة الدهر من أن شخصية المتنبى العاتية وكبرياءه المترفعة وتساميه بقدره قد طغى على فن شعرى تقليدى كفن المدح، فوجهه وجهة جديدة، فالمدح عند المتنبى لا يجرى على النسق التقليدى من ترديد فضائل بعينها، بل ولا يقتصر على مناقب الممدوح، بل يستحيل إلى غزل أو ما يشبه الغزل بالممدوح. ولعلنا نلاحظ هذه الظاهرة أوضح ما تكون فى سيفياته بنوع خاص أى فى القصائد التى قالها فى سيف الدولة الأمير العربى الشهم، الذى كان يحمى ثغور العرب من غارات الروم. بل ويحتفظ المتنبى بلغة الغزل حتى عندما يعاتب سيف الدولة على أثر الجفوة التى اضطرت المتنبى إلى أن يغادر حلب (مولع القلب باكيه) فيقول:

مالى أكتم حباً قد برى جسدي ... وتدعى حب سيف الدولة الأمم
إن كان يجمعنا حب لغرته ... فليت أنا بقدر الحب نقتسم
يا أعدل الناس إلا فى معاملتي ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
يا من يعز علينا أن نفارقهم ... وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وعندما ظهرت الطباعة الحديثة ودخلت مصر والبلاد العربية فى أعقاب الحملة الفرنسية وأخذنا نطبع كتب الأدب القديمة ودواوين الشعراء القدماء فى مطبعة بولاق فى القرن الماضي واستطاعت تلك الكتب والدواوين أن تغذى موهبة شعرية فذة كموهبة محمود سامى البارودى الذى ترك لنا مختارات من الشعر العربى القديم تدل على سعة اطلاع وصدق شاعرية. وبفضل حركة النشر هذه استطاع محمود البارودى أن يخلص الشعر العربى من التفاهة والزخارف واللفظية التى كان قد انحدر إليها وأن يرد إلى الشعر ديباجته القوية القديمة. بل وكانت شخصية البارودى من القوة بحيث نضجت فى شعره، ونستطيع أن نلمح وجدانه الخاص من خلال هذا الشعر. ولكن شعراء البعث الذين تلوه وبخاصة كبيرهم أحمد شوقى لا نكد نلمح حياته ووجدانه الخاص من خلال شعره رغم ما فى هذا الشعر من طاقة خارقة وموسيقى مثملة وجودة متينة فى التعبير وبراعة فى التصوير البياني. وربما كان هذا من الأسباب التى دعت أنصار التجديد فى الشعر وبخاصة الأستاذين العقاد والمازنى أن

يتخذا من أحمد شوقى أساسا فى الحملة التى شناها فى كتاب الديوان على الشعر التقليدى وأصحابه، ومناداتهما بالتجديد الذى لخص الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى اتجاهه فى بيت شعر سجله على غلاف أول ديوان أصدره من الشعر الجديد فى سنة ١٩٠١ وهو قوله:

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

وجاء شعرا المهجر وعززوا نفس الدعوة إلى شعر الوجدان وأيدها ميخائيل نعيمة تأييداً نظرياً فلسفياً قوياً فى كتابه «الغربال» الذى حمل فيه حملة قوية على الشعر التقليدى ودعا الشعراء إلى أن يصدروا عن ذواتهم وأن يصور كل منهم ما فى وجدانه الخاص من آمال وآلام وأشواق روح.

وهكذا ظهرت عندنا الدعوة إلى شعر الوجدان. وإنه وإن يكن الدعاة لهذه الدعوة قد قالوا هم أنفسهم قصائد وجدانية جميلة إلا أنه من المؤكد أن هذه الدعوة لم تتحقق على نطاق واسع إلا بفضل الجماعة التى تعرف فى تاريخ أدبنا الحديث بجماعة أبوللو، وهى الجماعة التى عمل على تأسيسها فى سنة ١٩٣٢ الشاعر الخصب الدكتور أحمد زكى أبو شادى واصدر لها مجلة أبوللو التى تخصصت فى نشر الشعر ونقده وظلت تصدر شهرياً حتى سنة ١٩٣٥.

وبالرغم من أن رائد هذه الجماعة أحمد زكى أبو شادى قد نظم أوبرات أى مسرحيات غنائية تلحينية كما نظم قصصاً شعرية، وبالرغم من أنه قد أفسح صدره وصدر مجلته لكافة أنواع الشعر والشعراء من تقليديين ومجددين ووسط بين الطرفين – إلا أن الطابع الذى غلب على هذه الجماعة – وبخاصة على روافدها من الشبان – قد كان طابع الشعر الوجداني.

وإذا كنت قد قررت فى كتابى الأخير عن جماعة أبوللو أن هذه الجماعة لم تتقيد بمذهب شعرى معين، بل ولم ينقلب اتجاهها الوجدانى الغالب إلى مدرسة شعرية، فإنما يرجع ذلك إلى حقيقة مسلم بها هى أن كل مذهب أدبى أو مدرسة فنية لابد أن تقوم على أسس فكرية نظرية هى التى تعطى أى اتجاه صفة المذهب. فالرومانسية مثلاً وإن تكن وجدانية الاتجاه إلا أنها أصبحت مذهباً عندما وضعت لها أسس فكرية محددة. وإذا كان الرومانسيون قد غلب عليهم الأنين والشكوى من الحياة والتبرم بها والهروب منها إلى رحاب الطبيعة وصدرها الرفيق بالشعراء، فإن هذا الاتجاه قد أصبح مذهباً عندما أخذ أصحاب هذا المذهب يفلسفون الألم فيقول أحدهم مثلاً: «إن المرء

طفل يهذبه الألم» ويقول آخر «لا شيء يسمو بنا كما يسمو الألم»، ويقول ثالث: «إن أروع الشعر ما كان أنات خالصة». ولسوء الحظ عندما يصبح مثل هذا الاتجاه مذهباً نظرياً يأخذ التقليد والتصنع فى التسلل إليه حتى لنرى صغار الرومانسيين يتصنعون الألم ويدعونه فى «طرطشة» عاطفية سخيفة أفسدت شعرهم بل ونكبت الرومانسية كلها حتى اضمحلت وذهب ريحها.

وأما جماعة أبوللو فإنها – وإن يكن الاتجاه الوجدانى قد غلب على خير شعرائها إلا أنها لم تحاول يوماً أن تجعل من هذا الاتجاه مذهباً يقوم على أسس نظرية، بل إن فكرة التمذهب والخضوع لنظرية شعرية أو فكرية بذاتها قد كانت شبه مستحيلة فى الفترة القاسية التى ظهرت فيها جماعة أبوللو، فترة ما بين سنة ١٩٣٢-١٩٣٥ حيث كان الاستعمار قد تآمر مع ملك طاغية هو أحمد فؤاد ورئيس وزارة مستبد ظالم جرئ على الشر هو إسماعيل صدقي، ليكبت حريات المواطنين ويسومهم الخسف وسوء العذاب، حتى أصبحت الحرية هى أعز شيء لدى الناس، وأصبحت فكرة التقيد حتى بمذهب أو نظرية فكرية نابية لا تخطر لأحد ببال، ولذلك ترى جميع أعضاء أبوللو يرددون أن الشاعر يجب أن يكون حراً طليقاً كالعصفور لا يخضع لقيد حتى ولو كان القيد مذهباً أو نظرية، وكل ما طالبوا به هو أن يصدر كل شاعر عن وجدانه الخاص فى حرية وإخلاص. ولما كانت وجدانات الناس تتفاوت بتفاوت طبائعهم وبيئاتهم ودرجات ثقافتهم وأنواعها، فقد كان من الطبيعى أن تتفاوت نغمات هؤلاء الشعراء بتفاوت وجداناتهم. وهذا هو ما حدث حيث نجد من بين كبار هذه الجماعة الوجدان الحار المتفجر الأبدى الظمأ إلى الحب عند الدكتور إبراهيم ناجى فى «وراء الغمام» و«ليالى القاهرة» والوجدان الثائر العنيف الذى يغالب الحياة بل ويغالب الموت والداء العضال فى «أغانى الحياة» لأبى القاسم الشابي، والوجدان الانبساطى الأبيقورى المتفتح لمتع الحياة ولذاتها الحسية عند الشاعر الطروب على محمود طه صاحب «الملاح التائه» و«ليالى الملاح التائه» و«زهر وخمر» كما نجد المزاج الانطوائى المستغرق فى الشجن والتأمل عند حسن كامل الصيرفى صاحب «الألحان الضائعة».

***

هذا موجز للاتجاه الجديد الذى ظهر فيه الشعر العربى المعاصر، وقد تتبعناه منذ أصوله الأولى فى الشعر العربى القديم ثم فى تأثره بالآداب الغربية، ولكن هذا

الاتجاه الجديد لم يمح الاتجاه التقليدى بل ظل الاتجاهان يتصارعان ويعيشان جنباً إلى جنب حتى وقتنا الحاضر، وقد فصلت تاريخ هذا النضال فى السلسلتين السابقتين من محاضراتى عن الشعر المصرى بعد شوقي، وهى محاضرات يحسن أن يلم بتفاصيلها من يريد متابعة هذه السلسلة الثالثة التى أتابع فيها نفس الدراسة.

على أنه إذا كان الشعر التقليدى قد ظل ثابتاً عند مفاهيمه فإن الدعوة إلى التجديد لم تقف عند شعر الوجدان الذى ازدهر فى فترة ما بين الحربين العالميتين الأخيرتين بفضل جماعة أبوللو بنوع خاص، بل حدث تطور جديد، من شعر الوجدان الذاتى إلى الشعر الاجتماعى الواقعى الذى يتعصب له اليوم الجيل الناشئ من شعرائنا الشبان. وقد جاءت فلسفة الثورة المصرية الأخيرة مؤيدة لهذا الاتجاه، وإذا بشعر الوجدان يأخذ فى الانزواء بل ويهاجم أصحابه ويتهمون بالذاتية وحب النفس وبالفردية الانعزالية ويطلق عليهم أحياناً اسم دعاة الفن للفن، كوسيلة لتجريحهم واتهامهم بالهروب من الحياة العامة ومن معالجة مشاكل المجتمع، ووضع طاقاتهم الفنية فى خدمة الحياة والأحياء ومحاولة الارتفاع بتلك الحياة إلى مستوى إنسانى أفضل.

على أننا وإن كنا قد تحدثنا فى سلسلة المحاضرات السابقة عن نشأة جماعة أبوللو واتجاهها الفنى والإنسانى كما تحدثنا عن بعض شعرائها – إلا أننا نحرص فى هذه السلسلة على أن نعود فنستكمل الحديث عن هذه الجماعة الخصبة وعن بعض المبرزين من شعرائها.

الهمشرى شاعر رومانسى

ومن خير شعراء هذه الجماعة شاعر شاب مات قبل أن يتجاوز الثلاثين من عمره، وهو محمد عبد المعطى الهمشرى الذ يولد بمدينة السنبلاوين فى يوليه سنة ١٩٠٨، ومات بالقاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ على أثر عملية جراحية مخلفاً طائفة من القصائد الرومانسية المعدن بل الخالصة فى رومانسيتها، وإذا كنت لم أعثر له على ديوان مطبوع فقد وجدت لحسن الحظ طائفة من قصائده منشورة فى الصحف والمجلات. وقد جمع الأستاذ محمد فهمى بعضاً منها فى كتاب له باسم «الروائع لشعراء الجيل».

وحياة الهمشرى القصيرة الأجل يمكن تلخيصها فى كلمات. فهو بعد إتمامه الدراسة الثانوية قد التحق بكلية الآداب ولكنه لم يتم دراسته بها واضطر إلى العمل كاتباً فى وزارة الزراعة إلى أن وافاه أجله.

والقصائد التى طالعتها لمحمد عبد المعطى الهمشرى توحى كلها بأنه قد كان شاعراً غارقاً فى الرومانسية بطبعه وظروف حياته. ولا أظن رومانسيته صادرة عن تمذهب ووعى نظرى وقصد أو افتعال، وإنما هى رومانسية نبتت من وجدان الشاعر كما نبت ذلك المذهب فى بدء ظهوره عند كبار الرومانسيين الغربيين. فالرومانسية كالكثير من مذاهب الأدب الأخرى لم يفتعلها دعاتها الأوائل بل تهيأت لها النفوس أولاً بحكم ملابسات الحياة العامة والخاصة أو على الأصح تضاريس الحياة التى ترسم للآداب والفنون مسالكها وتوجه تيارها.

فمحمد عبد المعطى الهمشرى قد نظم قصائده فى سن الشباب الذى يطغى فيه الخيال ويشتد جناحه فيأبى الكثير من الشبان أن يسيروا على الأرض ويطمحون إلى التحليق فى السماء، وإذا لم تلن لهم الحياة وتسلسل قيادها لرغباتهم الحارة الملهوفة هربوا من تلك الحياة أحياناً إلى ماضيهم ومراتع طفولتهم كما فعل الهمشرى فى قصيدة «النارنجة الذابلة».

ففى هذه القصيدة نجد معظم الخصائص الروحية الفنية التى تتميز بها الرومانسية عند الغربيين.

وأول تلك الخصائص هو الحنين إلى شيء غير حاضر الشاعر وواقع حياته الراهنة، ونحن هنا نطالع هذا الحنين منذ مطلع القصيدة وهو حنين الشاعر إلى شجيرته فى الريف وأساه على فراقها.

كانت لنا عند السياج شجيرة ... ألف الغناء بظلها الزرزور

بل ويتخذ الشاعر من هذا الحنين قراراً يردده ويجعل منه قافلة لمقطوعات قصيدته.

كانت لنا! يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

ومن الغريب أن نرى الهمشرى يسلك كافة الدروب التى سلكها الرومانسيون المذهبيون الذين قد يهربون من واقع حياتهم إلى الطبيعة أو إلى مراتع صباهم يلتمسون فيها عزاء وسلوى ولكنهم قد يحملون إليها همومهم فلا يجدون فيها ما أملوا. ونستطيع أن نجد هذه الحالة النفسية فى قصيدة أخرى للهمشرى بعنوان «العودة» أى العدة إلى قريته حيث يقول:

رجعتُ إليك اليوم من بعد غُربتي

وفى الـــنفس آلام تفـــيضُ ثـــوائرُ
رجعـــتُ وعقـــلى تائـــه الفكـــر شـــاردٌ
وأبـــتُ وقلبـــى واهـــن الخفـــق خـــائرُ
فيـــا أرضَ أحلامـــي، أألْتقـــى طفـــولتي
ويـــسعدنى يـــومٌ مـــن العُمـــر آخـــرُ؟
تعـــسفتُ فيـــكِ الليـــل والـــريح صَرصرٌ
وخـــضتُ إليـــكِ المـــوجَ والنهـــرُ ثـــائرُ
وأتيـــتُ لألَقـــى فى ظِلالـــك راحـــةً
فيهـــدأ قلبـــى وهـــو لهفـــانُ حَـــائِرُ
أمـــوتُ قريـــر العـــين فيـــك مُـــنعماً
يُخـــدرنى نَفـــحٌ مـــن المـــرجِ عـــاطرُ
ويلحفنـــى هـــذا البنفـــسج، ولـــتكنْ
مـــسارح عينـــى ... الرُبـــا والمحـــاضرُ
وآخـــر مـــا أُصْـــغى إليـــه مـــن الـــصدى
خريـــرك يفنـــى وهـــو فى المـــوت ســـائر

والذى لا شك فيه أن هذا الجو الرهيب الذى يصفه الشاعر، نفس الشاعر الذى رأيناه فى «النارنجة الذابلة» يحن إلى قريته حنيناً ملؤه الأسى – ليس جو القرية، وإنما هو جو نفس الشاعر وقد خلعه على القرية وأضاف إليه الكثير من خياله حتى اختلط الخيال بالحقيقة ولكن فى غير تناقض ولا تنافر بل فى وحدة وانسجام تتكامل معه الرؤية الشعرية وتعمق التجربة العاطفية التى سيطرت على الشاعر عند تلك العودة.

و«النارنجة الذابلة» تحمل بعد ذلك من الرومانسية المزج بين الحقيقة والخيال وإن كنا نلاحظ أن خيال الهمشرى من الخيال السليم الذى يقم رؤاه على أساس من الواقع يتخذه نقطة انطلاق فلا يضل ولا تضطرب رؤيته الشعرية ولا يغادرها إلى محفوظه، أى إلى ما اختزن من صور شعرية فهو دائم الارتكاز على الواقع وفى هذا سر عمقه ونفاذه إلى القلوب. وإذا كنا قد رأينا فى المحاضرات السابقة الأستاذ عباس

محمود العقاد يلوم شعراءنا لتغنيهم بطائر لا يعرفونه لأنه لا يعيش فى بيئتنا بل يعيش فى عالم الغرب وهو «البلبل» وينادى شعراءنا بأن ينصرفوا عن البلبل ليتغنوا بالكروان الذى قال الأستاذ العقاد أنه كثيراً ما يسمعه فى جنح الليل عند مشارف مصر الجديدة، ونظم فى هذا الطائر ديواناً بأكمله هو «هدية الكروان»، فها نحن نرى الهمشرى لا يتغنى بالبلبل ولا بالكروان بل يتغنى بطائر أيلف فى ريفنا هو العصفور الذى يسميه بعض سكان ريفنا بالزرزور، وهو طائر لا يغنى كالكروان بل يزقزق زقرقة أليفة قريبة من نفوس أهل الريف جميعاً. ونحن بعد لا نعرف على وجه التحديد شجرة النارنج التى حن إليها الشاعر كما لا نعرف ما يحيط بها من أشجار وأزهار وبيئة طبيعية، ولكننا مع ذلك نحس بأن الشاعر قد أضاف إلى الرؤية الواقعية أطرافاً من الخيال بدليل تلك الألفاظ النادرة التى استخدمها للتعبير عن بعض أنواع الأزهار، وأكبر الظن أنها أنواع لم يسمع عنها الشاعر فى ريفه كالدلفي، ولكنه سمع عنها أو رآها أثناء عمله بوزارة الزراعة. وفى بعض البرهات التى كان الشاعر المسكين يختلسها من الأضابير لكى يشاهد روضاً من الزهر، على نحو ما رأيناه يستخدم اللفظ الفارسى «سمانجون» للتعبير عن زرقة السماء، وأكبر الظن أنه قد سمع هذه اللفظة خلال الفترة القصيرة التى قضاها بكلية الآداب. ولكن كل هذا لم يصب الرؤية الشعرية عند الهمشرى بأى تفكك أو اضطراب، كما أنه لم يخرج نغماته عن مجال الصدق الذى نحسه فى شعره بفضل تجانس الجو الذى تسبح فيه القصيدة كلها.

وخاصية ثالثة من خصائص الرومانسية العميقة الصادقة هى تلك التى يعبر عنها الغربيون بقولهم «إن الشاعر الرومانسى يفكر خلال الأشياء كما تفكر خلاله». وهذا هو ما نكاد نتقراه بلمس فى قصيدة الهمشري. فالنارنجة ليست هى التى تتذكر عند السياج أزاهرا أو شفقاً توهج حمرة أوشجر النخيل وهدهداً وليست هى التى «تحلم بأرض فى الخيال سحيقة» بل الشاعر هو الذى يتذكر ويحلم خلال النارنجة التى خلع عليها هموم روحه وأشواقها بعد أن كان فى مطلع القصيدة هو الذى يحن ويذكر ويتوق إلى أن يؤوب ليرى نوار النارنجة لثلجي. ولا غرابة فى شيء من كل هذا عند شاعر تتحد فى نفسه الحقيقة بالخيال وتختلط مشاعره بالأشياء فتنطق بلسانه وينطق بلسانها فى وحدة شعرية متماسكة بالغة القوة والنفاذ. وإن تفاوتت ألوان تلك الرؤية تبعاً للحالات النفسية التى تتعاقب على شاعر بالغ الرهافة والحساسية كمحمد عبد المعطى الهمشرى حتى لنراه يتغنى غناء صريحاً مشرقا فى «أغنية النخيل».

ومع ذلك فقد تشتط بالهمشرى رومانسيته وينطلق خياله بعيداً عن الواقع

حتى ليكاد يخلق أساطير حيناً ويضل فى عوالم الشعر الرمزى حيناً آخر، حتى ليرى حدائق فى الشفق وفى مسارح القمر والفجر فى قصيدة رمزية. ففى «حدائق الشفق» يستهلها بقوله:

بين الدجى واحمرار شعه الشفق ... النور يرقص فى عينى ويأتلق
لا هدأة تسعد الحيران لا سنة ... تقر عينى بها قد شفها الأرق
فلا أرى غير أحلام مكوكبة ... وغير رسم سماء بات يحترق

ثم يسترسل فى وصف رؤى خياله وصور أحلامه ورموز عقله الملتهب مثل قوله:

ذهلت فى حلم غاف وخيل لي ... أنى عبرت طريقاً كلها ظلم
لم يغشها من بنى الإنسان مقتحم ... قبلى وما وطئت أرضاً بها قدم
تحف دغلاً تثير النفس وحشته ... الصمت يحكمه والليل والأجم!

بل قد يلجأ الهمشرى إلى الخيال الكبير الخلاق الذى يلجأ إليه الأدباء فى تصور القصص والمسرحيات وبنائها على نحو ما نشاهد فى مطولته التى نشرها فى السياسة الأسبوعية وقدم لها رئيس التحرير الدكتور محمد حسين هيكل بمقدمة حماسية وهى قصيدة «شاطئ الأعراف» التى علق عليها الشاعر بقلمه فقال:

الأعراف كما فسرها المفسرون مكان بين الجنة والنار وأطلقت هنا على شاطئ خيالى يقع وراء عالم الموت. وبعد أن مات الشاعر حملته آلهة الشعر فى زورقها السحرى فى بحر الوقت وأرست به على هذا الشاطيء».

والشاعر يصف لنا كل ما رآه فى طول رحلته من عجائب الموت التى تحلم بها كل شاعرية تسلم زمامها إلى الخيال المطلق، وعندما يصل الشاعر إلى شاطئ الأعراف يصف لنا هذا الشاطئ ثم يروعه بحر هائج مصطخب يشرف عليه شاطئ الأعراف فتصفه لنا، وهذا البحر هو بحر الوقت، ويعترض هذا البحر على صفحة الأفق هيكل قصر خرب به فتحات مظلمة تنساب فى خلالها مياه بحر الوقت وتغنى بها أحشاء المجهول والعدم، وهذا الهيكل الحالك هو قبر الليالى كانت تدفق أشلاءها أثناء الحياة». وبينما كان الشاعر يرعى ذلك طلع عليه موكب فخم من زوارق سحرية يتقدمها فلك عليه خيال ملاك يعزف على قيثارته وهذا الملاك هو الحياة، تقود عناصر الوجود من الجمال والشر... إلخ ... فى زورقها. ومر ذلك الموكب فى بحر الوقت

واختفى فى غياهب هذا القصر الذى هو قبر الليالى ثم أرخى على العالم ستار العدم والصمت».

ونحس أن هذه المطولة إنما هى فرار بالشاعر على أجنحة الخيال من عالم الواقع المرير حتى لنكاد نلمس أن لها وظيفة نفسية عند قائلها عندما نقرأ قوله فيها:

عندما خدر الغناء شكاتي ... وسقانى كئوسه المنسيات
بعث الشعر من لديه نسيما ... فائح العطر طيب النغمات
هز قلع الصبا فأيقظ فكري ... فهفت بى سفينة الذكريات
فى خضم الأفكار تطوى بى الوقت ... وتهفو إلى ضفاف الحياة

وهذه القصيدة الطويلة تستحق أن تفرد ببحث خاص بعد أن تستخرج من «السياسة الأسبوعية» لأن الأستاذ محمد فهمى لم ينشر فى كتابه «الروائع لشعراء الجيل» غير مقتطفات منها، بل إنها قد تسمح بمقارنات تعقد بينها وبين المطولات المشابهة لها فى الفكرة مثل «رسالة الغفران» و«الكوميديا الإلهية» لدانتى و«الفردوس المفقود» لملتون، وإن كنت أحسب أن هذه القصيدة أبعد عن مثيلاتها السابقات فى الخيال وأمعن فى الرمزية، ولا تكاد تمت بصلة إلى أحداث التاريخ أو تعاليم الأديان. ولهذا ربما كانت المقارنة أقرب وأجدى بينها وبين «بساط الريح» و«عبقر» لفوزى وشفيق المعلوف.

وإلى أن نفرغ لمثل هذه الدراسة نختتم هذه النظرية السريعة فى اتجاه الهمشرى الرومانسى بهذه المقطوعة المؤثرة التى نطالعها فى قصيدته «تأملات أو حياة شاعر» حيث يقول:

جلستُ على الصخر الوحيد وحيدا
وأرسلتُ طرفى فى الفضاء شريدا
وكفكفتُ دمعا لا يُكفكفُ غربه
وواسيتُ قلبا فى الضلوع عميدا
أرى صفحة الآمل قد ضاق أُفقها
ولاح على اليأس البعيد مديداً
لقد عشت فى دنيا الخيال مُعذبا
فياليت شعرى، هل أموتُ سعيداً؟

وبهذا يكتمل لنا المضمون الإنسانى لرومانسية الهمشرى الخالصة. وأما وسائل تعبيره وصوره الشعرية فقد كانت من الجدة والابتكار بحيث خرجت خروجاً مطلقاً من مجال التعبير المباشر إلى مجال الرمز والتبادل بين معطيات الحس المختلفة.

والواقع أن الهمشرى وبعض رفاقه فى جماعة أبوللو مثل الصيرفى وعلى محمود طه قد أحدثوا فى لغة الشعر العربى حدثاً أثار ثائرة أنصار الديباجة التقليدية، والرعب من التجديد والتعصب للقديم. وفى مقدمة ديوان «أصداء الحرية» لعبد الله شمس الدين نرى الشاعر التقليدى الأستاذ عزيز أباظة يسخر فى مرارة من هذا التجديد فى التعبيرات الشعرية ويضرب له أمثلة بعبارات «الأنين المشنوق» و«الحزن الراقص» و«الصمت المقمر»، و«الشمس المعربدة»، و«اللانهاية الخرساء».

ولقد كان الأستاذ عزيز أباظة باستطاعته أن يجد بعض العبارات المشابهة فى شعر الهمشرى مثل قوله: «العطرى القمري» و«النغم الوضيء» و«اللحن المفضض» و«السكون المشمس».

وهذه قضية لغوية بل شعرية عامة تستحق النظر.

والواقع أن دراسة تاريخ اللغات كلها يدلنا على أن سبيل المجاز قد كان السبيل الأكبر فى تكوين اللغات وتوسيع وسائل التعبير فيها حتى أصبح الكثير من مفردات اللغة وتعبيراتها مجازات حية أو مجازات ميتة نسيت فيها المعانى الأصلية ولم يبق غير المعانى المجازية. ونضرب مثلاً عابراً فى اللغة الفرنسية فنجد أن الرأس فى اللغة اللاتينية – وهى أصل الفرنسية – كانت تسمى كابوت caput التى تطورت صوتياً فأصبحت فى الفرنسية شيف chef وتخصصت بمعنى رئيس. وأما الرأس كعضو فى الجسم فقد سماها الشعب الفرنسى الميال إلى النكتة باسم تيتا tetta التى كانت تفيد أصلاً إناء من الفخار على نحو ما يسمى شعبنا الآن أحياناً الرأس «بالطاسة» فى قولهم «يسخن الطاسة»، ثم نسى المعنى الأصلى لكلمة تيتا التى تطورت صوتياً إلى تيت tête وأصبحت لا تفيد شيئاً غير الرأس بعد أن مات فيها المجاز.

ولو أننا درسنا اللغة العربية وتاريخها، وأصولها السامية لوجدنا نفس الظاهرة، على نحو ما نحس مثلاً فى كلمة الزكاة التى يفيد اشتقاقها معنى الزيادة فى مثل قولهم العلم «يزكو على الإنفاق». ثم نقلت من هذا المعنى عن طريق المجاز إلى المعنى الشرعى المعروف وهو تخصيص جزء من الكسب للفقراء وذوى الحاجة وأصبحنا لا نكاد نلمح معنى الزيادة فى هذا الاستعمال المجازى الجديد حتى ولا عند فقهاء الشريعة أنفسهم الذين لا يتحدثون عن زيادة المال بالزكاة بل يتحدثون عن تطهيره.

وإذا كان المجاز من أكبر السبل التى تتسع بها اللغة وتزداد قدرتها على التعبير، وكان المجاز ونقل اللفظ إلى مجال من مجالات الحس أو الإدراك إلى مجال آخر لوجود علاقة أو شبه بين المجالين – فكيف يمكن أن نحرم اللغة من هذه السبيل وأن ندعو إلى تجميدها؟

والتعبيرات التى يأخذها دعاة المحافظة اللغوية على شعرنا الحديث منذ جماعة أبوللو حتى اليوم لا تخرج عن كونها مجازات وإن تغير فيها أساس النقل من مجال إلى مجال.

فالعرب القدماء كانوا يرحبون بالمجاز كوسيلة من وسائل البيان بشرط أن يتم النقل من مجال إلى آخر على أساس التشابه الذى كانوا يسمونه «الجامع فى كل». ثم حدث فى الآداب الغربية فقى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أن ظهر مذهب أدبى جديد هو مذهب الرمزية الذى امتد إلى وسائل التعبير اللغوي، وقد أجمل الشاعر الفرنسى بودلير الأساس النفسى للتبعير الرمزى فى بيت شعر له قال فيه:

«إن الألوان والأصوات والعطور تتجاوب» وهو يقصد بذلك أن لوناً من الألوان قد يحدث فى النفس البشرية أثراً يتفق مع الأثر الذى يحدثه صوت معين أو عطر معين وهذا هو معنى التجاوب بين هذه المعطيات الحسية المختلفة. ومادامت اللغة فى أصلها مجرد رموز تثير فى نفوسنا إحساسات وخواطر وانفعالات يرمز لكل منها لفظ معين، وما دام الهدف النهائى من الأدب والشعر هو نقل تجربة بشرية أو على الأصح أثر هذه التجربة من نفس إلى نفس، فإنه يصبح من الحكمة بل من الواجب على الأديب أو الشاعر الذى يريد أن يستنفد كل ما فى نفسه وينقله كاملاً إلى أنفس الغير أن ينقل ألفاظاً من مجال حى معين إلى مجال آخر إذا كان فى هذا النقل ما يعينه على هدفه وهو نقل الأثر النفسى إلى الغير. ولذلك دعا الرمزيون إلى استخدام صفات وألفاظ من عالم حى إلى غيره، ولذلك رأيناهم ينقلون صفات من مجال المرئيات إلى مجال المسموعات أو من مجال الشم إلى مجال البصر، وهكذا – ومن الواضح أن مثل هذا النقل أو التبادل لا يجوز أن يرفض كلية كما لا يجوز بالبداهة أن نقبله كله، والمقياس فى الحكم عليه أو له هو النجاح أو الفشل فى تحقيق الهدف منه. وهذا الهدف هو نقل الأثر النفسى من الشاعر أو لأديب إلى القراء. فإذا كان الشاعر يحس مثلاً أن السكون المخيم حوله ليس سكوناً مقبضاً داعياً إلى الحزن والكآبة، بل سكوناً تبتهج به نفسه ويشرق وجدانه، جاز أن نسمى هذا السكون سكوناً مشمساً كما قال الهمشري. وكذلك الأمر فى ضوء القمر الذى قد يحس به شاعر هادئ الضوء حالماً وسنان، بينما يراه آخر نوراً براقاً بهيجاً فيسميه بالقمر المفضض باعتبار أن الفضة توحى بالبريق والبهجة. وكذلك العطر يمكن أن يوصف بأنه قمرى إذا كان قد بعث فى نفس الشاعر نفس الإحساس الذى يبعثه القمر. وبالمثل يمكن أن يقال عن النغم الوضيء. والمهم فى كل هذا ألا يفتعل الشعراء مثل هذه التعابير لمجرد الرغبة فى التجديد فالشعر والأدب عامة اساسه المكين هو صدق التجربة والإخلاص فى تبين أثرها فى نفس الأديب أو الشاعر، ثم الإخلاص فى التماس أنجح الوسائل فى نقل هذا الأثر إلى نفوس الغير. وبهذا يتميز الرمز عن اللغز بل ويتميز أيضاً عن الهذيان والكذب. وفى شعر الهمشرى بوجه عام نحس صدق التجربة الشعرية والإخلاص لنفسه ولشعره وهذا هو ما يحملنا على الاعتزاز بشعر هذا الشاب الذى غادر الحياة وهو لا يزال برعماً يتفتح عن عطره.

حسن توفيق – سيرة ومسيرة

بينما كانت الحرب العالمية الثانية تحصد أرواح ملايين البشر ، كان هناك ملايين آخرون يولدون، ومن بين هؤلاء ولد طفل مصري ، اسمه كاملا حسن توفيق محمود محمد ، وقد ولد في أحد أحياء القاهرة الشعبية وهو حي شبرا يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٣ ، وفيما بعد – عندما كبر – أحس بالنشوة تغمر روحه حين اكتشف أن الشاعر الكبير الذي أعجب به أيما إعجاب وهو الدكتور إبراهيم ناجي كان قد ولد هو أيضا في حي شبرا ،لكنه ولد في آخر يوم من أيام القرن التاسع عشر الميلادي.

في الخامسة من عمره شاهد الطفل بنفسه عمليات طلاء فوانيس الغاز المعلقة في الشوارع باللون الأزرق ، ثم أخذ يستمع كل صباح وهو في طريقه إلى المدرسة الابتدائية إلى أغنيتين كانتا تذاعان باستمرار، هما يا مجاهد في سبيل الله – جاء اليوم اللي بتمناه بالعامية المصرية وأخي جاوز الظالمون المدى وهي بالفصحى ، وكانت الأغنية والقصيدة تغمرانه بالنشوة وبالحماسة وبنوع من الطرب التلقائي الذي يدفعه لمحاكاة ما سمعه في الأداء ، لكنه لم يكن يعرف أن الجيوش العربية قد خاضت في فلسطين حربا ضد العصابات الصهيونية وأن هذه الجيوش قد ذاقت مرارة الهزيمة القاسية .

تلقى تعليمه الإعدادي في مدرسة السيدة حنيفة السلحدار الإعدادية بشبرا ، وفيما بعد عرف أن السيدة حنيفة كانت سيدة ثرية ولم يكن لها أبناء، ولهذا تبنت طفلة كانت مخطوفة من تركيا ، هي الشاعرة جليلة رضا، وقد قرأ الطفل ديوانا كان قد صدر لتلك الشاعرة وهو اللحن الباكي كما قرأ عن طريق مكتبة المدرسة مجموعة كبيرة من كتب المغامرات والرحلات ، وكان متفوقا على كل زملائه في مادة اللغة العربية لكنه كان يرسب باستمرار في مادة الرياضة والحساب .

تلقى تعليمه الثانوي في مدرسة روض الفرج الثانوية، وكان اسمها قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ مدرسة الأمير فاروق الأول ، وكان ممن تعلم على أيديهم خلال تلك المرحلة أستاذ اللغة العربية وهو الشاعر كمال نشأت – الدكتور فيما بعد ، وماهر ميخائيل أستاذ اللغة الإنجليزية الذي أهداه مجموعة كبيرة من دواوين الشعراء الإنجليز من بينهم إليوت ووليم بتلر ييتس وأودن ولوي ماكنيس ، وذلك لتشجيعه في محاولاته غير الناجحة لكتابة قصائد باللغة الإنجليزية، أما مكتبة المدرسة فقد أتاحت له فرصة التعرف على رواد الشعر الحر من خلال مجلة الآداب البيروتية التي كانت تصل المكتبة بانتظام ، وهكذا حفظ حسن توفيق قصائد أنشودة المطر ومدينة بلا مطر وعرس في القرية لبدر شاكر السياب وقصائد أخرى عديدة لصلاح عبد الصبور ونازك الملائكة وخليل حاوي ونزار قباني ، كما حفظ عن ظهر قلب معظم قصائد ديوان وراء الغمام للدكتور إبراهيم ناجي ، وما يزال يعتز بالنسخة التي يقتنيها من هذا الديوان لأن ناجي كان قد كتب على صفحتها الأولى إهداء بخط يده لحضرة صاحب العزة عبدالحميد بك خضر مفتش وزارة المعارف العمومية – ٢٦ مايو ١٩٣٤.

تلقى تعليمه الجامعي بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة القاهرة ، حيث حصل على ليسانس الآداب في يونيو سنة ١٩٦٥ وخلال تلك المرحلة سعد برعاية وتشجيع أساتذته فيما يتعلق بفن الشعر ، ومن أساتذته الذين يدين لهم بالحب والولاء الدكتورة سهير القلماوي والدكاترة شوقي ضيف وشكري محمد عياد ويوسف خليف الذي كان شاعرا رومانسيا رقيقا وحسين نصار وعبد الحميد يونس وعبد المحسن طه بدر الذي كان يسمح لتلميذه بأن يزوره في بيته بالمعادي حيث تعرف على أدباء كثيرين ، منهم غالب هلسا وسليمان فياض ومحمد أبو المعاطي أبو النجا وعبد الجليل حسن، وما تزال صداقاته مع أبناء دفعته ممتلة ووطيدة منذ سنة التخرج – ١٩٦٥ – حتى الآن ومنهم من أصبحوا مرموقين مثل الدكتور جابر عصفور والدكاترة يوسف حسين بكار وإبراهيم السعافين وأحمد أبو مطر والكاتب الناقد فتحي عبد الحافظ .

بدأ يتعرف بشغف على عالم الصحافة عموما والصحافة الأدبية خصوصا وهو ما يزال طالبا جامعيا ، وهكذا توثقت صلاته بالكاتب الصحفي أحمد بهجت وأصبح يتردد على مبنى جريدة الأهرام القديم ، واستطاع أن يلتقي بصورة منتظمة مع الدكتور لويس عوض والفنان الشامل صلاح جاهين وشعراء العامية الذين كانوا يترددون على صلاح جاهين ومنهم عبد الرحمن الأبنودي وسيد حجاب وعبد الرحيم منصور ،ومن خلال تواصله مع هؤلاء أخذ يكتشف الفارق بين ما يكتبونه من قصائد مرتبطة بالواقع وما يكتبه هو من القصائد الغارقة في رومانسيتها .

كانت للطالب الجامعي وقتها جولات منتظمة لزيارة سور الأزبكية القديم حيث استطاع أن يقتني مجموعة كبيرة من أعداد مجلة أبولو ، فضلا عن الطبعات الأولى من دواوين شعراء تلك الجماعة ، ومنهم محمود حسن إسماعيل وحسن كامل الصيرفي وصالح جودت وعلي محمود طه ، وخلال تلك الفترة تعرف على نجم أدبي شهير ما لبث أن أصبح صديقا حميما له وهو الكاتب والناقد رجاء النقاش .

بعيدا عن أسوار الجامعة ، كان حسن توفيق من المشاركين في الأمسيات الشعرية الأسبوعية التي كانت الجمعية الأدبية المصرية تعقدها ، وكذلك شارك في العديد من الأمسيات التي كانت دار الأدباء تنظمها في مقرها بشارع القصر العيني ، وكان واحدا من الرواد الدائمين لمقهى ريش الشهير بشارع طلعت حرب حيث كان العملاق نجيب محفوظ يعقد ندوة أسبوعية مساء كل يوم جمعة ، وكان مرتادو تلك الندوة ممن كانوا يعرفون ب أدباء الستينيات ، ومن هؤلاء أمل دنقل ويحيى الطاهر عبد الله وإبراهيم أصلان وممن كانوا يقيمون في مصر وقتها الشاعران عبد الوهاب البياتي ومحمد الفيتوري .

بدأ ينشر قصائده منذ سنة ١٩٦٣ حيث نشر عددا منها في مجلة الشعر القاهرية التي كان يرأس تحريرها الدكتور عبد القادر القط كما نشر في مجلة الآداب البيروتية، ثم أخذت قصائده تتوالى في النشر على صفحات مجلة المجلة بتشجيع من الكاتب الكبير يحيى حقي ومن بعده الدكتور عبد القادر القط الذي خلفه في رئاسة تحرير المجلة .

سجل – بعد تخرجه في الجامعة – رسالة الماجستير سنة ١٩٦٦ لكن مغريات الساحة الثقافية والفنية التي انغمس فيها لم تمكنه من إنجازها إلا سنة ١٩٧٨ حيث حصل على الماجستير بتقدير ممتاز عن أطروحته : شعر بدر شاكر السياب – دراسة فنية وفكرية ، وقد صدرت تلك الدراسة في بيروت خلال نفس تلك السنة . واعتمد عليها باحثون أكاديميون في جامعات عربية عديدة ، وأعيد

طبعها مرة ثانية في عمان ، كما أنها على وشك الصدور في طبعة جديدة ضمن إصدارات المجلس الأعلى للثقافة في مصر .

عمل بعد تخرجه في الجامعة مديرا لمكتب الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور والذي كان وقتها مديرا عاما للنشر بالهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر – الهيئة العامة للكتاب فيما بعد ، كما عمل محررا بمجلة الفكر المعاصر التي تناوب على رئاسة تحريرها الدكتور زكي نجيب محمود والدكتور فؤاد زكريا وله كتابات نقدية عديدة على صفحات تلك المجلة، وعمل لمدة سنتين في دار الكتب المصرية ،ثم عمل في الهيئة العامة للفنون حتى سنة ١٩٧٩ .

اختاره رجاء النقاش ضمن من اختارهم للعمل معه في جريدة الراية القطرية منذ سنة ١٩٧٩ وهي الجريدة التي ظل يعمل بها رئيسا للقسم الثقافي طيلة ثلاثين سنة ، حيث عاد إلى وطنه مصر منذ يوم ٥ يوليو سنة ٢٠٠٩ ليتفرغ للكتابة الأدبية .

حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر عن ديوانه انتظار الآتي سنة ١٩٩٠ بإجماع أعضاء لجنة التحكيم وهم الدكتور عبد القادر القط والدكتور يوسف خليف والدكتور محمود مكي والشاعر فاروق شوشة .

حصل على جائزة أفضل قصيدة من مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري سنة ١٩٩١ وذلك عن قصيدته السندباد والرحلة الجديدة التي كانت قد نشرت في الملحق الأدبي لجريدة الأهرام ، ثم اشتمل عليها فيما بعد ديوانه ليلى تعشق ليلى .

أصدر أول ديوان له سنة ١٩٦٩ بعنوان الدم في الحدائق –انظر العطاء الأدبي للشاعر.

أصدر كتابه النقدي الأول ضمن سلسلة المكتبة الثقافية بعنوان اتجاهات الشعر الحر سنة ١٩٧٠ وقد كان استقبال هذا الكتاب من جانب الساحة الأدبية استقبالا جميلا متحمسا .

عضو الجمعية الأدبية المصرية منذ سنة ١٩٦٦ وقد رشحه لعضويتها كل من الدكتور عبد الغفار مكاوي وصلاح عبد الصبور وفاروق خورشيد ، وخلال تلك المرحلة كان يساهم مساهمة فعالة في تحرير مجلة الأدب الشهرية التي كان يصدرها شيخ الأمناء أمين الخولي .

عضو اتحاد كتاب مصر منذ بداية تأسيسه حتى الآن .

ترجمت قصائد من شعره إلى اللغات الأسبانية والإنجليزية والروسية والأوكرانية ، حيث قامت المستعربة الأسبانية الدكتورة كارمن رويث برافو بترجمة ونشر قصائد من ديوانه ما رآه السندباد في مدريد، كما قام الدكتوران محمد شاهين –الأردن وعبد الواحد لؤلؤة – العراق بترجمة مجموعة من قصائده إلى الإنجليزية ، وقام المستشرق الأوكراني البروفيسور فاليري ريالكن بترجمة مجموعة من قصائده إلى اللغتين الروسية والأوكرانية .

زار العديد من الأقطار العربية للمشاركة في ملتقيات ومهرجانات أدبية وثقافية كما زار عدة دول أوربية للمشاركة في مشروع كتاب في جريدة الذي يصدر بالتعاون مع منظمة اليونسكو و كذلك للمشاركة في بعض دورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، وزار اليابان سنة ١٩٩٨ لمدة أسبوعين بدعوة من وزارة الخارجية اليابانية ، حيث سجل انطباعاته

عن تلك الزيارة التي شملت طوكيو والعاصمة القديمة كيوتو وهيروشيما ونجازاكي ، فضلا عن لقاءاته مع أشهر الشعراء اليابانيين ، وقد تمت ترجمة تلك الانطباعات إلى اللغة اليابانية ، وله كتاب يصنف على أنه من كتب أدب الرحلات ، ويضم معظم ما كتبه عن تلك الزيارات والرحلات ، والكتاب بعنوان رحلات شاعر عاشق – مع الشعر والحب في الشرق والغرب .

زار أوكرانيا تلبية لدعوة من جامعة عالم الشرق ، حيث ألقى محاضرة عن واقع الأدب العربي في قسم اللغة العربية بتلك الجامعة وذلك في شهر أبريل سنة ٢٠٠٦ وقد نشرت إحدى أشهر الجرائد اليومية الأوكرانية ترجمة لتلك المحاضرة شغلت مساحة صفحة كاملة .

كتب أستاذه صلاح عبد الصبور مقدمة لديوانه الدم في الحدائق ، كما كتب الدكتور عز الدين إسماعيل دراسة عن شعره ، تصدرت ديوانه أحب أن أقول لا .

كتب كثيرون من النقاد والشعراء والصحفيين عن شعره وعن كتبه النثرية ، ومن هؤلاء الدكتور شكري محمد عياد –الدكتور يوسف حسين بكار –الدكتور كمال نشأت –الدكتور ماهر حسن فهمي – فاروق شوشة – الدكتور أحمد أبو مطر – علاء الديب – إقبال بركة – فاروق خورشيد –أنيس منصور – صالح جودت –الدكتور رياض عصمت ... وسواهم .

اهتمت مواقع عديدة بنشر وإعادة نشر قصائده على الشبكة العنكبوتية –الإنترنت .

له موقع رسمي على الإنترنت بعنوان : مجنون العرب – موقع الشاعر والكاتب حسن توفيق ، وله مدونتان شخصيتان إحداهما ضمن مدونات مكتوب والمدونة الثانية ضمن مدونات إيلاف .

www.magnoonalarab.com
magnoonalarab.maktoobblog.com
hassan66.elaphblog.com

obeikan.com

العطاء الأدبي للشاعر

أولا : الشعر :

الدم في الحدائق – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ – الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، وقد صدرت طبعته الثانية سنة ١٩٨٩

أحب أن أقول لا – الطبعة الأولى سنة١٩٧١ الهيئة العامة للكتاب ، وقد صدرت الطبعة الثانية منه سنة ١٩٨٩

قصائد عاشقة – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ وقد صدرت طبعته الثانية سنة ١٩٨٩

حينما يصبح الحلم سيفا – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ – دار النشر والإعلان – طرابلس – ليبيا وصدرت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٩

انتظار الآتي – سنة ١٩٨٩

قصة الطوفان من نوح إلى القرصان – ١٩٨٩

وجهها قصيدة لا تنتهي – سنة ١٩٨٩

ما رآه السندباد – سنة ١٩٩١

ليلى تعشق ليلى – سنة ١٩٩٦

الأعمال الشعرية – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨ – دار الخليج للطباعة والنشر – الدوحة – قطر ، أما الطبعة الثانية فقد صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٢ وصدرت الطبعة الثالثة ضمن إصدارات مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣

عشقت اثنتين : توشكا وتمنراست – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩ – دار الخليج للطباعة والنشر – الدوحة – قطر

بغداد خانتني – قصائد ومقامات في حب العراق – الطبعة الأولى ٢٠٠٤ – مؤسسة الرحاب الحديثة – بيروت – لبنان

وردة الإشراق – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥ – المجلس الوطني للثقافة – الدوحة – قطر

أحبك أيها الإنسان – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨ – الهيئة المصرية العامة للكتاب

حلم يتفتح في صخر – قيد الطبع ضمن إصدارات وزارة الثقافة والفنون – الدوحة – قطر .

لا مكان للشهداء – ضمن سلسلة الإبداع الشعري المعاصر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة .

ثانيا : فن المقامة :

مجنون العرب بين رعد الغضب وليلي الطرب – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤ – مؤسسة الرحاب الحديثة – بيروت – لبنان

obeikan.com

ليلة القبض على محنون العرب – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥ – مؤسسة الرحاب الحديثة – بيروت – لبنان ، وقد قام المترجم التونسي عبد الودود العمراني بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية، والترجمة منشورة على شبكة الإنترنت – موقع جمعية المترجمين العرب

ثالثا : دراسات وتحقيق :

اتجاهات الشعر الحر – سنة ١٩٧٠ – سلسلة لمكتبة الثقافية

وداعا عبد الناصر – بالاشتراك مع أمل دنقل – سنة ١٩٧١ – الهيئة المصرية العامة للكتاب

إبراهيم ناجي – قصائد مجهولة – سنة ١٩٧٨ – مكتبة مدبولي – القاهرة

شعر بدر شاكر السياب – دراسة فنية وفكرية – سنة ١٩٧٩ – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – لبنان

أزهار ذابلة وقصائد مجهولة للسياب – سنة ١٩٨٠ – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – لبنان

جمال عبد الناصر – الزعيم في قلوب الشعراء – سنة ١٩٩٦ – المكتبة العالمية – الدوحة – قطر

الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي – سنة ١٩٩٦ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة

الأعمال النثرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي – مجلدان – سنة ٢٠٠١

مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين – الجزء الثالث – شعراء قطر – ٢٠٠١

جمال عبد الناصر – الزعيم في قلوب الشعراء – طبعة موسعة – سنة ٢٠٠٢ – مؤسسة بيسان – بيروت – لبنان

الأعمال الشعرية المختارة للدكتور إبراهيم ناجي – سنة ٢٠٠٣ – المجلس الوطني للثقافة – الدوحة – قطر

محمد بن خليفة العطية شاعرا وإنسانا – تقديم وتحرير – سنة ٢٠٠٤

خليل الفزيع شاعرا – تقديم وتحرير – سنة ٢٠٠٦

قاموس الأدب العربي الحديث – إعداد وتحرير الدكتور حمدي السكوت – (كتابة المواد المنشورة عن أدباء قطر) – سنة ٢٠٠٧ – دار الشروق – القاهرة

الحياة الحب والحب الحياة – شعراء جبناء ونساء لهن عضلات – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة

الأعمال النثرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي – طبعة جديدة منقحة – صدر المجلد الأول منها سنة ٢٠١١ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة .

من شعر ناظم حكمت – ترجمة الدكتور علي سعد – تقديم ودراسة – ضمن سلسلة ميراث الترجمة – المركز القومي للترجمة – القاهرة .

آلام فرتر لجوته – ترجمة أحمد حسن الزيات – تقديم ودراسة – ضمن سلسلة ميراث الترجمة – المركز القومي للترجمة – القاهرة .

رابعا : أدب الرحلات :

رحلات شاعر عاشق – مع الشعر والحب في الشرق والغرب – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١ – دار الخليج للطباعة والنشر – الدوحة – قطر

رحلات جديدة مع الشعر والحب – قيد الصدور

خامسا : مقالات وقصائد منشورة :

هناك عشرات القصائد ومئات المقالات المنشورة في مجلات أدبية وثقافية مثل الهلال وإبداع وأدب ونقد في مصر والعربي الكويتية والدوحة القطرية والثقافة العربية الليبية والمجلة السعودية وغيرها، وفي العديد من الجرائد اليومية العربية ، ومنها الأهرام – الجمهورية – الأخبار – الخليج الإماراتية – القبس الكويتية – أخبار الخليج البحرينية – الوطن العمانية – العلم المغربية – الخبر الجزائرية – الشرق الأوسط السعودية . وهناك عمود أسبوعي ينشر في جريدة الشرق القطرية كل يوم خميس بعنوان مرايا الروح .

سادسا : فن الرواية :

عرفة ينهض من قبره – رواية – تبدأ الرواية الأولى لحسن توفيق من حيث اختتم الكاتب الروائي العملاق نجيب محفوظ روايته الشهيرة أولاد حارتنا – الطبعة الأولى يناير سنة ٢٠١١ – وكان النص الكامل للرواية قد نشر في مجلة نزوى العمانية في العدد الثالث والستين الصدر في يونيو ٢٠١٠ - وقد كتبت عن هذه الرواية دراسات ومقالات عديدة بأقلام فاروق شوشة والدكتور أحمد أبو مطر وحنان بكير وعيسى الشيخ حسن وبيانكا ماضية واعتماد عبد العزيز وغيرهم، هذا إلى جانب لقاءات تليفزيونية عديدة خصصت لمناقشة الرواية .

زازا – رواية مجهولة للشاعر الدكتور إبراهيم ناجي - جمع وتقديم – الطبعة الأولى سنة ٢٠١١ – مؤسسة الرحاب الحديثة – بيروت .

ثرثرة فوق الأنقاض – رواية جديدة تستوحي ثرثرة فوق النيل لنجيب محفوظ وتتوغل أحداثها في زمن أبعد من زمن كتابة نجيب محفوظ لروايته الرائعة – لم تصدر بعد .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الهمشرى - حياته القصيرة .. لم تطمس موهبته الكبيرة - حسن توفيق	٣
الأعمال الشعرية الكاملة لمحمد عبد المعطى الهمشرى	٢٣
(١) قصائد الهمشرى التى جمعها محمد فهمى سنة ١٩٤٥	٢٥
م . ع . الهمشرى - يوليو ١٩٠٨ - ديسمبر ١٩٣٨ بقلم: محمد فهمى	٢٧
النارنجة الذابلة	٢٩
إلى ... جتا الفاتنة	٣٣
حدائق الشفق	٣٦
تأملات أو حياة شاعر	٣٨
أغنية النخيل	٣٩
العودة (عودة الشاعر إلى قريته)	٤٠
اليمامة...	٤٢
أمسية شتائية	٤٣
إلى القمر...	٤٤
المغرد...	٤٥
(٢) قصائد الهمشرى التى جمعها صالح جودت سنة ١٩٧٤	٤٧
مقدمة بقلم : صالح جودت	٤٩
تحية المساء	٥٥
عاصفة فى سكون الليل	٥٦
شاطئ الأعراف	٦٠
الذكريات	٦٢
سفن الموت	٦٦
الشاعر والآلهة	٦٨
جنة الشعراء	٧٠
أرغـــن الغنـــاء	٧٥
صور اللحن فى الصبا	٧٧
صور اللحن فى المشيب	٧٨
صور لحن الأسى	٧٩
صور لحن الأماني	٨٠
مطلع الشاطئ - الشاعر ينتبه مبغوتا	٨١
وصف الشاطئ	٨٢
قبر الليالى	٨٧
الآلهة تناجى الشاعر ثانية	٨٩

obeikan.com

الموضوع	الصفحة
السكون الحاكم	٩٢
ساحر الوادى المغنى	٩٣
شرح وتعليق	٩٥
طائر الحب فى عاصفة الموت	٩٦
هبـوة – عن الشاعر الانجليزى : سكيف	٩٨
إلى نَوسا	٩٩
فجر الحسن	١٠١
الذاكر الناسى	١٠٢
صورتك السماوية	١٠٣
حبك	١٠٤
قصر الخلود	١٠٥
حياتى	١٠٦
الشيخوخة	١٠٧
البدلة الصفراء	١٠٨
القمر العاشق	١٠٩
نصائح الشيب	١١٠
الحب والطبيعة	١١١
أيها التائه	١١٢
مملكة السحر	١١٣
إذا..... عن الشاعر رديارد كبلنج	١١٥
أغنية الفلاح الايرلندى لبقرته	١١٩
أغنية الفلاح المصرى لجاموسته الصغيرة المحبوبة	١٢٢
القرية المهجورة	١٢٥
الربيـع	١٢٦
أغنية الفلاح للجاموسة الراعية	١٢٩
الأغنية المسائية – أو عودة الراعى	١٣١
إلى القمر – من الشاعر الانجليزى بيرسى بيس شلى	١٣٦
إلى الفراش الأصفر	١٣٧
نواقيس المساء – عن الشاعر الانجليزى توماس مور	١٣٩
إلى شجرة الليمون	١٤٠
العـودة (١)	١٤١
العـودة (٢)	١٤٤
موت المغـرد	١٤٨
طلوع الفجر	١٤٩

obeikan.com

الموضوع	الصفحة
مسارح الشفق	١٥١
ليلية	١٥٤
عاصفة فى سكون الليل	١٥٥
(٣)قصائد مجهولة للهمشرى جمعها حسن توفيق ابتداء من سنة ١٩٧٤	١٥٩
الربيع	١٦١
الأنشودة الأخيرة من والد يشيع ولده	١٦٣
بيتان من قصيدة هجاء	١٦٥
مرثية – كتبت فى فناء كنيسة قرية	١٦٦
الشاعر المنتحر – ذكرى أحمد العاصى	١٧١
الأغنية التائهة	١٧٤
حلم السيراناد	١٧٦
المرثية الحزينة	١٧٧
نداء الفجر	١٧٨
القرية المهجورة – قطعة مختارة من الأدب الإنجليزى للشاعر أوليفر جولد سميث	١٧٩
أنشودة النيل	١٨٠
مصادر القصائد المجهولة	١٨٢
(٤) كتابات نثرية للهمشرى جمعها حسن توفيق – ٢٠١٢	١٨٥
جمال الريف المصري	١٨٧
الطائر «السماك» – قصة طائر	١٨٩
ملاحظات فى المرور	١٩٢
الأدب الديمقراطى والتعاون يتخلصان من الرأسمالية	١٩٥
(٥) كتابات ودراسات عن الهمشري	٢٠١
الشاعر الهمشرى كما عرفته – ذكرى وبحث وتحليل	٢٠٣
النجم الآفل	٢١٣
الشاعر محمد الهمشرى تحت المصباح	٢١٧
عن الهمشرى وشعرنا العربي	٢١٩
حسن توفيق – سيرة ومسيرة	٢٣١
العطاء الأدبي للشاعر	٢٣٥